# AMEA O BALLAS

عرض تفهيدي

عالیف از الزمان (۱۸۲۸)

sphasekushelehingusha aphende bekanahan kepingermennen properties () properties negingenten



প্রমূদ্ধিক ১৯৯১রময়ে জুলিন্দুল্লিন্দ্রিলিন্দুর স্কুলিন্দুল্লি



# ميتافيزيقا وايتهد

# عرضتهيدي

تابيف **ايضور ليكليرك** 

ترجمة وتقديم وتعليق الأستاذ الدكتور على عبد المعطى محمد.

أستاذ الطسطة وتاريخها ومدير مركز التراث القومي والمخطوطات كلية الأداب. جامعة الإسكندرية





### هذه ترجهة كاملة لكتاب

Whitehead's Metaphysics:

An introductory Exposition

Ву

Ivor Leclerc

London; George Allen - and unwin LTD

Ruskin House - Museum Street.

1958



#### مقدمة

#### بقلم المترجم

فى الخامس عشر من شهر فبراير ١٨٦١ ولد الفرد نورب وايتهد فى مدينة رامزجيت من مقاطعة كنت بانجلترا، من أسرة اشتغل معظم أفرادها بأعمال تتصل بالتربية والكنيسة والإدارة المحلية.

#### وتقع حياة وايتهد في ثلاث فترات :

الفترة الأولى: تشمل فترة تربيته وتعليمه حتى دخوله جامعة كمبردج وتخرجه واشتغاله مدرسا بكلية ترنتي حتى عام ١٩١٠.

الفترة الثانية : وهي تشمل انتقاله الى لندن العاصمة، واهتماماته العلمية والرياضية وفلسفة العلم.

الفترة الثالثة : وهى تشمل حياته فى أمريكا والتى تبدأ من عام ١٩٢٤ وتنتهى بوفاته فى الثلاثين من شهر ديسمبر عام ١٩٤٧ وهى الفترة التى ظهرت فيها كل أعماله الفلسفية.

#### الفترة الأولى: من ميلاده حتى عام ١٩١٠:

كان الفرد نورب وايتهد طفلا ضعيف البنية، معتل الصحة، لذا فاقد علمه أبوه في البيت حتى بلغ الخامسة عشر من عمره، وتركز تعليمه في الإلمام بقواعد اللغة اليونانية، وقواعد اللغة اللاتينية وهما مرتبطتان معا، إذ لم يتعلم

القواعد اليونانية منفصلة بتاتا. ثم التحق بعد ذلك بمدرسة ،شربورن، ويقول عنها أكنا نقرأ اللاتبنية والإغريقية باعتبارهما سجلات تاريخية للشعوب الحاكمة التي كانت تقطن إلى جوار البحر، وتبسط نفوذهما البحري. لم نعتبرهما لغنين أجنبيتين، بل لقد كانتا مجرد لاتينية وإغريقية، ولم يكن بالإمكان أن تعرض علينا آراء لها أهميتها بأية وسبلة أخرى، فكنا نقرأ العهد الجديد بالإغريقية، ولم أسمع عن أحد قرأه بالإنجليزية في المدرسة \_ اللهم إلا إذا كان ذلك في كنيستها ـ ولم يكن ذلك أمرا ذا بال؛ فإن ذلك معناه عقلية دينية ينقصها التهذيب. كنا متدينين، بذلك الإعتدال الذي بتصف به قوم يأخذون دينهم عن اليونانية، ولم يذكر وايتهد قط الأجرومية الانجليزية، وإنما كان يتعلمها عن طريق الاجرومية اليونانية واللاتينية (١) . بقول والتهد اإننا في المدرسة الإعدادية بشربورن في غربي إنجلترا... لم نسمع عن شئ من هذا (يقصد الإجرومية الإنجليزية) ولا سمعنا به أيضاً في كمبردج إلى ما بعد ذلك بجيل تقريباً، كنا نتعلم اليونانية واللاتينية والرياضة، وكان التاريخ القديم يأتي عرضاً أثناء دراسة اللاتينية واليونانية، أما التاريخ الإنجليزي فكنا نقرؤه لأنه كان يشوقنا. وقد يدهشك أن تعرف كيف كنا نناقش الحضارة القديمة في حماسة بالغة .. وكنا نقرأ الأدب الانجليزي للمتعة، وبخاصة ما نظم الشعراء. وقد علمونا مسرحيتين لشكسبير - ولست أذكرهما - ولكني أستطيع أن أذكر أنى لم أهتم قط بالعودة إلى قراءة هاتين المسرحيتين، وإن كنت قد قرأت مرارا وتكرارا بقية مسرحيات شكسبير بسرور شديد ومن اللغات الحديثة درسناالألمانية دراسة جدية، أما المادتان اللتان لم تنالا منا اهتماماً جدياً في المدرسة فهما الفرنسية والطبيعة، (٢).

ولما بلغ وايتهد التاسعة عشرة من عمره (أى في عام ١٨٨٠) التحق بجامعة كمبردج. وهو يعترف بما هو مدين به لهذه الجامعة في تكوينه

<sup>(</sup>۱) لوسیان برایس : محادرات الفرد نورث وایتهد ترجمة محمود محمود، فاتحة الکتاب، مس س ۳۰ – ۳۱.

<sup>(</sup>٢) مرجع سابق محاورة رقم ٢٩ في ١٠ يونيو ١٩٤٣.

الثقافي إعترافا يقول فيه أنه لا سبيل إلى الإسراف في وصف ذلك الدين، الذي لم يرجع فقط لما نلقاه في قاعات الدرس، بل جاوز تلك القاعات إلى ما كان هناك من تدريب إجتماعي وعقلي معاً؛ فأما قاعات الدرس فكان التعليم فيها يلتزم نطاق التخصص في أضيق حدوده، وكانت الرياضة مادة تخصصه. فدرسها على أساتذة أكفاء حتى ألم بجانبيها : البحت والتطبيقي، لكنه لم يستمتع إلى درس واحد ـ خلال سنوات الجامعة الأربع ـ فيما لا يمس الرياضة مسا مباشرا. غير أن المحاضرات لم تكن في جامعة كمبردج إلا جانبا واحداً من تربية الطالب؛ فكان هناك مصدر آخربالغ الخصوبة بعيد الأثر في تكوين أبناء الجامعة، ألا وهو حلقات النقاش التي لم تنقطع بين الطلاب في نحو السادسة أو والأساتذة؛ ففي كل مساء كان العشاء يقدم للطلاب في نحو السادسة أو السابعة، وبعد الفراغ منه، يتحلق الطلاب بعضهم مع بعض، أو مع من شاءوا من أساتذتهم، حلقات، يناقشون فيها ما طاب لهم أن يناقشوه حتى ساعة من أساتذتهم، حلقات، يناقشون فيها ما طاب لهم أن يناقشوه حتى ساعة من اللها (۱).

إنتهى وايتهد من دراسته الجامعية تلك عام ١٨٨٥؛ أى وهو فى سن الرابعة والعشرين، وفى نفس العام عين فى نفس الجامعة بكلية ترنتى مدرسا، وكلية ترنتى فى ذلك الوقت كانت من أعظم المؤسسات التعليمية فوق الأرض، إلا أنه لم يلبث فى وظيفته تلك غير خمس وعشرين سنة، ففى عام ١٩١٠ إستقال وايتهد من هذا المنصب وانتقل إلى لندن.

وكان وايتهد قد التقى عام ١٨٩٠ بإفان ويد وهى سليلة أسرة ارلندية عسكرية، نشأت فى بريتانى، وتلقت دراستها فى دير الراهبات، وأتت فى صباها إلى انجلترا لتعيش فيها. إقترن وايتهد بها فى ديسمبر من نفس عام التقائه بها،وعاشا فى كمبردج عشرين عاما من هذا الناريخ أى حتى عام ١٩١٠ قبل أن ينتقلا معا إلى لندن، ويقول وايتهد عنها وإن أثر زوجتى فى تشكيل وجهة نظرى إلى العالم كانت من العمق بحيث لا يجوز إغفاله؛ فهو أحد العوامل الجوهرية فى إنتاجى الفلسفى، أنجب ذلك الزواج ثلاثة أبناء،

<sup>(</sup>١) زكى نجيب محمود: مقدمة المحاورات، ص ١٣.

إشتركوا جميعا في الحرب العالمية الأولى: أما الإبن الأكبر فقد إشترك في الحرب من أولها إلى آخرها، وأما الإبنة وهي الوسطى فقد خدمت في وزارة الخارجية، وأما الإبن الثالث فقد كان طياراً وأصيبت طائرته في سماء فرنسا فقتل في مارس عام ١٩١٨.

أما مؤلفات وايتهد في هذه الفترة الأولى التي تمتد حتى عام ١٩١٠ فهي: ١ - رسالة في الجبر العام Atreatise on universal Algebra ولقد وضعها عام ١٩٩٨ وبسببها أختير عضوا في الجمعية الملكية عام ١٩٠٣.

- Axioms of Projective Geometry ألفه عام ١٩٠٦ .
- Axioms of Descriptive Geometry ألفه بديهيات الهندسة الوصفية عام ١٩٠٧.
- 4 مدخل إلى الرياضة An introdotion to Mathematics ألفه عام ١٩١٠.
- Principles of الرياضة أصول الرياضة Aathematics عام ١٩١٠ على أن يكون الجزء الأول يتلوه جزء ثان، كما كان كتاب وايتهد في الجبر الذي نشره عام ١٨٩٨ جزءاً يتلوه جزءاً ثان، فاكتشف الرجلان: وايتهد ورسل، أن الجزء الثاني المعتزم صدوره عن كل منهما يتناول موضوعات هي هي بعينها، فاتفقا على آداء عمل مشترك، وحسبا أن عاما واحدا يكفيهما لإخراج ما تصديا لإخراجه، لكن أفق الموضوع أخذ يتسع أمام نظريهما، فاستغرقا سبع سنوات حتى تمكنا من إخراج الجزء الأول من كتابهما الضخم Principia Mathematica عام ١٩١٠ أي في نهاية الفترة الأولى واكتمل هذا العمل الضخم عام عام ١٩١٠ أي

وكان رسل قد النحق بجامعة كمبردج بعد أن دخلها وايتهد بنحو عشر سنوات، وارتبط الرجلان بروابط الصداقة الوثيقة وفي هذا يقول وايتهد ملقد نعمنا كما نعم العالم كله بألمعية رسل، تلميذا أولا، فزميلا ثانيا، ثم صديقا آخر الأمر. فكان عاملا قوياً في حياتنا إبان مقامنا في كمبردج. لكن وجهة النظر

الأساسية - فاسفية وإجتماعية - قد تفرقت بيننا، فتفرقت تبعاً لذلك إهتماماتنا، وكان ذلك خاتمة طبيعية للتعاون معاً على عمل وإحد، (١).

#### الفترة الثانية : من كمبردج إلى لندن :

استقال وايتهد من منصبه في كمبردج وانتقل إلى اندن عام ١٩١٠ كما ذكرنا، وهنا ننتقل إلى فترة جديدة في حياته. والواقع أن وايتهد كان يساوره أثناء وجوده في كمبردج أرق دائم، وكان يشك كلما إنتهى عام دراسي أنه سيتمكن من البدء في عام دراسي جديد وسط جامعة كمبردج، اذلك عزم على الإنتقال إلى اندن دون أن يكون ثمة منصب معين ينتظره، ولعل هذا كان راجعا إلى حب وايتهد المغامرة والتجديد، ومقته المركود والجمود والسير على وتيرة واحدة لا تتغير.

اشتغل وايتهد بغسل الزجاجات في جامعة لندن لمدة أربع سنوات لحين إنشاء كرسي أستاذية له في الكلية الأمبراطورية للعلوم والتكنولوچيا بجامعة لندن عام ١٩١٤، وتم ذلك فعلا، واحتل وايتهد هذا المنصب، وتدرج بعد ذلك في المناصب الجامعية، فعين عميدا لكلية العلوم بالجامعة، ورئيساً للمجلس الأكاديمي الذي كانت مهمته رسم خطة التعليم لمدينة لندن، كما عين عضوا في مجلس الجامعة وفي عام ١٩٢٢ أصبح رئيساً لمجلس الجامعة، وظل في لندن حتى عام ١٩٢٤. يقول وايتهد عن هذه الفترة ،وهذه الخبرة بمشكلات لندن، التي مارستها أربعة عشر عاما (من عام ١٩١٠ حتى عام ١٩٢٤) سورت آرائي في مشكلات التعليم العالى في مدينة صناعية حديثة. وكان السائد في ذلك الحين ضيق الأفق في النظر إلى وظيفة الجامعات، بل إن هذا الأفق الصيق ما يزال قائماً. كان هناك طراز إكسفورد وكمبردج من ناحية، والطراز الألماني من ناحية أخرى.. غير أن الكثرة الهائجة المائجة من أرباب الحرف الذين يبحثون عن الإستنارة العقلية، وذلك الشباب الناهض من كل مستوى إجتماعي الذي يتشوق إلى المعرفة الشافية والمشكلات المتنوعة التي

<sup>(</sup>١) زكى نجيب محمود: مقدمة المحاورات ص ١٦.

ترتبت على ذلك كل هذا كان عاملا جيدا في المدينة، ولكن دنيا العلماء كانت غارقة في الماضي السحيق.

ويذكر واينهد عن أهمية هذه الفترة التى قضاها فى لندن فيقول اإن تركى لكمبردج فى سن الخمسين وذهابى إلى لندن كان أحد العوامل التى حددت مصير تطورى؛ فقد زج بى ذلك فى المشكلات العملية للتربية. فى كمبردج إكتسبت خبرة فى العمل السياسى وفى التنظيم، ولكن حقائق الحياة فى لندن كانت أوسع من ذلك بكثير. ثم ذكر لنا كثيراً من الأشياء التى كان يتحتم عليه أداؤها وكيف ساقته إلى جميع الطبقات، (١).

أما مؤلفاته التي أصدرها إبان هذه الفترة الثانية وإبان مقامه في لندن فهي :

- ۱ تنظيم الفكر The Organization of Thought صدر عام ١٩١٦.
- An Enquiry Concerning الطبيعية Principles of Natural Knowledge
  - ٣ تصور الطبيعة The Concept of Nature صدر عام ١٩٢٠.
- 14 أصول النسبية مع تطبيقات على علم الفيزياء The Principles of صدر علم Relativity with Applications to Physical Science صدر عام ١٩٢٢.

#### الفترة الثالثة : من إنجلترا إلى أمريكا :

تبدأ هذه الفترة الثالثة من حياة وايتهد بدعوة تلقاها من المستر الولى، رئيس جامعة هارفارد بالولايات المتحدة الأمريكية، يدعوه فيها للتدريس بالجامعة. وكانت تلك الدعوة مفاجأة تامة لوايتهد، غير أنه رحب بها ترحيبا كبيرا؛ إذ قال لزوجته اإنى لأوثر هذا على أى شئ آخر فى الدنيا، ولعل هذا كان راجعاً إلى ولع وايتهد بالمغامرة والتجديد فى المحل الأول. كان ذلك فى عام ١٩٢٤ ووايتهد يناهز الثالثة والستين من عمره.. وهناك فى أمريكا بهذه السن المتقدمة من حياته، يبدأ وايتهد حياة جديدة فى أراض جديدة.. يبدأ

<sup>(</sup>١) محاورة رقم ٣١ في ٢٧ يوليو ١٩٤٣.

حياة جديدة تمثل أشد سنى حياته بريقاً وإنتاجاً.. فيها أعيد حديث الناس مرة أخرى عن قسم الفلسفة بجامعة هارفارد كما كانوا يتحدثون عنه من قبل ذلك بعشرين عاما، إبان إزدهاره فى عهد وليم جيمس وجوسيا رويس وجورج سانتيانا وهوجو منستربرج، وفيها بدأت مؤلفات وايتهد الكبرى، وهى أهم كتبه الفلسفية على الإطلاق تتوالى واحدا بعد آخر وهى:

- ا العلم والعالم الحديث Science and the modern world ظهر عام ١٩٢٥.
  - ٢ الدين في طور التكوين Religion in the making ظهر عام ١٩٢٦.
- ۳ المذهب الرمزى : معناه وأثره symbolism : its meaning and Effect ظهر عام ۱۹۲۷.
  - ٤ أهداف التربية: The Aims of Education ظهر عام ١٩٢٨.
    - ٥ العملية والواقع Process and Reality ظهر عام ١٩٢٩.
    - ٦ وظيفة العقل The Function of Reason ظهر عام ١٩٢٩.
      - ۷ مغامرات أفكار Adventures of ideas ظهر عام ١٩٣٣.
        - ٨ الطبيعة والحياة Nature and Life ظهر عام ١٩٣٤.
        - ٩ أنماط الفكر Modes of Thoughl ظهر عام ١٩٣٨.
- Essays in science and Philosophy مقالات في العلم والفلسفة العلم والفلسفة طهرت عام ١٩٤٧.

وكان من المتوقع أن يكتب في هارفارد ولا يعلم إلا قايبلا، ولكنه قام بالعملين معا؛ فكان يحاضر ثلاث مرات كل أسبوع، ولم يكفه أن يسمح لطلابه بالإجتماع به عشرين دقيقة، بل كان يخصص لهم فترة ما بعد الظهر بأكملها أو فترة المساء بأسرها ،ومن وحى هذه الإجتماعات يعود المرء بنغم جديد، وكانت الأفكار تسير في اتجاهين متقابلين، لأن وايتهد كان يحس أنه بحاجة إلى الإحتكاك بالعقول الشابة كي تبقى ينابيعه في تدفق مستمر، وهو يقول ،من الخطأ الفاحش أن نظن أن الكبار لا يستطيعون التعلم من الصغار،

ظل وايتهد يوزع جهوده على هذا النحو: تأليف فلسفى، والقناء محاضرات، وعقد سهرات فى منزله حتى وافته المنية فى اليوم الثلاثين من ديسمبر من عام ١٩٤٧، وهو فى السابعة والثمانين من عمره.

#### صعوية مصطلحاته وأفكاره:

أجمع مؤرخو الفاسفة على أن ميتافيزيقا وايتهد تتسم بالصعوبة البالغة، كما أن مصطلحاته لم تكن مألوفة، وهي قد دونت لأول مرة لكي تكون خافية لأفكاره أكثر من كونها موضحة لها، ولعل سبب ذلك يرجع إلى:

- ۱ الطابع الجديد لميتافيزيقا وايتهد، بما تضمئته من تصورات وأفكار جديدة، جعلته يبحث عن مصطلحات جديدة، تختلف عما هو تقليدى، وتكون أكثر دقة وتحديداً. ومن هنا كان نحته لمصطلحات لم تكن موجودة من قبل، لكن هذه المصطلحات جاءت في معظمها غامضة تحتاج لجهد كبير في فهمها.
- ٢ أن طريقة وايتهد في الكتابة كانت مختلفة عن طريقة برتراند رسل؛ فبينما كان الأخير يفكر في الألفاظ التي كانت تجرى بين يديه بتدقق لا مثيل له، كان وايتهد يبدأ بالتصور ثم يحاول أن يكسبه اللفظ وكثيرا ما كان يشق عليه الأمر. كان وايتهد يتعثر أحيانا، ويتوقف عن الكتابة أحيانا أخرى، وينحت في أحيان ثالثة مصطلحات قد تعبر أو لا تعبر بدقة عن تصوراته.
- ٣ اتصف فكر وايتهد بالتغير والتجديد، الأمر الذى جعله يغير من معانى
   مصطلحاته أو استخدامها استخدامات مختلفة فى كتبه العديدة.

ولندا جاءت كتابته غامضة بشكل جعل القراء إما أن يهملوا بعض مؤلفاته خصوصا الهامة والدقيقة منها، وإما أن يعملوا على تشويه أفكاره وتصوراته. فهاهو «برايس» يذكر أمام وايتهد «إنه يستطيع فهم الثلث الأول والأخير من كتاب (مغامرات الأفكار).. أما في الثلث الأوسط فأجدني أتعثر «كما يذكر في نص آخر، أنه لم يستطع فهم الفصلين الأخيرين من كتاب

(أهداف التربية) (١). ويعتذر بوخينسكى عما الحقه بفلسفة وايتهد من بتر وتشوبه اضطر إليه اضطرارا، (٢). وينصح القارئ ألا يعير كبير اهتمام لصعوبة الفصل الذى عقده عن وايتهد حتى لا تثنيه تلك الصعوبة الراجعة إلى طبيعة فكر وايتهد عن متابعة النصوص الأخرى للكتاب (٦). وبعد أن يعدد بوخينسكى كتب وايتهد يذكر أن الكتاب الرئيسي لوايتهد وهو كتاب (العملية والواقع) يتضمن نظرية ميتافيزيقية كاملة عن العالم لكنه يقول اونحن مضطرون لأن نطرح من حسباننا كتابه الرئيسي (العملية والواقع) نظرا لصعوبته البالغة، (١).

ويرى ايفور ليكليرك أن الافكار التي تدول حول الكيان الفعلى والتي عرضها في كتابه (العملية والواقع) بالغة التعقيد والصعوبة، فهر يبدأ بعبارات شديدة التركيز، ثم لا يمدنا بمقدمة تفسيرية لا في هذا الكتاب ولا في أغلبية كتبه الأخرى (°). أما ممتس، فيرى أن كتاب العملية والواقع، معتم وغامض وعليه أختام سبعة، لكي نفهمه علينا أن نبذل أقصى جهد فكرى ينتج عنه أن يتصبب جبيننا عرقا (1).

ويجب أن نشير هذا إلى فضل ميتافيزيقا وايتهد على الفكر الفلسفى المعاصر، ويمكن حصر هذا الفضل في عنصرين:

يتمثل الأول فى تخليص الفكر الفلسفى من الثنائية الديكارتية، بينما يتمثل الثانى فى حل مشكلة العلاقة بين الواحد والكثير.

<sup>(</sup>١) محاورة رقم ١٧ في ١٥ ديمسبر ١٩٣٩.

<sup>(</sup>٢) بوخينسكى : تاريخ الفاسفة المعاصرة في أوريا، الطبعة الليبية مقدمة الطبعة الأولى ص ١٦.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، ص ٢٣.

<sup>(</sup>٤) نفس المرجع : ص ٣٤٤.

<sup>(5)</sup> Ivor Leclerc; whitehead's Metaphysics, P. 15.

<sup>(</sup>٦) رودلف منس: الفلسفة الانجليزية في مائة عام، ترجمة فؤاد زكريا، الجزء الثاني ص ٢١٢.

#### أ - تخليص الفكر الفلسفى من الثنائية الديكارتية :

كان ديكارت من أعظم الفلاسفة المحدثين تأثيراً لاعلى الفكر الفاسفى المحديث وحده، وإنما إمتد هذا التأثير حتى شمل الفكر المعاصر أيضاً، وفيما يتعلق بنقطتنا قيد البحث نجد أن ثمة ثنائية واضحة فى فلسفة ديكارت، لم يستطع ديكارت أن يحلها، فلعبت دوراً كبيراً فى الفلسفات اللاحقة.

لقد ذكر ديكارت أن النفس والجسم جوهران متمايزان تمام التمايز بحبث يكون الواحد منهما جوهراً مستقلا تماماً عن الآخر؛ فماهية الجوهر الروحى هي الفكر، بينما ماهية الجوهر المادي هي الإمتداد. يقول فوليه، يمكن أن نستخلص من فلسفة يكادرت، التمييز بين النفس وجوهرها التفكير، وبين الجسم وجوهره الامتداد، (١). ويذكر ديكارت في «التأملات، أن هناك فرقاً كبيراً بين النفس والجسم، من حيث أن الجسم بطبيعته منقسم دائماً في حين أن النفس لا منقسمة (٢) . ويذهب بريدو اللي أن طبيعة النفس عند ديكارت لا تختلف فقط عن طبيعة البدن، بل إن الواحدة منهما تضاد الأخرى؛ فنحن لا نجد تصوراً نفسياً أو روحياً في مفهوم المادة، كما لا نجد تصوراً مادياً في مفهوم النفس، والأجسام ممندة، والنفس بعيدة عن الامتداد. والأجسام قابلة للإنقسام، بينما الروح أو النفس لا تقبل القسمة، (٦). ويؤكد مايير هذه الثنائية فيذكر ونحن نستطيع أن نؤكد في ديكارت على أن الجوهر المفكر موجود وأنه متميز تماما عن الأجسام (٤). ويقول بولبيه القد ميز ديكارت بين طائفتين من الكائنات؛ أو طائفتين من الجواهر؛ جواهر مادية، وجواهر مفكرة .. جوهر النفس وجوهر البدن.. الفكر والامتداد.. عالم المادة وعالم الأرواح، أي ميز يين عالمين بحكمان بواسطة قوانين مختلفة و(٥).

<sup>(1)</sup> Foulée: Descartes, P. 104.

<sup>(</sup>٢) ديكارت : التأملات، ترجمة عثمان أمين، التأمل السادس، فقرة ٣٨، ص ١٩٠.

<sup>(3)</sup> Bridoux; A.: Oeuvres et littres des descartes, introduction, P. XVIII.

<sup>(4)</sup> Meyer, F.: Ahistory of modern Philosóphy, P. 85.

<sup>(5)</sup> Bouilier; M. F.: Histoire et Critique de la revolution cartessiene, P. 290

حقاً لقد حاول ديكارب بعد أن أقام ثنائيته الحادة تلك بين النفس والبدن أن يبين اتحادهما؛ فذهب إلى أن النفس ليست حالة في جسدها كما يحل النوتي في سفينته ولكنها منحدة به اتحاداً جوهرياً، (١). وأن ثمة إتحادا جوهرياً بينهما يجعلهما كلا واحداً (٢). وأن ، وجود الفكر التخيلي فينا ووجود الشعور يحملاننا على الإعتراف باتحاد النفس مع الجسد، (٣) . وأن ، الإنسان من حيث هو مركب من نفس وجسد كائن بذاته لا بالعرض، (٤). وأن الغدة الصنوبرية هي مركز إتحاد النفس بالبدن لأنها.. مزدوجة أي نفسية وجسمية، (°). لكن رغم هذه الأقوال فإن المسألة لازالت باقية، ومما ساعد على ذلك أن ديكارب أشار في خطاب له إلى الأميرة اليصابات ابألا تفكر في الاتحاد عندما تفكر في التمييز، وبألا تفكر في التمييز وبألا تراعيه عندما تراعى الاتحاد؛ لأن المنربين من التفكير يتعارضان تعارضاً منطقياً وواقعياً (١) . وأكثر من ذلك نجده يقرر في المقال عن المنهج بأن النفس موجودة حتى إذا لم يكن الجسم موجوداً على الإطلاق. يقول ديكارت الو لم يكن الجسم موجوداً البتة، لكانت النفس موجودة كما هي بتمامها، (٧). وعلى هذا نرى أن ديكارت لم يعطنا حلا مقنعاً بقدر ما أعطانا مشكلة عويصة، ومسألة معقدة من كل الحوانب.

ونحن لا يعنينا هنا تنبع الفاسفات التى نجحت فى حل تلك المشكلة، أو تلك التى فشلت فى مواجهتها، فهذا خارج عن إطار بحثنا، لكن ما يعنينا فقط هو تقرير أن الفلسفات اللاحقة لفلسفة ديكارت اهتمت كلها بهذه المشكلة، وتأثر الكثير منها بثنائية ديكارت هذه .

<sup>(</sup>١) يرسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة، الفصل الثالث، من ٨٠.

<sup>(2)</sup> Kemp smith; N.: Descartes philosophical writings, P. 281.

<sup>(</sup>٣) ديكارات : التأملات، ترجمة عثمان أمين، فقرات ٢، ٣، ٤، ٥، ١٣،٦٠.

<sup>(4)</sup> Brehier; E.: Histoire de la philosophie, Tome II, Fac 1 P. 84.

<sup>(</sup>٥) نجيب بلدى : ديكارت، القسم الثاني، ص ١٢٨ .

<sup>(</sup>٦) المرجع السابق ذكره، ص ١٣٠.

<sup>(</sup>٧) ديكارت: : المقال عن المنهج، ترجمة محمود الخصيرى، القسم الرابع ٥٧ - ٥٨.

إن وايتهد الذي حل مصطلح والكيان الفعلى، محل مصطلح والجوهر، والذى تمسك بضرورة أن يكون النسق الفلسفى مترابطاً، لا يرتضى ثنائية ديكاربت هذه تماماً. يقول وايتهد اذهب ديكارت إلى أن الإمتداد والفكر نوعان مستقلان من الكيانات الفعلية، لكل نوع منهما ملامحه العامة، التي تختلف وتتمايز أساسا. إنني أرفض كل النظريات التي تقوم على نوعين مختلفين أو أكثر من الكيانات الفعلية؛ لأندى أرى أن مثل هذه النظريات قد فشلت في تحقيق معيار الترابط، (١). علاوة على أن مثل هذه النظريات تقع لا محالة فريسة لأغلوطة التموضع الزائف للعيني Fallacy of misplaced concreteness حين تحاول التوحيد بين ملامح خاصة بكل نوع منهما رغم تمايزهما في ملامح عامة واحدة : فديكارت مثلا وقع في تلك الأغلوطة حيتما اعتبر الإمتداد والفكر كجوهرين متمايزين، لهما ملامح أو خواص أو مبادئ جد متباينة، ثم حاول رغم ذلك أن يوحد بين هذه الملامح في ملامح عامة تنطبق على كل الأجسام والعقول (٢). ومعنى هذا أن ديكارت قد وقع في خطأ التوحيد حين أراد أن يوحد بين الملامح التي تكون طبيعة أو ماهية الأجسام، وبين الملامح التي تكون طبيعة أو ماهية العقول، ونظر إلى نتاج توحيده هذا نظرة من يعتبرها ملامح ميتافيزيقية نهائية وبالغة العمومية.

وفى نص آخر يذكر وايتهد اإن فرض ديكارت لا يلبث أن ينهار إذا ما إختبرنا قوته بمحك الترابط؛ ذلك لأن قبوله لنوعين من الجواهر (مادية وفكرية) يتضمن لا ترابطاً واضحاً. ونحن لا نجد فى فلسقة ديكارت أى سبب أو علة ترينا لماذا لا تقتصر فلسفته على جوهر واحد؛ يكون جسمياً مثلا أو يكون عقلياً، كما أن ديكارت يقرر من ناحية أخرى أن الجوهر الفردى لا يفتقر فى وجوده إلا لذاته (أى أنه مستقل ومكتف بذاته وغير مترابط بالجواهرالأخرى) ويتضح من هذا أن ديكارت قد شيد فلسفته على أساس من اللاترابط، فى حين أن الوقائع المشاهدة تبدو مترابطة، وعلى سبيل المثال، فى إتحاد النفس بالبدن، (۱).

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ماكميلان ١٩٢٩، ص ١٠٣.

<sup>(</sup>٢) وايتهد : الدين في طور النكوين، ماكميلان ١٩٢٦ ص ٢٩

<sup>(</sup>٣) وايتهد : العملية والواقع، ص ٨.

أما رأى وايتهد في هذه النقطة فهو يتعارض تماماً مع رأى ديكارت الخاص بالثنائية، فوايتهد يرى أن كل الكيانات الفعلية هي من نفس النوع، أي من نوع واحد، وأنه على الرغم من وجود درجات متفاوتة الأهمية، ووجود أي من نوع واحد، وأنه على الرغم من وجود درجات متفاوتة الأهمية، ووجود إختلافات في الوظائف إلا أن المبادئ التي تمثلها هذه وتلك من الكيانات الفعلية هي من نفس المستوى، وهذا يعنى وجود مجموعة واحدة فقط من المبادئ الكلية العامة التي تنطبق على كل الكيانات الفعلية أيا ما كانت، والله نفسه لا يمثل استثناء من تلك القاعدة إذا أردنا أن نحقق الترابط Coherence، والواقع أن مذهب وايتهد لا يجعل الوجود الإلهي مختلفاً في أساسه عن وجود الكيانات الفعلية الأخرى وذلك فيما عدا أنه أولى، إذا أننا لو قررنا تمايزا أو الكيانات الفعلية الأخرى وذلك فيما عدا أنه أولى، إذا أننا لو قررنا تمايزا أو واحدة من المبادئ الميتافيزيقية بأدنى نوع من الترابط.

وهكذا إستطاعت فلسفة وايتهد أن تخلص الفكر المعاصر من الثنائية الديكارتية بكل آثارها، والواقع أن هذه الفلسفة لم تقبل أى نوع من الإزدواج سواء بين الطبيعة والحياة، أم بين النفس والبدن، أم بين المظهر والمخبر، أم بين الظاهرة والشئ في ذاته (١).

لقد ذهب وايتهد إلى أن أهم خطأ يقع فيه الفلاسفة العقليون هو ما أسماه مشطر الطبيعة، The bifurcation of Nature أى شطرها إلى الذات والموضوع أو الفكر والإمتداد، أو الأنا واللاأنا، وأراد هو على العكس من ذلك أن يؤسس فلسفة عضوية، تشتبك فيها جميع هذه الأطراف كما يشتبك أيضاً أعضاء جسم الكائن الحي؛ فهذه الفلسفة العضوية هي التي تستطيع وحدها - في نظرية وايتهد - أن تجعلنا نتجاوب مع الواقع تجاوياً مباشراً (٢).

<sup>(</sup>١) زكريا ابراهيم: دراسات في الفلسفة المعاصرة، ص ١٨٨.

<sup>(</sup>٢) يحيى هويدى : أضواء على الغلسفة المعاصرة، ١٩٥٨، ص ٧٤.

ولا يجب أن يتسارع إلى ذهننا فكرة أن وايتهد قد وقع أسير الثنائية حين نادى بوجود القطبين الجسمى والعقلى في الكيان الفعلى؛ ذلك أن وايتهد حرص في فقرات عديدة على أن يؤكد بأن الكيان الفعلى هو كيان كلى واحد لا تقسيم فيه ولا تجزئ، وأننا حينما نقوم بتحليله إلى مشاعر تصورية وأخرى فيزيقية، فإن هذا لا يعنى ثنائيته؛ إذ أن هذا التحليل لا يتم إلا من ناحية التجريد لا من ناحية الواقع، فواقعياً لا ينقسم الكيان الفعلى، لكن تجريديا يمكن أن نقسمه. صف إلى ذلك أن وايتهد حرص على أن يقرر بأن القطب العقلى ليس إلا التسجيل التصورى للقطب الفيزيقي أو الجسمى، أي أن التصورات لا تقوم في الكيان الفعلى إلا على الاستيعابات أو الإستحواذات الجسمية التي يحتوى فيها كيان فعلى صائر على كيانات فعلية سابقة. فالكيان الفعلى إذن واحد؛ وكل الكيانات الفعلية هي من نفس النوع، ومن ثم تكون الفعلى إذن واحد؛ وكل الكيانات الفعلية هي من نفس النوع، ومن ثم تكون ملامحها أو صفاتها المتافيزيقية العامة واحدة من جهة، وعامة من جهة أخرى.

#### ب - حلها لمشكلة العلاقة بين الواحد والكثير:

ذهب وايتهد إلى أن المذهب الأحادى والمذهب التعددى أو مذهب الكثرة قد إنبثقا عن التفكير فى المشكلة العامة المتعلقة بطبيعة الكيان الفعلى أو الجوهر أو الموناد.. الخهل هو واحد أو كثير.. والواقع أن البحث فى طبيعة ذاك الذى يوجد، أى البحث فى طبيعة الكيان الفعلى أو الجوهر قاد الكثير من الفلاسفة من بارمنيدس حتى ماكتجارت إلى أن يقرروا أن الكيان الفعلى أو الجوهر يجب أن يكون واحدا one ثابتا Changeless حاصلا على اكتفاء ذاتى - Self يجب أن يكون واحدا one ثابتا Whole حاصلا على اكتفاء ذاتى - Sufficient وأن يكون كلا وحدويا Unitary whole ، وبمعنى آخر قاد الكثير من الفلاسفة إلى أن يقيموا مذاهب أحادية ، وبديهى أن مذاهب الكثرة أو التعدد توضع موضعا مضادا من المذاهب الأحادية .

ولقد رفض وايتهد المذهب الأحادى من زوايتين جوهريتين؛ تتمثل الأولى في عدم قدرة هذا المذهب على تحقيق الترابط Cohcrence ؛ ذلك أن المذهب

الأحادى يقرر أن لا وجود إلا لكيان واحد يتصف بأنه فعلى، ويتغافل عن الكثرة الملاحظة من الكيانات الفعلية الأخرى، أو لا يصفها إلا كأحوال أو مظاهر أو صفات للكيان الفعلى الواحد، تماما كما فعل اسبينوزا (١). الذى عرض لنا خلاصة فكرة عن هذه النقطة وغيرها في كتابه الرئيسى والأخلاق، على صورة نسق استنباطى بدأه بسبعة تعريفات وثمان بديهيات ثم استنبط منها سائر قضاياه (٢). والواقع أن اسبينوزا يعد من ضمن فلاسفة المذهب الأحادى فهو يرى أن الحقيقة في إطلاقها وبمامها هي الجوهر الوحيد أو هي الله، (٢).

يقول روجرز Rogers ويمكن أن نضع أية واقعة تحت أحد عناوين ثلاثة جوهر، صفة، حالة؛ والصفات والأحوال تعتمد على الجوهر أو الله، فيصبح الجوهر أو الله هو الحقيقة الأبدية واللامتناهية الوحيدة، (ئ). فالحقيقة وهى موضوع الفلسفة الأول تنقسم إلى قسمين كبيرين: الأول ماهو بذاته. والثانى عما يتقوم بغيره، وما هو بالذات أى ما كانت حقيقته متقومة بذاتها يسميها اسبينوزا بالجوهر، وما يتقوم بغيره، أى ما كانت حقيقته غير متقومة بذاتها، وتعتمد على الجوهر يسميها اسبينوزا حال الجوهر (٥). ويلاحظ جوكهايم وتعتمد على الجوهر يسميها اسبينوزا حال الجوهر (٥). ويلاحظ جوكهايم هو دما نفكر فيه ولكن لا نعرفه، فعند اسبينوزا لا يوجد إنفصال بين دما يوجد، وبين دما يوجد،

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٨.

<sup>(</sup>٢) أنظر في ذلك كتاب:

<sup>&</sup>quot; Great Book of western world No. 31 Second part" وأنظر أيضا ترجمة دقيقة لتلك التعريفات والبديهيات في كتاب اليبنتز، فيلسوف الذرة الروحية للمترجم، الفصل الثاني، ص ١٠٤ - ١٠٠.

<sup>(3)</sup> Spinoza: Ethics, Book 1 Proposition 14.

<sup>(4)</sup> Rogers, A.K: A Student's history of philosophy, P. 258.

<sup>(5)</sup> Spinoza; Ethics, Definitions 3 & 5.

الكاملة هي في الحقيقة. ويتضح من تعريفي الجوهر والحال أن الجوهر أولى بالنسبة إلى أحواله؛ لأن وجود وتصور الجوهر هو وجود بذاته ولا يفتقر إلى وجود وتصور أحواله، ومع ذلك فكلما كان فهمنا للأحوال أكثر كلما إزداد فهمنا للجوهر؛ لأن الأحوال هي الطرق أو الوسائل التي نستطيع بواسطتها تفسير الجوهر، كما أن فهمنا للأحوال يعلمنا كيف نفهم الجوهر؛ لأن فهمنا للأحوال يعني معرفتنا لوجودها من حيث هي مفتقرة إلى الجوهر، وقد يقال كيف يمكن أن نفهم الجوهر بما هو أدنى منه، يرد اسبينوزا على ذلك بأن هذه الأحوال لا يمكن تعقلها إلا في ضوء الجوهر، كما أن وجودها مفتقر إلى وجود هذا الجوهر ذاته، بينما نتقوم حقيقة ماعداه عليه (١). وإذ الله عنده واحد، والجوهر الذي يتكون من خلاله كل شي هو واحد، (١). الله والجوهر شي واحد، وهو موجود بالضرورة، أي أن والله أو الجوهر يوجد ضرورة، (١). والصفات والأحوال ليست لا متناهية على الحقيقة، وإنما يكون لا تناهيها والصفات والأحوال ليست لا متناهية على الحقيقة، وإنما يكون لا تناهيها بالإضافة إلى الجوهر اللامتناهي، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالوجود والأبدية.

اسبينوزا إذن من أنصار المذهب الأحادى؛ فقد قرر أن هناك جوهراً واحداً هو الله أو الطبيعة (ئ). إن المصطلحات جوهر، طبيعة.. الله. تعنى عنده نفس الشئ (°). فاسبينوزا بيوحد بين الجوهر والطبيعة والله، (¹). والحق أنه ربما كان ولع اسبينوزا بفكرة النسق الاستنباطى Deductive System المحكم هو الذى تأدى به إلى القول بجوهر واحد يكون مبدأ هذا العالم وجوهره، ويكون فوق قمة عرضه الفلسفى (۷).

(1) Joakhim; H.H.; Study of the Ethics of Spinoza, P. 14.

(3) Chartier; E.; Spinoza, Paris 1931, P. 31.

(6) Durant; The Story of philosophy, P. 188.

<sup>(2)</sup> Eardman; J, E.; History of Philosophy, translated by W.S. Houghding' P. 60.

<sup>(4)</sup> Russell; B.; A history of western philosophy, P. 571. (5) Wright; W.; A History of Modern Philosophy, P. 98.

<sup>(7)</sup> Encyclopeadia Britannice, 21, P. 735.

ويلاحظ Richard Mckeor نفس ما لاحظه وايتهد على فلسفة اسبينوزا وعلى كل فلسفة أحادية فيقول الله فلسفة اسبينوزا لا تعطينا نسقا مترابطا لعناصر متوافقة، ولكنها تقدم لنا فكرة جوهر واحد غير مفتقر الى غيره، ويفتقر سائر ماعداه إليه (۱). كما يلاحظ آخرون أن السبينوزا لم يفلح فى محاولة التوفيق بين وحدة الجوهر وكثرة الصفات والأحوال، فلم يبين كيف يمكن أن تصدر عن الجوهر الواحد صفات وأحوال لا نهاية لها ومتغيرة إلى مالا نهاية، لقد قال السبينوزا بنوعين من العلية؛ علية داخلية بين الجوهر والصفات والأحوال، وعلية خارجية بين الأحوال بعضها وبعض فكيف نفسر هذه، وكيف نوفق بينها وبين تلك ؟ (١).

لقد قرر وايتهد ،أن الثغرة التي تمثل نقطة الضعف في نسق اسبينوزا تتمثل في تقديمه المتعسف لفكرة الأحوال، (٢). فالكيان الفعلى ،الجوهر، إذا كان كلا واحدا، وغير متغير، ومكتف ذاتيا، فلا يمكن أن تتوافق مع طبيعته تلك اختلافات وتغيرات أحواله، ومظاهره المتعددة بل واللانهائية، فتصور كثرة الأحوال أو العظاهر لن يكون في هذه الحالة أكثر من تصور إضافي لا مترابط نضيفه إلى الكيان الفعلى الأوحد إضافة خارجية، أو سيكون بمثابة مبدأ منفصل نضيفه ونلصقه بالمذهب الأحادي لصقا. علاوة على أنه ليس ثمة من سبب أو علة توجد في صميم الكيان الفعلى الأحادي، وتجعله يغير ذاته خلال كثرة من الأحوال والمظاهر؛ إذ كيف يمكن أن تتولد عن الوحدة الثابتة للواقعة ما يسمى بوهم أو خداع التغير؟ (٤). ضف إلى ذلك أن ما نلاحظه بوضوح في معطيات، عالمنا من أحوال ومظاهر هي من مبدأ لا يرتبط بمبدأ الكيان الفعلى معطيات، عالمنا من أحوال ومظاهر هي من مبدأ لا يرتبط بمبدأ الكيان الفعلى كما صوره اسبينوزا.

<sup>(1)</sup> Mckeon; R. The philosophy of Spinoza, P. 162.

<sup>(</sup>٢) يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة، فقرة ٥١ ص ١١٧.

<sup>(</sup>٣) وايتهد : العملية والواقع، ص ٨.

<sup>(</sup>٤) وايتهد: أنماط الفكر، ماكميلان ١٩٣٨، ص ٧٣.

أما الزواية الثانية التى رفض وايتهد على أساسها المذهب الأحادى فتتمثل فى خطأ توحيد هذا المذهب بين ملامح معينة تتكون عنها الطبيعة الميتافيزيقية للكيان الفعلى أو الجوهر؛ فالجواهر عند وايتهد أو الكيانات الفعلية بمعنى أدق كثيرة ومتنوعة وهى تظهر ملامح عامة غير تلك التى يظهرها المبدأ الأحادى الأوحد وهو الله أو الطبيعة أو الجوهر.

رفض وايتهد إذن المذهب الأحادى، وقبل مذهب الكثرة أو التعددية، ولكننا يجب أن نعى تماما المعنى الدقيق لقبول وايتهد لمذهب الكثرة أو التعددية، وفي هذا الصدد يطالعنا وايتهد بقوله وإن الوقائع النهائية متشابهة كلها في كونها كيانات فعلية والتهد بقوله وإن الوقائع النهائية متشابهة كلها في كونها كيانات فعلية ومتعددة ورغم ذلك فهي متشابهة، أو هي من نوع فالكيانات الفعلية كثيرة ومتعددة ورغم ذلك فهي متشابهة، أو هي من نوع أساسي واحد One Basic Kind وكونها من نفس النوع يعني أنها تظهر مبادئ وملامح عامة واحدة والانتهد يرفض كل النظريات التي تقوم على نوعين أو أكثر من الكيانات الفعلية، بنفس الطريقة التي رفض بها المذهب الأحادي، لأنه رأى أن مثل هذه المذاهب التعددية التي تقوم على نوعين أو أكثر من الكيانات الفعلية تفشل في تحقيق الترابط وتقع في أغلوطة التموضع الزائف للعيني و Fallacy of misplaced concreteness .

إن نظرية وايتهد مبنية على أساس أن كل الكيانات الفعلية - وهى كثيرة - هى من نفس النوع، أى من نوع واحد، وأنه على الرغم من وجود درجات متفاوتة الأهمية وإختلافات فى الوظائف إلا أن المبادئ التى تمثلها هذه وتلك من الكيانات الفعلية هى على نفس المستوى . وهذا يعنى وجود مجموعة واحدة من الكيانات الفعلية أيا ما كانت، من المبادئ الكلية العامة التى تنطبق على كل الكيانات الفعلية أيا ما كانت، والله نفسه لا يمثل استثناء من تلك القاعدة إذا أردنا أن نحقق الترابط كما ذكرنا.

لقد تصور وايتهد تعددية الكيانات الفعلية على نحو يكون فيه وجود كل كيان فعلى اكعملية صيرورية، تتحقق بفضل الفاعلية الذاتية الخاصة بكل كيان فعلى فردى؛ فكل كيان فعلى يوجد اكفعل صيروري، وكل فعل

صيرورى يصير أو يأتى إلى الوجود بكيان فعلى فردى، وهذا يعنى أن كل كيان فعلى إنما يوجد بفضل فاعليته الكائنة فيه، وتلك الفاعلية الخاصة بكل كيان فعلى، تكون عامة، وتنطبق على الجميع. وعلى هذا النحو يصير كل ما هو فعلى قردياً، بفضل فاعليته الخاصة والتي هي عامة بالنسبة إلى كل كيان فعلى، بمعنى أن الفاعلية تكون عامة بالنسبة إلى جميع الكيانات الفعلية، وتكون خاصة بالنسبة إلى جميع الكيانات الفعلية،

إن نظرية وايتهد عن «معيه النمو» عدل مشكلة العلاقة بين الكثرة والوحدة؛ ففي عملية معية النمو Concrescence «تتكامل عدة أشياء في كل واحد فردي؛ بحيث تتكامل حتما الكثرة Many في مكون واحد one جديده (۱). والواقع أن وايتهد يستخدم مصطلح «معية النمو Concrescence» للدلالة على عملية التكامل هذه حيث يتم إحتواء الكيانات الفعلية السابقة في كيان فعلى واحد جديد، أو بحيث تتكامل عدة موضوعات أو معطيات سابقة مكونة لكيان فعلى واحد جديد، ولا يلبث هذا الكيان الواحد الجديد أن يكون بمثابة معطى هو وغيره من الكيانات القعلية التي فقدت مباشراتها الذاتية لكيان فعلى جديد آخر وهكذا دوماً؛ ولعلنا نستطيع أن نفهم الآن معنى قول وايتهد «إن الحادثة حادثة واحدة بين حادثات أخرى، لكنها تحتوى على الحادثات الأخرى التي تكون واحدة بين حادثات أخرى، لكنها تحتوى على الحادثات الأخرى التي تكون

وينبغى أن نلاحظ هنا أن المصطلح ،كيان Entity ، لا يعنى شيئاً آخر سوى أنه يكون واحدا ضمن كثرة تجد أماكنها في كل مثال من أمثلة معية النمو، (٣) وذلك لأن أي كيان مهما كان، يكون طبقا لمقولة النسبية موضوعا بالقوة لبعض حادثات الخبرة (٤).

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٢٩٩.

<sup>(</sup>٢) وايتهد: مغامرات الأفكار، ماكميلان ١٩٣٣، ص ١٣٢.

<sup>(</sup>٣) وايتهد : العملية والواقع، ص ٢٩٩

<sup>(</sup>٤) نفس المرجع، ص ٣٠٠.

لقد رأى وايتهد فى سبيل سعيه لايجاد نسق مينافيزيقى مترابط أن العملية الخالقية ذاتها هى عملية إيقاعية rhythmic تتأرجح ما بين إنتشارية أشياء عديدة إلى وحدة فردية، ثم تعاود التأرجح من فردية واحدة إلى إنتشارية فرديات موضوعية. إن التأرجح الأول تسيطر عليه العلة الغائية التى هى مثالية المعلة العائرجح الثانى تسيطر عليه علة فاعلية التى هى فعلية الكائمة التى هى فعلية المعلة العائمة التى العلة العائمة التى العلة العلية التى العله علية فعلية التى العله علية فعلية التى العله علية التى العله علية العلية التى العله العلية التى العلية العلي

مما سبق نستطيع أن تحدد المعالم الرئيسية التالية عن العلاقة بين الكثرة والوحدة:

١ – أن الكثرة يتكون عنها دائماً ما هو واحد، وهذا الواحد الجديد مع وحدات أخرى تكون كثرة ينشأ عنها واحد جديد وهكذا دوماً. وبعبارات وايتهدية: يتكون عن الكثرة من الكيانات الفعلية التي تمت وإكتملت ثم فسدت وفقدت مباشراتها الذاتية كيان فعلى جديد في هيئة كل واحد، وهذا الكيان الفعلى الجديد يتحول - إذا ما اكتمل وفسد وفقد مباشرته الذاتية - من ذات إلى موضوع، لكي يؤلف مع غيره من الموضوعات المماثلة معطيات لكيان فعلى جديد، وهكذا دوما.

٢ – إن التصور المتافيزيقى الرئيسى الذى يلعب دورا مهما هنا هو تصور معية النمو، فحسب هذا التصور يحتوى الكيان الفعلى الصائر؛ أى الكيان الفعلى الجديد، على الكيانات الفعلية السابقة التى فقدت ذاتياتها وتحولت إلى موضوعات أو معطيات. لكن هذا الكيان الفعلى الجديد يتحول بدوره بعد أن تكتمل عملية معية نموه إلى موضوع بعد أن كان ذاتا Subject ويؤلف هو وغيره من الكيانات التى اكتملت معية نموها وفقدت مباشراتها الذاتية، كيانا فعليا جديدا.. وهكذا دائماً فالعالم حسب هذا التصور جدة مستمرة أو تقدم خلاق.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٢١٠.

٣ - وينتج عن هذا أن العرققات القائمة بين الكيانات الفعلية هي علاقات داخلية ولا خارجية. علاقات إعراء وتداخل؛ تدخل فيه كيانات فعلية سابقة وتحتوى في كيان فعلى جديد. ولا بلبث هذا الكيان الجديد بعد أن يتحول من ذات إلى موضوع أن يدخل أو يُحتوى في كيان فعلى جديد آخر.

٤ - كما ينتج أيضا أن الكيان الفعل الواحد يكون ذاتا تحتوى الكيانات السابقة فى داخلها، كما يكون موضوعا معطى لكيان فعلى جديد لاحق، يدخل أو يحتوى فى داخل هذا الكيان الأخير، وهذا يتوافق مع مقولة النسبية كما صاغها وايتهد.

م اليس ثمة استاتيكية راكدة، أو موات أو جمرد حسب ميتافيزيقا وايتهد..
 بل هناك تقدم خلاق، وديناميكية متحركة، يساهم فيها السابق في وجود الحاضر، ويساهم الحاضر في تشكيل اللاحق بصورة أبدية دائمة.

فى صوء ما سبق، ومن منظور حل وايتبهد لمشكلة علاقة الكثرة بالوحدة نستطيع الآن أنْ نعى تماماً تصور وايتهد للعالم. إن العالم كما تصوره وايتهد هو عالم فاعلية خلاقة، تتكون من وحدات حقبية فردية، بحيث تتعاقب الكيانات الفعلية. الواحدة تلو الأخرى باستمرار، مؤسسة ما يسمى بالتقدم الخلاق نحو الجدة (١).

ورغم أننا نؤكد على واحدية الكيانات الفعلية، فإن ثمة إتصالات ترابطية قوية تقوم بينها، إلى الحد الذى نستطيع أن نقول وفقه أن التقدم الخلاق للعالم لا يحدث إلا بواسطة إندماج الفعليات السابقة في التكوين الداخلي لفعليات اللية أو دخول حادثات سابقة وتأثيرها في نشأة أو ميلاد حادثات تالية (٢). ويؤكد وايتهد أن هذا التقدم الخلاق للعالم لا يتم في صورة خط ورائي مفرد. بل هو شديد التركيب. يقول وايتهد وإن معطيات أي كيان فعلي مفرد تتكون

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٢١٤.

<sup>(</sup>٢) وايتهد : الدين في طور التكوين، ماكميلان، ص ٩٩.

من المحتوى الكامل العالم السابق كما يوجد بالنسبة إلى هذا الكيان، (۱). ويذكر في فقرة أخرى ،أن العالم كله يتآمر على إنتاج خلق جديد، (۲). فالعملية الخلاقة هي إذن تعشيق مشبك intricate mesh من العلاقات الداخلية، يكون فيه كل كيان فعلى مفرد متوارثاً عن كل ما سبقه، ومضيفا لكل ما يتلوه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة (۲).

إن الفعل الخلاق في مذهب وايتهد هو العالم الصائر دوما إلى واحد.. ي وحدة جزئية.. تضيف إلى الكثرة التي هي العالم واحدا جديدا (1).

إن تصور وايتهد عن أن كل كيان فعلى يكون توحيدا لكثرة من الكيانات الفعلية السابقة، ثم يصبح هو نفسه موضوعا أر معطى لمعيات نمو لاحقة يتضمن ضمن ما يتضمنه حل وايتهد لمشكلة الواحد والكثير The one and يتضمن من حيث أن الطبيعة الميتافيزيقية لكل كيان فعلى تتمثل في كونه عملية معية نمو أو عملية توحيدية؛ توحد الكثرة في كيان فعلى مفرد واحد. عملية معية نمو أو عملية توحيدية؛ واحدا دوما، فإذا ماتم ذلك فان هذا الواحد المؤرة في مذهب وايتهد تصير واحدا دوما، فإذا ماتم ذلك فان هذا الواحد الموحد للكثرة يضاف كواحد إلى الكثرة .. وهكذا. فالتقدم الخلاق إذن هو عملية إيقاعية تتأرجح بين الكثير والواحد ثم بين الواحد والكثير. وتؤكد الفاسفة العضوية الوايتهدية أن وليس ثمة استقلال للأشياء بعضها عن بعض.. ان كل الحداثات الفعلية تعتبر - حسب طبيعة الأشياء - نقطة الإنطلاق لمعية نمو أخرى، ننبثق من تلك الحادثات الفعلية وتتخذ لنفسها وحدة عينية .. إن نمو أخرى، ننبثق من تلك الحادثات الفعلية وتتخذ لنفسها وحدة عينية .. إن العالم الفعلي لا يكتمل أبدا؛ إذ تظهر فيه دوما كيانات فعلية جديدة منبثقة عن الكيانات الفعلية السابقة .. إن العالم نسبى دائماً يحدث فيه بزوغ وإنتقال، (٥).

<sup>(</sup>١) وابتهد: أنماط الفكر، ص ١٢١

<sup>(</sup>٢) وايتهد : الدين في طور التكوين، ص ٩٩.

<sup>(</sup>٣) ليكليرك، ايغور : ميتافيزيقا وايتهد، ص ١٢٠.

<sup>(</sup>٤) وايتهد : العملية والواقع، ص ٧٨.

<sup>(</sup>٥) نفس المرجع، ص ٣٠٠.

وبكلمة أخرى ليس ثمة إكتمال استاتيكي، فالعالم يضيف إلى نفسه الجديد دوما.

ويتضح مما سبق أن وايتهد كما خلّص الفكر الفلسفى المعاصر من مشكلة الثنائية خلصه أيضاً من مشكلة العلاقة بين الواحد والكثير، وقدم هنا فلسفة جديدة تتداخل فيها الكثرة مؤسسة للواحد، الذى ينضم إلى غيره مكونا معه كثرة أخرى تدخل فى تكوين واحد جديد وهكذا دوما.

إن فلسفة وايتهد فلسفة صعبة، بيد أنها تحمل تصورات جديدة غير مألوفة وقد تم صياغتها في مصطلحات تم نحتها لكي تعبر عن تلك التصورات التي أراد لها وايتهد أن تكون ذات معاني جد مختلفة عما كان موجودا في العرف الفلسفي الطويل. لذا فقد يجد القارئ الكريم ترجمة غير مألوفة لبعض المصطلحات لكنها تعبر أصدق تعبير عما تصوره وايتهد وفكر فيه.

آمل أن يحقق هذا العمل الأمل المرجو منه، والله ولى التوفيق، الاسكندرية في ١٩٩٩/٧/١

المترجم أ.د.على عبدالعطى محمد

#### استهلال

#### بقلم المؤلف

يستهدف هذا الكتاب تقديم صورة توضيحية للنسق الفلسفى لكتاب وايتهد (العملية والواقع) ولأعماله الأخرى التى صدرت فى الفترة الأخيرة من حياته.

إن أحد الطرق المهمة لفهم أفكار هذا الفياسوف إنما يعتمد على تقويم المشاكل التى اهتم بها بصورة أساسية؛ فمثل هذه الطريقة تلائم على وجه الخصوص فكر وايتهد إلى حد كبير، ولكننا لا يمكن أن نتحاشى - رغم ذلك - رأيا آخر يقرر أنه من الضرورى أن نبحث عما كانت عليه هذه المشاكل من قبل، واضعين في الاعتبار أنه لم يوجد بعد أى اتفاق عام على تلك المشاكل التي عرضها وايتهد على دراسيه.

إن كتاب (العملية والواقع) يبحث بوجه خاص في تطوير نسق فلسفي شرحه وايتهد شرحا تفصيلياً في هذا الكتاب الذي اتسم عرضه للمشاكل الفلسفية بطابع ميتافيزيقي على عكس كتاباته الفلسفية المبكرة التي اهتم بها بالعلم الطبيعي.

لقد حاولت الله أوضح في عملى هذا أل المشاكل الرئيسية عند وايتهد تنتمى إلى التراث الفلسفى الطويل الذي بدأته بلاد اليونان، ومن ثم كان على أن أفسر كيف ولماذا حاول وايتهد أن يضع أسئلته الفلسفية بطريقة مختلفة جدا عما كان موجودا في الفكر السابق عليه. كما حاولت أن أبين مواضع الأصالة والجدة في فلسفته.

وحين نقبل هذا الرأى، وهذا المدخل لفلسفة وايتهد فإننا يمكن أن نفهم أفكاره ومصطلحاته بصورة عادلة، كما يمكن أن نفسر تفسيرا نسقيا أفكاره الرئيسية ومقولاته الميتافيزيقية في أى مرحلة من مراحل تطوره الفكرى.

وترتيبا على ذلك فمن الملائم أن أذكر بعض الكلمات عن منهجى فى تفسير فلسفة وايتهد؛ فعلى العكس من وايتهد نفسه الذى يضع كل أفكاره مقدما، فكرة بعد أخرى، فلقد قدمت على العكس منه ـ أفكاره ومصطلحاته فى نسيج فلسفته كلها. وفى كل مرحلة حاولت أن أناقش كل مشكلة بكل ما يتعلق بها من أفكار تترابط معها. ولقد وجدت أنه من الصعوبة بمكان أن أتفادى التبسيط الزائد من جهة، والمحاولة المفرطة فى شرح تفسير فلسفته من جهة أخرى. وتركت لقرائى أن يقرروا مدى نجاحى فى هذا الصدد.

إن الفصل الأول يستعرض بإيجاز تطور فكر وايتهد من فلسفة العلم إلى الميتافيزيقا كمسألة أساسية. أما الفصل الثانى فهو يعد الفصل الرئيسى فى هذا الكتاب؛ إذ يبين مجالات الاهتمام الجوهرى لوايتهد والفصل الرابع وما يتبعه من فصول الباب الثانى تحاول أن تتعامل مع تطور المفاهيم والمشاكل التى نتجت عما ذكره وفسره وايتهد فى الفصل الثانى.

وفى معالجته لهذه المشاكل وصولا إلى الحلول الخاصة بها اتبع وايتهد منهجا تفسيريا له معاييره الخاصة كما سأوضح ذلك فيما بعد. أما الفصل الثالث فيحتوى على تبرير وايتهد للمنهج ومعاييره. ولقد تم شرح الفكرة الأساسية لخطة وايتهد تدريجياً في البابين الثاني والثالث. أما الباب الرابع فتوجد فيه محاولة خاصة في الفصل الأخير تعالج فلسفة وايتهد عن الكون أو ما يسمى بالكوزمولوچيا.

والواقع أنه لا يمكن فهم فكر أى فيلسوف عظيم بدفة دون دراسة أعماله الرئيسية، وكتابات وايتهد تتصف بأنها صعبة جدا بسبب أسلوبه المحدد والذى يجمع بين ما هو معقد جدا وبين ما هو غير مألوف من المصطلحات والعبارات. وتبعا لذلك كان من الواجب أن استهدف تفسير ما جاء فى هذا الكتاب لكى نسهل على القارئ، ونوفر جهوده فى معالجة الأصول الفلسفية بما هو مألوف من العبارات. وفى هذا الصدد فلقد افتبست نفس كلمات وايتهد بكثرة مفسرا وموضحا العبارات الأساسية ذات العلاقة بالمشكلة الفلسفية موضوع التفسير، وهذه هى الميزة الثانية التى سوف يجدها القارئ متمثلة فى الرجوع إلى العبارات فى سياقها الأصلى.

ولابد أن نؤكد أن هذا الكتاب دقيق في عرضه ولقد تركنا الفحص النقدى لعمل قادم؛ ذلك لأن تقديم هذا النقد في هذا الكتاب سيجعل حيزه ضخما جدا.

إنى مدين على وجه الخصوص لزوجتى Dr. Eva Schaper بكلية Dr. Eva Schaper الجامعية؛ فأنا لم أتلق تشجيعها الدائم لى أثناء تأليفى هذا الكتاب فقط ولكن مناقشتها لى عدة أعوام كانت عاملا أساسيا فى تطوير فهمى لفكر وايتهد. وكثيرا ما كنت أستمع لأوجه نقدها فى كل مرحلة من مراحل إعداد هذا الكتاب، بالإضافة إلى أنها عاونتنى فى توضيح بعض العبارات وتوجيه انتباهى للشكل والمضمون، وبالإضافة إلى ذلك فلقد أخذت على عاتقها قراءة ومراجعة ما تم طبعه فى الولايات المتحدة الأمريكية.

كما أوجه شكرى للسيد Gwyn Jones لمساعدته في اصلاح تجارب هذا الكتاب. كما أود أن أعبر عن أمتناني لأستاذي C.A. Compbell في جامعة جلاسجو والأستاذ H.D. Lewis من الكلية الملكية بلندن، والأستاذ Weiss بجامعة يال. فلقد قرأوا كتابي في مسودته الأصلية وقدموا لي نصائح قيمة ومساعدات ذات بال.

إن الأستاذ C.A Compbell هو رئيس القسم الذي أعمل به، ولقد منحنى الشجاعة والعون على تنفيذ هذا العمل وهو ما أقدره له، وأود أن أشكر أيضا

الاستاذ المشارك وليم. أ. كريستيان لقيامه بقراءة هذا الكتاب قراءة دقيقة ولتعليقاته القيمة التى لم أعرفها إلا بعد مثول هذا الكتاب للطبع وهو أمر مؤسف.

وأنها لمناسبة طيبة أن أعترف بدينى للكثيرين مثل الأستاذ .E.H.F. الذى تعلمت على يديه أن أقدر طبيعة المسائل الفلسفية، وأن أتفهم متطلبات التفكير الفلسفى، كما أقدم شكرى إلى معهد Pontificol لدراسات العصور الوسطى لسماحه لى بأن أقتبس بعض الفقرات من كتاب جلسون الوجود وبعض الفلاسفة،

New Haven Conn Norember, 1957

ايفور ليكليرك



## الباب الأول تمهيد توضيحي

الفصل الأول : محاولات وايتهد الفلسفية

١ - الاهتمامات الفلسفية المبكرة لوايتهد.

٢ - المسألة الميتافيزيقية.

الفصل الثانى : الميدأ الانطولوجي

٣ - المشكلة الميتافيزيقية الأساسية.

٤ - المبدأ الأنطولوچي.

الفصل الثالث : طبيعة الميتافيزيقا ومنهجها.

٥ - طبيعة الميتافيزيقا.

٦ - منهج الميتافيزيقا.



# الفصل الأول محاولات وايتهد الفلسفية

١ - الاهتمامات الفلسفية المبكرة لوايتهد.

٢ - المسألة الميتافيزيقية.



### الاهتمامات الفلسفية المبكرة لوايتهد

يتطلب الفهم الحقيقى والسليم لفكر فيلسوف ما رؤية واضحة للمشاكل والمسائل التى كانت مثار اهتمامه، وإدراكا دقيقا؛ بالسياق التى مثلت بها فى عقله. والحق أن ذلك يعد مطلبا هاما لفهم متيافيزيقا وايتهد؛ فنحن نسئ فهم فكره، ونخطئ فى إدراك ميتافيزيقاه، والوعى بخلاصة فلسفته وجوهرها إذا تغافلنا عن هذا الذى قررناه.

وحينما ننظر إلى فكر وايتهد من منظور تاريخى تتابعى، فإننا نجد أمامنا مباشرة فترة مبكرة إنشغل فيها بما يسمى بالمشاكل الفلسفية للعلم الحديث تلك المشاكل التى تركزت حولها الأفكار، وسال فيها مداد الأقلام، وبلغت شأوا كبيرا مع بدايات القرن العشرين (١).

<sup>(</sup>۱) إنساق وايتهد إلى هذا النوع من الاهتمام، وألف فيه أربعة كتب (نش وايتهد الكتاب An inquiry concerning the Principles of الأل منها عام ۱۹۱۹ وهو بعنوان The concept ونشر الكتاب الثاني عام ۱۹۲۰ وهو بعنوان natural Knowledge قلقد of Nature أما الكتاب الثالث وعنوانه The Principles of Relativity فلقد نشره عام ۱۹۲۷، ونشر وايتهد الكتاب الأخير عام ۱۹۲۹ وضمنه عدة مقالات تدور حول

لقد كتب وايتهد عبارة أثارت اهتمام الباحثين فى مقدمة الطبعة الثانية An inquiry cocerning the principles of Natural Knowledge الذى نشر عام ١٩٢٥ أى فى أواخر المرحلة المبكرة من أعماله، يقول فيها:

وإنه يأمل في المستقبل القريب، أن يجسد النقطة الرئيسية في كتابه هذا، في دراسة ميتافيزيقية أكثر كمالا، ولقد فهم البعض هذه العبارة على أنها تعنى أن ميتافيزيقا وإيتهد تعتبر تطويرا وامتدادا ونضجا لنظرياته وآرائه المبكرة - التي كانت تدور حول المشاكل الفلسفية للعلم - بطريقة أكثر فهما ومعقولية، بحيث تفهم في ثناياها دوائر أخرى غير الدائرة العلمية وحدها. ولقد مثل هذا رأيا واسع الانتشار، بالغ التأثير، بحيث أضحى المفكرون يقررونه بكل ثقة، وهم بإزاء توضيح علاقة ميتافيزيقا وايتهد بفلسفته المبكرة عن العلم، كما أعتبروه مفتاحا يساعد على ولوج مذهبه الميتاقيزيقى، وتبين أركانه ونواحيه، بكل يسر ووضوح. وقد ذهب هؤلاء في تعضيد هذا الرأى إلى القول بأن ميتاقيزيقا وايتهد تعتبر فلسفة لفيزيقا القرن العشرين، وأنها تعبر وولكوانتا، وأن وايتهد قد عاد مرة أخرى إلى نفس المشاكل الفلسفية للعلم والكوانتا، وأن وايتهد قد عاد مرة أخرى إلى نفس المشاكل الفلسفية للعلم الحديث في كتاباته المتأخرة، مناقشا حلول هذه المشاكل ونتائجها بمصطلحات مستقاة من تصوره الميتافيزيقي.

The Aims of Education and Other المشاكل الفلسفية للعلم، تحت عنوان Essays.

تشير موضوعات وعناوين تلك الكتب إلى اهتمام وايتهد المبكر والبالغ بالمشاكل الفلسفية للعلم، وتكريس فكره لها، وتركيز إنتباهه عليها. ويجب أن نلاحظ هنا أن اهتمامات وايتهد الأولى تلك بفلسفة العلم، جعلت الكثير من مؤرخى الفلسفة يقررون أن هذه الاهتمامات لعبت دورها الكبير في كتابات هوايتها المتأخرة بحيث أن تلك الكتابات المتأخرة لم تكن إلا مجرد امتداد للمسائل الفلسفية للعلم والتي كانت محور إهتمامه المبكر. لكن سؤالنا الآن هو: هل لعبت فعلا تلك المشاكل الفلسفية للعلم دورا رئيسيا في فلسفة وايتهد وميتافيزيقاه ومن ثم تكون قد شغلته في كتاباته المبكرة والمتأخرة على حد سواء ؟

هذا الرأى القائل بوجود علاقة بين نظرية وايتهد المتأخرة - وهى نظرية ميتافيزيقية - وبين أفكاره المبكرة التى تدور حول المشاكل الفلسفية للعلم هو رأى خاطئ، وأنه لا صحة مطلقاً للقول بأن ميتافيزيقا وايتهد كانت مجرد إمتداد لتفكيره المبكر فى المسائل العلمية، وأن هذا الرأى وذاك القول يتغافلان عن تلك النقلة الحيوية التى قام بها وايتهد، وانتقل بها من دائرة إهتمامات مبكرة إلى دائرة أخرى، إن هذه النقلة ليست مجرد توسيع لدائرة إهتمامات وايتهد الأولى، وليست مجرد إمتدادلنظريته الأولى .. إن وايتهد إنتقل حينما تحول إلى الميتافيزيقا من مجموعة أخرى من المشاكل، تختلف عن تلك التى المتم بها فى باكورة إهتماماته، وليس صحيحا أن نظرياته الأولى بقيت كما هى؛ فتجسيدها فى نظرية ميتافيزيقية تضمن تغييرات جذرية لم يكن يتوقعها وايتهد نفسه. ولقد أيد وفكتور لو، (۱) ما قلته فذكر أن طبيعة ومدخل ومعالجة وايتهد للمشاكل الفلسفية للعلم قد أصابها الكثير من التغيير فى ميتافيزيقاه. والواقع أن وايتهد قد تناوله الكثير من الشك فى أواخر حياته فى فلسفة العلم الدرجة أنه نساءل عما إذا كان هناك موضوعا خاصا يسمى يغلسفة العلم أم لا؟

ويمضى أصحاب الرأى الأخير في شرح رأيهم فيذهبون إلى أن وايتهد أدرك منذ بدايات عام ١٨٩٠ أن النظريات الفيزيقية الجديدة تتضمن فيما تتضمنه هدما وتخريبا لفيزياء نيوتن. يقول وايتهد : «إن قصة إنهيار فيزياء نيوتن إمتدت على طوال قرن كامل، وفي غضون الجزء الأكبر من هذا القرن، لم يكن العلماء يهتمون ببيان أن ما يقدمونه من أفكار علمية. الفكرة تلو الأخرى، لو تجمعت في نسق فكرى، لكان هذا النسق غير متوافق مع النسق النيوتني، الذي سيطر على فكرهم، وشكل طريقة تعبيرهم. ولقد بدأت قصة الإنهيار هذه بظهور النظرية التموجية للضوء وإنتهت بظهور النظرية التموجية للمنوء وإنتهت بظهور النظرية التموجية للمادة، (٢).

<sup>(</sup>١) فكتور لو: وايتهد والعالم الحديث، ص ١٩.

<sup>(</sup>٢) وايتهد : مغامرات الأفكار، ص ٢٠٠.

لقد تنبأ وايتهد مبكراً، وبوضوح كامل، بأن الوقت سيأتى، ويثبت عدم تماسك وتناسق التصورات الخاصة بالفيزياء النيوتينية. وأن النظرية النيوتينية ستواجه بالإحباط التام كلما تقدم العلم، وتقدمت أبحاثه، بحيث يصبح من الضرورى تغيير هذه التصورات وتلك النظرية. ولكن ما هى تلك التصورات التى تتكون منها النظرية النيوتينية ؟ الواقع أن الفيزياء الكلاسيكية النيوتينية كانت مهتمة بإكتشاف قوانين الحركة الخاصة بالأجسام المادية، والتعبير عنها بلغة الرموز الرياضية، ومن ثم ظهرت التصورات الرئيسية التالية: المادة، المكان، الزمان، يقول وايتهد: «المادة، والمكان، والزمان، والقوانين المختلفة الخاصة بإنتقال الأشكال المادية، أخذت واقعاً ثابتاً نهائياً لا يمكن العبث به، أو الاقتراب منه، (١).

وحين النظر إلى هذه التصورات التى إعتبرتها النظرية النيوتينية الكلاسيكية نهائية، نجد أنها تؤدى إلى عدة صعوبات وتناقضات لا يمكن قبولها، وربما كان ذلك بسبب تركيز النظرية النيوتينية لمعظم إنتباهها على إمكانية التعبير بدقة، وبرموز رياضية بحتة، عن الجزئيات المادية وإنتقالاتها وتشكلاتها المختلفة خلال آنات زمانية لا ديمومية ووحدات مكانية ثابتة، الأمر الذى لا يمكن أن ينتج عنه أى تغير حقيقى، أو يستقيم معه أى تصور السرعة وقوة الحركة والطاقة المحركة. يقول وايتهد: «إن توزيع المادة خلال المكان والآنات الزمانية اللاديمومية، هو أمر حقيقى فى الفيزياء الكلاسيكية، لكن نفس الفيزياء تقرر أيضاً توزيعاً ثانيا لنفس المادة خلال نفس المكان لكن بعد واضح، ولقد تمت الإشارة إليه إبان بزوغ ذلك التصور وفى فترات سيادة تلك الحركة أو للطاقة المحركة، وهى فى نظرنا عناصر فيزيقية كمية بالغة الحركة أو للطاقة المحركة، وهى فى نظرنا عناصر فيزيقية كمية بالغة المضرورة والأهمية، (٢).

<sup>(</sup>١) وايتهد : العلم والعالم الحديث، ص ١٧٥.

<sup>(</sup>٢) وايتهد : بحث في مبادئ المعرفة الطبيعية، مطبعة جامعة كامبردج، الطبعة الثانية 1970 من ٢.

إن السرعة وكمية الحركة والطاقة المحركة.. النع تتضمن فكرة كونها أحوالا للتغير، ولكن هذا الأمر بددته نماما النظرية النيوتينية؛ فحالة التغير فى آنات لا ديمومية هو نصور غاية فى الصعوبة، بل هو نصور متناقض تناقضاً ذاتياً ؛ ذلك لأنه ،من المستحيل أن نحدد السرعة بدون الإشارة إلى الماضى والمستقبل، (۱). ولقد أشارت النظرية النيوتينية إلى شئ مثل هذا رغم عدم تناسق ذلك فى النظرية النيوتينية ذاتها. يقول وايتهد : ،ترتكز الفيزياء النيوتينية على إستقلال فردية كل جزء من المادة، فكل حجرة يمكن إدراكها نماما وهى منفصلة عن أية إشارة تربطها بغيرها من أجزاء مادية أخرى أى يمكن إدراكها ، كما لو كانت توجد بمفردها فى العالم، وتشغل مكاناً وإحدا.. بل ويمكن وصف تلك الحجارة بدون أية إشارة إلى الماضى وإلى الحاضر. أنها تدرك نماما كتكوين كلى خلال آنات حاضرة، (۱).

اعتبر وايتهد أن مثل تلك التصورات عن الوقائع باعتبارها جزئيات مادية مستقلة، لا تتسق مع أفكار الحركة وكميتها والسرعة ومن هنا فلقد قرر أن هناك وتناقضها كبيرا في صميم الكوزمولوچيا النيوتينية، (٦). والحق أن أفكار الحركة والسرعة وكمية الحركة تلعب دورا هاما وضروريا في تفسير تغيرات المادية.

وعلى الرغم من أن الفيزياء المعاصرة قد بينت قصور الفيزياء النيوتينية، فاقد إستخدمت بعض المصطلحات النيوتينية، وأعطتها تفسيرات أو تصورات جديدة يقول وايتهد : وهجرت الفيزياء المعاصرة مذهب الجزئيات البسيطة المستقلة الثابتة، وبينت أن الاشياء الطبيعية التي تسميها بالنجوم والكواكب، والكتلة المادية الكبيرة والصغيرة، والألكترونات والبروتونات، وكمية الطاقة، لا تدرك إلا من خلال تغير الأوضاع والشروط الزمانية والمكانية، وباعتبارها

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، نفس الموضع.

<sup>(</sup>٢) وايتهد: مغامرات الأفكار، ص ٢٠٠.

<sup>(</sup>٣) وايتهد: أنماط الفكر، ص ١٩٩.

ممتدة خلال ترتيب كلى، لا إستقلال نهائى فيه لجزء من المادة عن غيرها. نحن نتصور وجوداً دائما لمنطقة مركزية أو بؤرية Focal Rigion هى تلك التى يوجد فيها الشئ، ولكن تأثيراً يفيض من تلك المنطقة المركزية بسرعة دقيقة أو محددة خلال الزمان والمكان. وبطبيعة الحال ولعدة إعتبارات صحيحة، يكون من الطبيعى أن نتحدث عن تغير يسرى فى المنطقة المركزية ذاتها طبقاً لما يتصل بها من أجسام، ولكن ثمة صعوبات تقوم حينما نتقدم فى هذا النوع من الفكر، ففى الفيزياء يكون الشئ هو ما يفعل، وما يفعله يختلف طبقاً لتيار أو فيض تأثيره. والمنطقة المركزية لا يمكن أن تنفصل عن التيار أو الفيض الخارج، وترفض بعناد أن تدرك كواقعة لحظية، وخصوصا حينما تكون فى حالة تحرك يسيطر على كل من المنطقة المركزية والتيار المنبعث منها أيضا، (١).

لقد تركزت محاولة وايتهد على تشكيل تصور عن الوقائع القصوى للعلم الفيزيقى، وللعلم الفيزيقى المعاصر على نحو خاص، يكون متفقاً مع الخبرة، وغير متناقض ذاتياً كما كان الحال فى النظرية النيوتينية. وفى هذا الصدد نجد وايتهد دائما ما يستند أو يرجع إلى الواقع التجريبي أو الجزئيات الواقعية أو الطرق أو الأساليب الجزئية فى العلم فى مواجهة أية مشكلة علمية. لقد إنشغل وايتهد نفسه بمشاكل أساسية فى العلم، لكن بطريقة أخرى غير الطريقة التي يتبعها العلماء، ورغم ذلك فإنه لم يكن فى مرحلته الأولى يفصل بوضوح بين الغلسفة وبين العلم؛ إذ كان يستخدم مصطلحات الفلسفة الطبيعية Natural بين الغلسفة وبين العلم؛ إذ كان يستخدم مصطلحات الفلسفة الطبيعية الطبيعة بين الغلسفة كانت تعنى Philosophy of Science أو فلسفة الطبيعة عنى عين بينها. إن كلمة فلسفة كانت تعنى عنده بعض التقدير لهذه المسائل، ولكنه كان لا يميز بين كلمة فلسفة وبين عنده بعض التقدير لهذه المسائل، ولكنه كان لا يميز بين كلمة فلسفة وبين كلمة علم، وكان فى نفس الوقت يخشى من غموض كلمة ميتافيزيقا أو تطفل الميتافيزيقا المجردة أو المثالية على مسائل العلم يقول وايتهد : ونحن نطلب فى

<sup>(</sup>١) وابتهد: مغامرات الأفكاره ص ص ٢٠٠ - ٢٠١.

فلسفة العلم الأفكار العامة التى يمكن أن تطبق على الطبيعة، وهى تلك التى تشغل ذهننا فى عملية الإدراك، (١). والعلم بهذا المعنى الذى ذكره وايتهد يهتم بفحص أكثر للتفاصيل النوعية الخاصة بالطبيعة وبصيغها فى مصطلحات وأفكار أساسية عامة، أما فلسفة العلم ، فهى فلسفة شئ يدرك، ويجب ألا نخلط بينها وبين الميتافيزيقا التى تتجه إلى دراسة الحقيقة التى تجمع بين المدرك والمدرك (٢).

ويحدد وايتهد واجب فاسفة العلم بقوله: «إن الواجب الرئيسى لفاسفة العلم الطبيعى هوتقديم تصور عن الطبيعة، بطريقة تجعل هذا التصور واقعاً مركباً للمعرفة، وتوضيح الكيانات الرئيسية Fundamental Entitics والعلاقات الرئيسية Fundamental Relations التى تقوم بينها بطريقة تؤسس وفقها كل قوانين الطبيعة. إلا أن هذه الكيانات وتلك العلاقات يجب أن تكون كافية للتعبير عن كل العلاقات التى نتصور إقامتها بين الكيانات الموجودة بالفعل في الطبيعة، (٣).

لكن السؤال الذي يدور في ذهننا الآن هو: ما هي تلك الكيانات الرئيسية التي تعد وقائع نهائية عند وايتهد؟ إن نظرية وايتهد تقترح أن تكون الحادثات Events هي الوقائع القصوى أو النهائية التي يعالجها العلم. يقول وايتهد: •إن الوقائع القصوى للطبيعة، والتي يجب أن تعبر عن كل تفسير فيزيقي أو بيولوچي هي الحادثات المترابطة بعلاقات زمانية مكانية، (ئ). ومعنى ذلك أن الأجزاء المادية المنفصلة ليست هي الوقائع القصوى وإنما الحادثات، يقول وايتهد: •إن الواقعة المباشرة التي تثير اهتمامنا هي واقعة كلية تحدث في الطبيعة، أو هي الطبيعة باعتبارها حادثة Event ماثلة أمام

<sup>(</sup>١) وايتهد : تصور الطبيعة ، مطبعة جامعة كامبردج ١٩٢٠ ص ٢٨.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، نفس الموضع.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، ص ٤٦

<sup>(</sup>٤) وايتهد : بحث في مبادئ المعرفة الطبيعية، ص ٤.

اهتمامنا الحسى Sense - awareness الآن ولكنها تمر من أمام هذا الإهتمام في لحظات أخرى. فليس ثمة طبيعة تظل ثابتة، وننظر فيها دوما.. إن الواقعة القصوى بالنسبة لإهتمامنا الحسى هى الحادثة، ويتم تمييز هذه الحادثة عن غيرها من الحادثات بواسطتنا نحن، (فنحن الذين نفصل ونميز بين حادثات الطبيعة في حين أنها لا تنفصل أو تنقسم على الحقيقة) ومن هنا فنحن نهتم بحادثة تعترض حياتنا الجسمية، أو حادثة تعبر عن مجرى الطبيعة في هذا الحقل أو ذاك، أو قد نهتم بتجمع أو آخر من الحادثات الجزئية، (١).

والواقع أن عمليات التجريد الكلى، تمكن الإنسان من ترتيب أو تنسيق الكيانات في آنات منفصلة تخضع للتعبير الرياضي، ويمكن عدها أو قياسها. وأن ذلك قد يشبع طموح العلماء الذين يتجهون إلى أن يكسبوا علومهم الدقة واليقين، وذلك بالتعبير عنها بأسلوب رياضي دقيق، يحيل الكيف إلى كم. ولكن يجب أن نضع في ذهتنا دائما أن التعبير الرياضي ليس أكثر من اشتقاق من الحادثات بطريقة تجريدية خالصة، لا تتفق مع كلية هذه الحادثات وعدم إنقسامها أو تجزئتها على الحقيقة.

الحادثات هى الوقائع القصوى النهائية عند وايتهد، ومن ثم كان عليه أن يضيف لتلك الحادثات أو الوقائع القصوى المتطلبات الخاصة بالتغير، على إعتبار أن التغير يعبر عن سمة جوهرية لتلك الوقائع، وكان عليه أيضا أن يبين بوضوح أنواع العلاقات الأساسية التى يمكن أن تقوم بين تلك الوقائع. ولكن سؤالنا هو كيف يمكن أن نميز بين تلك الوقائع وكل واقعة تتصف بالتغير مثل الأخرى، كما تدخل فى العديد من العلاقات تماما كالأخرى ؟ ها هنا نجد وايتهد يقرر أن الإهتمام الحسى يطلعا أيضاً على شئ آخر غير تلك الحادثات أو الوقائع القصوى المتغيرة والعلائقية، إذ أنه يكشف لنا بوضوح عما يسمى بالموضوعات Objects، وتلك الموضوعات وتكشف عن نفسها

<sup>(</sup>١) وايتهد: تصور الطبيعة، ص ص ١٤ - ١٥.

مباشرة أمام أى إدراك حسى، (۱). وهى تتمايز فيما بينها فهناك موضوعات مدركة Sense Objects ، ومسوضوعات الحس Scientific والموضوعات العلمية Physical Objects والموضوعات العلمية Objects . Objects

والواقع فان إحلال نظرية الحادثات والموضوعات، محل نظرية الجزئيات المادية المعينة في أماكنها - والتي كانت نتاج الفكر النيوتيني - كان موضع الإهتمام الرئيسي لوايتهد، الذي سعى إلى تأكيده وتعضيده في سبيل إقامة نظرية علمية . وأن معالجة وايتهد لهذا الموضوع كانت أقرب إلى طريقة العلماء حين يحاولون الإنتقال أو التقدم من الجزئيات إلى القانون فالنظرية .

بيد أن وايتهد، رغم طبيعة تفكيره العلمى، وطريقته العلمية، كان مضطراً لأن يضع فى اعتباره بعض المسائل الفلسفية، وأن يطرق باب الفلسفة، ويأخذ منها زاداً؛ وذلك حينما كان يريد أن يوضح أى التباس ينشأ عن تصوراته وأفكاره العلمية، أو حينما كان يبغى إثراء فكره بعمق أكبر، أو معقولية أشد، أو حينما كان يتعاول حل المشكلات أو الصعوبات التى قد تثار وهو يتناول تشييد العلاقة بين الحادثات وبين الموضوعات، أو غير ذلك من المسائل. لكننا يجب أن نذكر هنا أن هذه الصعوبات وتلك المشكلات، وما ترتب عليهما من نتائج وأفكار، كانت مختلفة بطبيعتها عن طبيعة الصعوبات والمشكلات والمحاولات العلمية، وبإختصار لقد وجد وايتهد نفسه مضطرا لأن يلج ميدان الفلسفة وأن يطرق أبوابها.

وهكذا تنتهى تلك المرحلة الأولى من حياة واهتمامات وايتهد إلى دخوله بيت الفلسفة، ومواجهة المسألة الميتافيزيقية، فننتقل الآن إلى نقطة أخرى لكى تسير أغوار مرحلة جديدة عنده.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع ص ١٥.

#### المسألة الميتافيزيقية

ليس معنى اتجاه وايتهد إلى الميتافيزيقا فقدانه الاهتمام بالمشاكل الرئيسية للعلم، ولكن المشاكل الرئيسية للعلم هى التى وجهته إلى الفلسفة بغية إيجاد حلول مناسبة لها فيها. لقد اعتقد وايتهد فى بداية حياته الفكرية أن العلاقات الزمانية والمكانية للحادثات Spatio - temporal relations of Events الزمانية والمكانية للحادثات من حيث كونها ممتدة فى حادثات يمكن أن ترد فى صميمها «إلى الحادثات من حيث كونها ممتدة فى حادثات أخرى هى أجزاء لها، فنحن نريد أن نحل محل التأكيد على قدرة الزمان والمكان على الفصل أو فك الترابط وصفا يبين الماهية المركبة للزمان والمكان وقدرتهما على ربط الوصل، وإيجاد التفاعل بين الأشياء، (١). يقول وايتهد فى ملاحظة كتبها فى ملحق الطبعة الثانية من كتابه بحث فى مبادئ المعرفة لطبيعية «إن فكرة رئيسية سيطرت على الكتاب، وهى أن علاقة الإمتداد لها ميزة فريدة، وأن كل شئ يمكن أن يستنتج منها. ولكن الأمر لا يظل كذلك

<sup>(</sup>١) وايتهد : بحث في مبادئ المعرفة الطبيعية ، ص ٤ .

حين تتقدم أكثر فى الكتاب. إذ نحل العملية Process محل الامتداد. ورغم أن ذلك لم يكن مؤكدا بعد فى فكرى تمام التأكيد، إلا أنثى أصبحت على قناعة بأن الامتداد يشتق من العملية، وأن العملية تنطلب الامتداد، (١).

أنكر وايتهد بصورة قاطعة خاصية انفصال الزمان عن المكان وحاول أن يقيم وصفا واضحا يبين فيه أن طبيعة الماهيات المركبة للحادثات مشنقة من قدرتها على الترابط والتفاعل والإتصال، ومن ثم فلقد انجه نحو إثبات خاصية أخرى للحادثات هي خاصية الوحدة Unity، والوحدة عنده نتاج الخاصية الترابطية للزمان والمكان.

ووفقا لهذا تصبح العملية Process والوحدة Unity خاصيتين رئيسيتين للحادثات. ولقد انتقل وايتهد في مرحلة مبكرة من حياته الفكرية الأخيرة إلى متحليل العملية على أنها تلك التي تحقق الحادثات وتوجهها نحو تكوين تجمع متشابك ومتداخل. إن الحادثة ما هي إلا وحدة الأشياء الواقعية، (٢).

لقد مثل هذا التطور معنى كبيرا فى حياة وايتهد الفكرية؛ إنه ينتقل من فكرة أن الامتداد هو الخاصية الرئيسية للحادثات، وما يستتبع ذلك من بساطة تصور الحادثة باعتبارها ممندة وحسب - إنه ينتقل من هذا - إلى فكرة أكثر تعقيدا وهى أن الوحدة تعتبر الخاصية الرئيسية للحادثات، وأن الحادثة هى وحدة الأشياء الواقعية.

إن وايتهد حيدما وضع نظريته عن الحادثات وأحلها محل التصور القديم عن المادة البسيطة المتموضعة أو المعينة في مكان، كان يدرك أن تلك النظرية كانت محتاجة إلى أن تراعى بعض الاعتبارات والمتطلبات العلمية؛ فلم تكن النظرية التموجية في المادة لتقبلان تفسيرا محددا في نطاق خاصية الامتداد، وقاده ذلك إلى أن يرى الحادثات كعمليات

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، الطبعة الثانية، ص ٢٠٢.

<sup>(</sup>٢) وايتهد : العلم والعالم الحديث، ماكميلان ١٩٢٥ ص ١٨٩.

توحيد، وأن يتجه إلى التصورات المجردة. لكن وايتهد يدرك في نفس الوقت أن تلك الخواص التي استطاع أن يميزها وأن يحددها والتي قلنا عنها أنها خواص مجردة للوقائع القصوى لا يمكن أن توضح الطبيعة الحقيقية والجوهرية لتلك الوقائع. يقول وايتهد: وإن كلمة حادثة وما يرتبط بها من خاصية الوحدة، تجذب انتباهنا إلى الإنتقالات المتصلة والتي تترابط في وحدة فعلية Actual unity. ولكن هذه الكلمة المجردة لا يمكن أن تكون كافية في توضيح خواص الحادثة في ذاتها، (١).

وعلى هذا النحو أصبحت المشكلة البالغة الأهمية الآن تتركز فى السؤال: ما هى طبيعة حقيقة الحادثة فى ذاتها ؟ أو ما هى الطبيعة الجوهرية للحادثة من حيث كونها كذلك ؟ تماما كما أن السؤال التالى وهو: ما هى الوقائع المحددة التى تبين الصفة الرياضية للاهتزاز أو التذبذب التموجى ؟ أصبح سؤالا جوهريا وهاما بالنسبة إلى العلم المعاصر (٢).

لقد توصل وايتهد إلى إدراك تلك المشكلة عن الطريق السابق، ولكن وايتهد يصل إلى نفس المشكلة بطريق آخر؛ ذلك أن غرابة وصعوبة تصوراته المبكرة كانت نابعة عن كونها مجردة، ومن ثم فليس بامكاننا أن تحدد مدلولاتها، أو نفهم معانيها المجردة تلك إلا على أساس فهم كامل للطبيعة المحددة للوقائع القصوى، وهذا الفهم الكامل لا يتسنى لنا خلال العلم، وإنما يتم من خلال الفاسفة.

اقتنع وايتهد وبوضوح كامل بأن مشكلة الطبيعة الجوهرية للواقع ليست مشكلة علمية، بل تتجاوز العلم، وتتجاوز أبحاثه، وأنها مشكلة فلسفية بالدرجة الأولى، وكان على وايتهد من ثم أن يلج باب الفلسفة أو الميتافيزيقا، عله يجد لمشكلته هذه حلولا، فيدخل الميدان الفلسفى الرحب، ويبحث مشكلته هذه بحثا

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، صفحة ١١٦.

<sup>(</sup>٢) واينهد : مغامرات الأفكار، ص ٢٠٠.

فلسعيا، ويحدد بحثه الفلسفى هذا فى ضوء دراسة للطبيعة القصوى للواقع أو فيما أسماه بالواقعة الكاملة. يقول وايتهد: «إن المشكلة القصوى هى أن ندرك الواقعة الكاملة، ونحن نستطيع أن نعبر عن هذا التصور الخاص بالواقعة الكاملة فى مصطلحات تشير إلى أفكار رئيسية تتعلق بطبيعة الواقع. وهنا نجد أنفسنا فى ميدان الفلسفة، (١).

ونحن نجد تصور وايتهد المتكامل عن الواقعة الكاملة في كتابه and Reality ملاختلاف عن الأفكار الرئيسية التي تدور حول هذا التصور تتضمن وبعض الاختلاف عن الأفكار الفلسفية التقليدية، (٢). وغالبا ما كان وايتهد يعبر عن تلك الأفكار بمصطلحات مبتكرة وغير مألوفة، كما كان البناء الفكري يعبر عن تلك الأفكار بمصطلحات مبتكرة وغير مألوفة، كما كان البناء الفكري الكتاب مكثفا ومكتظا لكن في إيجاز كبير؛ فالكتاب يبدأ بعبارات مقتضبة شديدة التركيز ومضغوطة عن تصورات أساسية، وبعد ذلك يحاول وايتهد أن يجعل باقي الكتاب يجيب على تلك العبارات المركزة وأو يحاول جعلها معقولة، (٣). وحينما يناقش وايتهد أي فكرة فإنه يفترض مقدما صحة ووجود جميع الأفكار الأخرى، علاوة على أنه لا يمدنا في هذا الكتاب ولا في أي جميع الأفكار الأخرى، علاوة على أنه لا يمدنا في هذا الكتاب ولا في أي كتاب آخر عدا كتابه Science and modern world بمقدمة تفسيرية. لهذا كله جاء كتابه هذا عن والعملية والواقع، والذي ضمنه تصوره الناضج عن الواقعة الكاملة بالغ التعقيد والصعوبة.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص٢٠٣.

<sup>(</sup>٢) وايتهد: العملية والواقع ص ٢٧.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، نفس الموضع

ودون الحديث عن تفاصيل كثيرة الآن، فإننا نكتفى بأن نشير إلى أن الإنطباع العام الذى يمكن أن نخرج به من عبارات وايتهد نفسه والمتناثرة فى كتبه ومقالاته المختلفة هو أنه توصل إلى الأفكار الفلسفية بواسطة الإستدلال من الموقف العلمى، فلقد قرر على سبيل المثال لا الحصر أنه ويمكن التوصل إلى هذا التصور العضوى Organic Conception للعالم، إذا بدأنا بالأفكار الرئيسية للفيزياء الحديثة بدلا من أن نبدأ بالأفكار الرئيسية لعلم النفس أو الفيزيولوجيا، ولقد استطعت أنا أن أصل من دراستى فى الرياضيات وفى النيزياء الرياضية إلى الثقة فيما قلته وفيما قررته؛ فالفيزياء الرياضية تفترض فى المحل الأول وجود دائرة كهربية مغناطيسية نشطة تتخلل الزمان والمكان. وهى تؤدى إلى القول بأن القوانين التى تحكم هذا الميدان ليست إلا الشروط الملاحظة خلال النشاط العام لتدفق أو سيلان العالم، حينما يخصص ذاته فى الحادثات (۱).

والعبارة الأخيرة من الفقرة السابقة تجعل المسألة واضحة ولقد ألح عليها وايتهد مرارا (٢). وهي تشير إلى أن معطيات الفيزياء الرياضية يمكن أن تقهم في سياق مصطلحات نسق من التصورات الفلسفية؛ وتلك التصورات الفلسفية يمكن التوصل إليها من مدخل فلسفي خاص، وبطريقة فلسفية معينة.

إن ما يقوله وايتهد الآن، يشير بالضبط إلى الغرض الأساسى من كتاباته؛ فهذه الكنايات تهدف إلى الكشف عن المشاكل العلمية القصوى بمصطلحات فلسفية، وفي ضوء أفكار فلسفية عامة.

<sup>(</sup>١) وايتهد: العلم والعالم الحديث، ص ص ١٨٩ - ١٩٠.

<sup>(</sup>٢) أنظر مثلا:

أ - وابتهد : مغامرات الأفكار ص ١٩٨ و ص ٢٤٨ .

ب - وايتهد : وظيفة العقل، مطبعة جامعة برنستون ١٩٢٩ ص ٥٧ وصفحات أخرى.

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أن هذه الكتابات ليست بالضبط مجرد شرح لتصورات وايتهد الفلسفية، وذلك رغم أن التفسير التوضيحي يكون مطلوبا للغاية لكي يبين لنا كيف وصل وايتهد لتصوراته الميتافيزيقية التي كانت مثارة في ذهنه أول الأمر، وكيف وجد الحلول لها، وما الاجراءات التي اتبعها والمنهج الذي أخذ به. إن هذا يمثل نمط التفسير لأفكار وايتهد كما جاءت في هذا الكتاب، ويجب أن نشير هنا إلى أن ما سوف نعرض له هنا يمثل آراء وايتهد كما جاءت في كتابه ،العملية والواقع، على هيئة سياقات مختلفة وباشارات مختصرة ومركزة غالبا.



# الفصل الثانى المبدأ الانطولوچى

٣ - المشكلة الميتافيزيقية الأساسية.

ة - المبدأ الأنطولوچي.



#### المشكلة الميتافيزيقية الرئيسية

دخل وايتهد محراب الفلسفة حينما أعلن أن المشكلة النهائية تتعلق بإدراك الواقعة الكاملة، ولقد قرر هو ذلك - كما رأينا - في عدة عبارات ذكرناها له في نهايات الفصل السابق، وحينما وجد نفسه داخل هذا المحراب، وجد أن عليه أن يتلمس أصول الفكر الفلسفي وتطوره بادئا من اليونان ومنتقلا إلى فلسفة العصور الوسطى والفلسفة الحديثة، وبينما هو منشغل بهذا أوقفته فقرة فلسفية وجدها في كتاب الميتافيزيقا لأرسطو، وقرأ فيها وأن السؤال الذي ثار في الماضى السحيق، ويثار الآن، وسيثار في المستقبل، وكان محل نقاش كبير، ويتعلق بحقيقة ما يكون عليه الوجود في جوهره هو؛ ما هو الجوهر ؟ ولقد أكد ويتعلق بعلى أن الجوهر واحد (١). وأكد البعض الآخر أنه أكثر من واحد (٢).

<sup>(</sup>۱) يقصد أرسطو بذلك الفلاسفة الأوائل الذين ركزوا على جوهر واحد، وأرجعوا كل شئ إليه، منهم على سبيل المثال طاليس الذى رد العالم إلى جوهر واحد هو الماء، وانكسيمانس الذى رد الوجود إلى جوهر واحد هو الهواء، وأنكسماندريس الذى رد العالم بأسره إلى اللامتناهى، وهيراقليطس الذى تمسك بجوهر واحد هو النار... الخ (المترجم).

<sup>(</sup>٢) يقصد أرسطو بذلك الفلاسفة السابقين عليه والذين نادوا بمبدأين : واحد مادي والآخر 🔻

كما أكد البعض على أنه محدود بينما أكد البعض الآخر على أنه لا محدود، ومن ثم فإن علينا أن ننظر بصورة رئيسية وأولية وبنوع خاص فى ماذا يكون عليه ذاك الوجود فى جوهره.

حينما يقول وايتهد بأن المشكلة النهائية تنحصر في إدراك الواقعة الكاملة، وما تكون عليه، فإنه إنما كان يعنى تماما ما سبق أن عناه أرسطو بقوله: إن علينا أن ننظر أساساً في ما يكون عليه ذاك الوجود من ناحية جوهرية. إن عبارة أرسطو مما يكون عليه ذاك... What that is يمكن أن تكون نقلا عبارة أرسطو مما يكون عليه ذاك... The nature of that، يمكن أن تكون نقلا حرفيا للعبارة طبيعة ذاك... Being مع ملاحظة أن اذاك في المعارة الذي لم يفرق فيه وايتهد بين Being و Existence وعلى هذا النحو يمكن صياغة المشكلة الميتافيزيقية في أنها المشكلة التي تحاول البحث في المبيعة الوجود من ناحية جوهرية، أو بعبارة أقرب إلى وايتهد وهي : محاولة البحث في المبيعة الواقعة الكاملة a كان يعنيه وايتهد وهي : محاولة البحث في المبيعة الواقعة الكاملة a كان يعنيه أرسطو تماما بعبارة أخرى. لكن الأمر يحتاج منا إلى تحليل دقيق المحتوى العبارتين.

لقد ترجم Ross العبارة اليونانية الأرسطية بحيث تعنى دما يكون عليه ذاك (الوجود) في جوهره What that is which is in this sense ، والحق أن هذه العبارة تعد من أصعب العبارات قبولا للترجمة، وهي تحتاج في ترجمتها بدقة إلى فهم كامل للموقف الأرسطي ذاته، وإلى دقة بالغة في فهم كل كامة على حدة، طبقاً لطبيعة اللغة اليونانية ذاتها وفي هذا الصدد نجد جوزيف أونس يقرر أن دذاك That، تعنى في العبارة الأرسطية الوجود Being، ووفقا لهذا ترجم أونس العبارة الأرسطية الآنفة بقوله دما يكون عليه الوجود في جوهره

روحى، أو بأربعة جواهر أو عناصر هى الماء والنار والهواء والتراب، كما قرر ذلك أنباوقليس وانكساغوراس، أو باعداد لامتناهية من الجواهر هى الذرات كما نادى بذلك لوقيبوس وديمرقريطس (المترجم).

الجوهر الذي يخص ذاك الوجود، والحق أن تلك الترجمة كانت من وضع ألى الجوهر الذي يخص ذاك الوجود، والحق أن تلك الترجمة كانت من وضع أي الجوهر الذي يخص ذاك الوجود، والحق أن تلك الترجمة كانت من وضع أي الجوهر الذي يخص ذاك الوجود، والحق أن تلك الترجمة كانت من وضع Tredennick وأقرها وايتهد؛ فتردينيك يترجم Substance ومن هنا يترجم التي ترجمها بدورها إلى كلمة جوهر Substance . ومن هنا يترجم تريدينيك نفس العبارة بقوله ،أن نفحص طبيعة الوجود بمعنى الجوهر To تريدينيك نفس العبارة بقوله ،أن نفحص طبيعة الوجود بمعنى الجوهر أن كلمة substance هي ترجمة غير دقيقة للكلمة اليونانية ولا يستخدم كلمة وبالفعل فإن وايتهد يبقى دائما على الكلمة اليونانية ولا يستخدم كلمة وبالفعل فإن وايتهد يبقى دائما على الكلمة اليونانية ولا يستخدم كلمة Substance على الإطلاق.

وعلى هذا فنحن نرى أن ما عناه أرسطو بدقة هو. أن المشكلة الميتافيزيقية تقوم على إكتشاف أو تحديد شئ ما من الناحية الجوهرية، وأن هذا الشئ يكون كائنا أو موجودا، له جوهره الذى يخصه وهذا التفسير ينجم من كلمة Οναια اليونانية من جهة، ومن العبارة الأرسطية ككل من جهة أخرى. إننا نهتم بذاك that أى بالوجود من جهة Οναια، ومصطلح Οναια إسم تشكل من الفعل Sivai أى من الكينونة do الدقيق الذى يحمله المصطلح Οναια الذى ذكره شئ فردى. وهذا هو المعنى الدقيق الذى يحمله المصطلح Οναια الذى ذكره أرسطو فى كتابه الميتافيزيقا (٢). والذى يمكن أن يشير أيضاً إلى ذلك الكيان الجزئي That Particular entity الذى يوجد وجوداً فعلياً وواقعياً وممتلئاً. يقول إتيين جيلسون : امهما حمل مصطلح Οναια الأرسطى من معان، فإن الحقيقة جيلسون : امهما حمل مصطلح Οναια الأرسطى من معان، فإن الحقيقة

<sup>(</sup>١) أونس، جوزيف : مذهب الوجود في ميتافيزيقا أرسطو، تورنتو، ١٩٥١، ص ١٩٣٠.

<sup>(</sup>٢) أنظر المناقشة المستفيضة التي عقدها أونس في كتابه السابق الذكر، في الفصل الرابع ص ص ٦٠ - ٧٤.

<sup>(</sup>٣) جيلسون، إتبين : الوجود وبعض الفلاسفة، تورنتو، ١٩٤٩ ص ٤٢.

كانت دائما عند أرسطو متمثلة فى شئ جزئى يوجد وجوداً واقعياً، أو فى وحدة أنطولوجية محددة، حاصلة على القدرة على التكون والتحدد بذاتها. إن أرسطو لم يكن يعنى الإنسان فى ذاته، ولكنه كان يعنى هذا الإنسان الفردى الذى يمكن أن نسميه جون أو بتره (١).

إن هذا هو ما عناه وايتهد بالضبط حينما استقر على مصطلح الواقعة الكاملة Fact مله A Complete Fact أن وايتهد حبذ إستخدام كلمة Being من كلمة Fact من Fact من المتخدام كلمة Being منكلة علمة وقده من تصور الشئ الجزئي المحدد، بصورة أكثر وضوحاً مما تستطيعه كلمة Being تصور الشئ الجزئي المحدد، بصورة أكثر وضوحاً مما تستطيعه كلمة وعدم بل يذهب وايتهد إلى أن كلمة being كثيرا ما تقودنا إلى الغموض وعدم الدقة؛ فهي قد تشير إلى وجود جزئي واقعى محدد، كما قد تشير إلى صفة عامة يشترك فيها كل من يوجد أو يكون على حد تعبير جياسون (١٠). أو قد تشير إلى وجود نهائي أكثر حقيقية من وجود الأشياء الجزئية، أو قد تستعمل بصيغة إسم المصدر أو إسم الفاعل Gerund، وبعبارة أخرى فإن غموض كلمة بصيغة إسم المصدر أو إسم الفاعل Gerund، وبعبارة أخرى فإن غموض كلمة Being يمكن أن يوقعنا في أخطاء لا حصر لها، لانتبين فيها ما إذا كانت الخ، أو إلى الوجود بمعنى عام، ولعل هذا كان سبب الأخطاء التي وقعت فيها معظم الفلسفات، وذلك حينما ينتقل فيلسوف ما دون أن يشعر - في غالب الأحوال - من إستخدام معين لكلمة Being إلى استخدام ثان أو ثالث لها..

لذلك كله إستبعد وايتهد كلمة Being وإستبدلها بكلمة Fact ، لكن الكلمة الأخيرة ليست مرضية نماما ، وإن كان ذلك لأسباب أخرى ؛ فمن مساوئها أن ليس لها إنصالات إشتقاقية مباشرة بكلمة Being أو Existence رغم أن ما عناه وايتهد بالواقعة الكاملة هو ،الموجود الكامل Complets Existent عناه وايتهد بالواقعة الكاملة هو ،الموجود الكامل

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٤٢.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ص ٢ -٣٠.

الذى يوجد وجوداً كاملاً وممتلئاً، أو على حد تعبير جياسون الوحدة الأنطولوجية المميزة والتى تكون قادرة على التكون والتحدد بذاتها، أو على حد تعبير ديكارت مما يوجد دون أن يفتقر فى وجوده إلى غيره (١). ولقد إستخدم إسبينوزا وليبنتز وغيرهما مصطلحات قريبة من هذا، ولكن ما يهمنا أن نؤكده الآن هو أن الواقعة تعنى الوجود الكامل والممتلئ لشئ جزئى محدد ومميز، لا يحتاج فى وجوده إلى وجود آخر، بل يكون وجوده فى ذاته ولذاته ولذاته and of itself

<sup>(</sup>١) ديكارت، رينيه : مبادئ الفلسفة ١ - ٥، ترجمة دين وروس.

### ۔ ۂ ۔ المبدأ الانطولوچی

اتفق وابتهد مع أرسطو فيما يتعلق بأساس المشكلة الميتافيزيقية، فلقد ذهبا إلى أن المشكلة الميتافيزيقية نتركز فى البحث عن طبيعة الموجود من ناحية Οναια أو محاولة تحديد طبيعة الموجود الكامل Complete existence أو محاولة تحديد طبيعة الموجود الكامل القيان الوجودى الكامل. ولقد اشار أرسطو فى الفقرة التى ذكرناه له إلى أن المشكلة الميتافيزيقية الدائمة تتمثل فى البحث عن طبيعة الموجود الجزئى المحدد، ولقد كان هذا الموقف هو الأساس الذى إرتكز عليه أرسطو فى مواجهة الموقف الأفلاطونى، فلقد أصر أرسطو على أن وذاك that التى تمثل الاهتمام الأول الميتافيزيقا هى شئ جزئى يوجد وجودا فعلياً، ولا يمكن أن تكون مجرد صورة Form أو صور Sorms ، واضعين فى الاعتبار أن الصور عند أرسطو هى صور لأشياء، ولا توجد هذه الصور مستقلة فى الوجود بذاتها كما ذهب إلى ذلك أفلاطون، إن الصور لا توجد إلا كصور أشياء، أو صور موجودات كاملة لا تفتقر فى وجودها إلى وجود آخر، وليس ثمة وجود لصور مفارقة أو مثل كما ذهب إلى ذلك أفلاطون.

وافق وايتهد إذن على أن الأشياء التى هى موجودات كاملة تمثل الإهتمام الرئيسى للمسألة الميتافيزيقية، وكان عليه أن يصيغ ما قرره فى مبدأه وأن يتناول مبدأه هذا بالشرح والتفسير. وفى هذا الصدد نجد وايتهد يقول: وإن المبدأ الأرسطى العام، والذى سلمنا به، يقرر أنه بمعزل عن الأشياء الفعلية لا يوجد شى.. لا يوجد شى واقعى، أو شى له أدنى تأثير، (١).

لقد استخدم وايتهد عبارة والاشياء التي هي فعلية؛ (٢) Complete Facts الدلالة على ما سبق أن سماه بالوقائع الكاملة Complete Facts الدلالة على ما سبق أن سماه بالوقائع الكاملة Actual لكي يصف بها ففي كتابة والعملية والواقع، نجده يستعمل كلمة فعلى Actual لكي يصف بها الأشياء الجزئية، ويشير وايتهد في تفسير إستخدامه هذا إلى أن ديكارت قد استخدم في التأمل الأول من كتابه التأملات المصطلح بعنى الوجود الذي استخدم فيه أنا مصطلح فعلى Actual . إن هذا المصطلح يعنى الوجود بكل ما تحمله كلمة وجود من معنى، الوجود الذي لا يكون وراءه شئ؛ (١) . ومن ثم تكون والأشياء التي هي فعلية، هي الأشياء التي توجد بأكمل وأملأ ما يمكن.

إن المبدأ الأرسطى الذى سماه وايتهد بالمبدأ الأنطولوجى Ontological يؤكد على أن الأشياء الفعلية actual things هى الأشياء الموجودة وجودا كاملا وصحيحاً، وأن ماعدا ذلك من موجودات تفتقر فى وجودها إلى وجود تلك الأشياء الفعلية أو تشتق منها، ولكن هذا يحتاج بلاشك إلى مناقشة أوسع.

أما أن هناك وجوداً Existence أو Being آخرا غير وجود Οναια أي غير وجود الشئ الفعلى، فهذا هو ما أقره أرسطو ووايتهد. فنحن كثيرا ما نتحدث

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٥٤.

<sup>· (</sup>٢) حبذنا ترجمة كلمة Actual ، بالكلمة ،فعلى، بدلا من الكلمة ،واقعى، لأن الكلمة الأولى أقرب من تفكير وايتهد من الثانية (المدرجم) .

<sup>(</sup>٣) وايتهد : العملية والواقع، ص ١٠٣ .

عن أفكار وصور وخواص .. الخ. وهذه وغيرها تكون بمثابة الأسماء من الناحية النحوية، ويتم تمييزها على أساس ارتباطها بالأشياء من بعض الوجوه، ولكنها ليست أشياء فعلية، إنها تشتق منها، أو تفتقر في وجودها إليها.

أما كلمة كيان Entity فهى مشتقة من الكلمة اللاتينية esse أى esse الانجليزية، وتشير إلى شئ ديكون is أو ديوجد Exists، بأى معنى من معانى الكينونة أو الوجود، وهى غالباً ما تأتى لغوياً بعد.. it is .. فبعد... it is يأتى عدد لا نهائى من الكيانات Entities سبيل إلى إنكارها أو الشك فى وجودها. لقد قبل وايتهد هذا الإستخدام للمصطلح Entity بهذا المعنى العام جدالاً). ووجد فى هذا الاستخدام ما يشبع فضوله الفلسفى.

أما كلمة دفعلى Actual، فهو يستخدمها للتمييز بين تلك الكيانات، حيث تميز كلمة فعلى الكيانات ذات الوجود الكامل عن الكيانات الأخرى التى ليست كذلك، أو تميز بين الكيانات المستقلة وبين الكيانات التابعة dependent؛ فالفعلى من الكيانات يشير إلى شئ فعلى، كامل الوجود، لا يفتقر في وجوده إلى وجود آخر على عكس غيره من الكيانات، والواقع أن هذا الاستخدام لكلمة فعلى يتفق مع الاستخدام الراهن له في اللغة الانجليزية. ولكن وايتهد ـ كما سنرى فيما بعد ـ يضيف إلى هذا الاستخدام ما يراه مناسباً لإشباع فضوله الفلسفى.

إن وايتهد يجعل مصطلح الكيان الفعلى Actual Entity مراد ـ فاللمصطلح الأرسطى Οναια ولقد تمسك وايتهد بهذا المصطلح اليوناني، لأن ترجمته

<sup>(</sup>۱) كلمة Entity مرادفة نماما في اللغة اللانينية لكلمة thing الإ إذا تم إقامة نمييز تعسفى بينهما من أجل بعض الأغراض الفنية technical purposes (أنظر وايتهد الفرحة أنها قد تعنى (The concept of Nature P. 5) وفكرة الكيان فكرة عامة جدا، لدرجة أنها قد تعنى أي شئ تفكر فيه، حيث أنك لا يمكن أن تفكر في لا شئ، والشئ الذي يكون موضوعا للفكر Science and the modern world (أنظر وايتهد Entity).

بكلمة Substance (الجوهر) كثيرا ما أدت إلى الغموض واللبس، فالمصطلح Substance لا يفصح عن المقصود منه في كثير من الأحيان، كما أن له مالا حصر له من المعانى المتفاوتة والمختلفة، علاوة على أن هذا المصطلح يمكن أن يشير اشتقاقيا وفلسفيا إلى ما رفضه أرسطو ووايتهد معاً. ولقد استبدل ليبنتز بالفعل هذا المصطلح الغامض Substance بمصطلح الموناد Monad (۱). وتجنب وايتهد أيضاً هذا المصطلح، وكذلك تجنب مصطلح المهو واقعى قد يختلف الكثيرون في معناه، علاوة على أن الواقع قد يكون له معانى متناقضة عند الناس والفلاسفة على حد سواء.

إن المبدأ الانطولوچى يعنى من الناحية الاشتقاقية ذلك المبدأ الذى يهتم بالوجود Existence or Being . ويلاحظ أن وايتهد يستخدم أداة التعريف عليه، قبل المبدأ الانطولوچى، وهذا يعنى أن ذلك المبدأ مبدأ نهائى متعارف عليه، يهتم بالوجود، أو يكون الوجود موضوع إهتمامه الرئيسى، على أن يكون هذا الوجود هو وجود الكيانات الفعلية Actual Entities أو وجود الكيانات الفعلية وأيتهد «أنه يمعزل عن الوجود الذى هو فعلى لا يوجد شئ فى الواقع، أو شئ له أدنى تأثير، لكن قوله بمعزل عن part from هو قول غامض : فهو قد يعنى من ناحية، أنه لا وجود إلا للكيانات الفعلية بكل ما تحمله كلمة فعلى من

<sup>(</sup>۱) مصطلح الموناد Monad مشنق من كلمة الموناس الاغريقية، والتى تشير إلى الوحدة أو ماهو واحد (أنظر Leibnitz; Principe de la nature et de la grace, paral أو ماهو واحد (أنظر Leibnitz; Principe de la nature et de la grace, para وعنه يتركب العالم بأسره، إذ المونادات بمثابة الذرات الحقيقية الطبيعة أو هي باختصار عناصر الأشياء (أنظر Leibnitz; La Monadologie, Para 3) وهو أساس البناء الانطولوچي، والابستمولوچيا، والميتافيزيقا، بل والنسق الليبننزي كله (أنظر على عبد المعطى محمد ليبننز فيلسوف الذرة الروحية، مع ترجمة المونادولوچيا دار الكتب الجامعية Piat; C.; Leibnitz, Paris 1915 Morris; M; Philo- وانظر أيصنا - 19۷۷ sophical Writings of Leibniz, London, New York 1934.

Saw; R.L.: Leibniz; Apelican Book 1954.

Fresson; A;: Leibniz; Sa vie, son oeuvre, sa philosophie, Paris, 1947 (المترجم).

معنى، ولكنه قد يعنى من ناحية ثانية أن أية كيانات توجد، فإنها لا توجد منعزلة عن الكيانات الفعلية، ولكنها تتبع تلك الكيانات الفعلية وتعتمد عليها.

وأكثر من ذلك فإن المبدأ الانطولوچى يتضمن رفض الرأى القائل بوجود بعض أنواع الكيانات: كالكيانات الافتراضية التى لا تمثل أشياء موجودة وجودا فعليا وواقعيا، وكالكيانات التى تدعى أنها أكثر حقيقية من الكيانات الفعلية. ولعل هذا هو ما عناه وايتهد حين قرر أن ما هو فعلى يعنى الوجود بكل ما تحمله كلمة وجود من معنى، بحيث لا يكون وراءه أى شئ آخر.

ومن الأهمية بمكان كبير أن نوضح المعانى الكاملة المتضمنة في المبدأ الانطولولوچي، وفي هذا الصدد نستطيع أن نؤكد على ما يلى:

١ – أن بعض الكيانات تكون فعلية، أى كيانات ممتلئة بالوجود. أو يوجد على الأقل كيان فعلى واحد.

٢ – أن الكيانات الفعلية تكون الأساس الذى تشتق منه كل أنواع الوجود الأخرى، أو يتم تجريدها منها (١). فيما أن الكيانات الفعلية هى كل ما يوجد، بالمعنى الكامل للوجود، فإن سائر الكيانات الأخرى توجد فقط بالاشتقاق أو بالتجريد من الكيانات الفعلية، فطبقاً للمبدأ الانطولوجى ويبنى العالم الواقعى من الكيانات الفعلية ومن كيانات أخرى تستمد وجودها وتشتقه بالتجريد من الكيانات الفعلية، (١).

وحينما يقرر وايتهد أن الكيانات الفعلية هي كل ما يوجد بالمعنى الكامل للوجود، فإن تقريره هذا لا يعد لغوا Toutology؛ إذ أن هذا التقرير يعنى أن المعنى الممتلئ والكامل للوجود يشير إلى وجود آخر غير وجود الكيانات الفعلية والتي تكون ببساطة لا شئ nothing ، أو لاكيان non - Entity أو كما أو كما أو لا في non - Existence ، أو لاشيئية Nothigness ، أو كما

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ١٠٣.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، من ١١٠.

قال وايتهد نفسه ابمعزل عن الكيانات الفعلية لاشئ ولا كيان، بل صمت Silence, (١).

حينما يستخدم وايتهد كلمات ، في انفصال عن in separation From ، أو بمعزل عن part from ، الكيانات الفعلية ، فإنه يشير بذلك إلى وجود أنماط أخرى من الكيانات، ولكنه يصر على أن مثل هذه الكيانات لا توجد مستقلة بذاتها استقلالا فعليا . وهذا يعنى أنه على الرغم من أن الأنماط الأخرى من الكيانات قد توجد ، فإن وجودها يعتمد على وجود الكيانات الفعلية أو يشتق منها .

ومن ثم ينتج أن ما يكون أو يوجد، لا يعدو أن يكون كيانا فعليا، أو مشتقا أو مجردا أو تابعا لهذا الكيان الفعلى، وأن الكيانات المشتقة أو المجردة أو التابعة، تفتقر في وجودها تماما إلى وجود الكيانات الفعلية، بالإضافة إلى أن وجودها يكون بمعنى آخر غير المعنى الجوهرى أو الواقعي أو الفعلى.

والواقع أن الاعتراف بالمبدأ الأنطولوچى كان أمرا هاما بالنسبة إلى تاريخ الفلسفة، وضروريا بالنسبة إلى كبار الميتافيزيقيين الذين يختارون مصطلحات متباينة لهذا المبدأ الأنطولوچى، وعلى سبيل المثال يذكر جوتغريد مارتن Gottfrid Martin عن فلسفة ليبنتز وأن الموناد أصبح عنده التصور الرئيسى لأنطولوجتية؛ فبالنسبة إليه أصبحت كل حقيقة متضمنة فى وجود المونادات الجزئية أو الفردية، والوجود الحقيقى يكون ممكنا كوجود فردى للموناد، أو كنتاج لتغير هذا الموناد الفردى؛ فهذه هى الفكرة الأنطولوجية الرئيسية عند ليبنتز (٢).

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٥٤.

 <sup>(</sup>۲) مارتن، جوتفرید: میدافیزیقا کانط والعلم، ترجمة لوکس، مطبعة جامعة مانشستر ص٥٥٠.

وأنظر أيضا: على عبد المعطى محمد: ليبنتز؛ فيلسوف الذرة الروحية الفصول الثالث والرابع والخامس والسادس (المترجم).

ويساعدنا المبدأ الأنطولوجي أولا: على توضيح وإجلاء التصورات الأساسية للميتافيزيقا، ويبقيها واضحة في الفكر، كما يساعدنا ثانيا على منع الخلط بين الكيانات الفعلية والكيانات الأخرى، أي يجنبنا الوقوع فيما أسماه وايتهد ،بمغالطة التموضع الزائف للعيني Fallacy of Misplaced وهي مغالطة خادعة، تعتبر مسئولة عن معظم الأخطاء التي شاعت في الفلسفات منذ بدايتها حتى الآن. ولقد ساعدت اللغة على انتشار تلك المغالطة، ذلك لأن أي كيان يمكن أن يكون موضوعا في العبارة ذات التركيب النحوى، ويترتب على ذلك إمكانية معالجته بطريق الخطأ باعتباره كيانا فعليا في حين أنه لا يكون كذلك (١).

والواقع أن تفسير المبدأ الأنطولوچي كثيرا ما يقودنا إلى فرع آخر هو فرع الإبستمولوچيا Epistemology؛ ذلك الفرع الذي صبغ الفلسفات بصبغته، وأصبح أساسيا في أي عمل فلسفى، ولقد اعتقد الذاتيون أن المعارف تكون داخل العقل البشرى، وأنها ذاتية وفطرية في الإنسان، ولا تستقى من أي واقع خارجي، ولكن السؤال الهام هو كيف تتخارج تلك الأفكار من الذات إلى الخارج؟ أو كيف يستطيع إنسان ما أن ينتقل إنتقالا صحيحا من إدراكه إلى الأشياء الخارجية ؟ والواقع أن كثيرا من الفلسفات الذاتية قد فشلت في بيان

<sup>(</sup>۱) وقد ساعد المتعلق أيضا على ذلك، كما ساعدت اللغة، فاسم الذات أو الاسم العينى Concrete name والذى يكون بمثابة الموضوع دائما، قد يكون محمولا فى القضايا المنطقية Logical Propositions ، أى يأخذ محل أو مكان اسم المعنى أو الاسم المجرد Abstract name وقد Abstract name ومن هنا قرر Welton أن «الاسم قد يكون مجردا فى استعمال ما وقد يكون عينيا فى استعمال آخر، (أنظر 31 P. 31 P. 31) يكون عينيا فى استعمال آخر، (أنظر 31 P. 31 P. 31) ومكن للقارئ أن يرجع فى هذه النقطة إلى :

١ -- على عبد المعطى محمد وآخر: أسس المنطق الصورى، دار الجامعات المصرية ١٩٧٥ الباب الثاني ـ الفصل الرابع.

٢ - على عبد المعطى محمد: المنطق ومناهج البحث العلمى في العلوم الرياضية والطبيعية - دار الجامعات المصرية ١٩٧٧ الباب الأول - الفصل السادس (المترجم).

كيفية هذا الانتقال، وكان ملجأها الوحيد هو أن تتحدث عن عقلنة الخبرة، أو التمسك بعقيدة حيوانية Animal Faith كما يذكر سانتيانا.

اتخذ وايتهد موقفا مضادا تماما للموقف الذاتى، ورأى أن الإدراكات Perceptions وانطباعات الحواس impression of senstion لا يمكن أن تنتج عن القوة الخلاقة للعقل على حد تعبير هيوم، ولكنها تكون مشتقة من بعض الكيانات الفعلية. ومعنى أن إدراكاننا وإحساساتنا لا تكون ذاتية المنبع، أو نابعة عن العقل؛ لأنها لو كانت كذلك لكان معنى هذا أنها خارجة عن الزمان والعكان، وهذا غير ممكن طبقا للمبدأ الأنطولوچى. يقول وايتهد اطبقا للمبدأ الأنطولوچى لا يوجد شئ في هذا العالم يفر من الزمان والمكان؛ فكل المبدأ الأنطولوچى لا يوجد شئ في هذا العالم يفر من الزمان والمكان؛ فكل شئ في العالم الواقعي يشير إلى كيان فعلى، (۱). ويقول في فقرة أخرى النكل واقعة تشير إلى وجود أو فاعلية شئ فعلى، (۱). ومن ثم فإن إدراكاتنا وتصوراتنا وإحساساتنا وأفكارنا يجب أن تفسر على أنها صور مشتقة من الكيانات الفعلية، ولا يمكن أن تكون متولدة ذاتيا

إن رأى وايتهد هذا يتوافق مع ما نلمسه فى حياتنا وأفعالنا وفالذوق الشائع العام يطلعنا على أن كل الأفكار تشير أساسا إلى الكيانات الفعلية Actual العام يطلعنا على أن كل الأفكار تشير أساسا إلى الكيانات الفعلية Entities أو الموضوعات الحسية Sensible Objects على حد تعبير نيوتن، (٢).

وفى حين أن ديكارت كان متطرفا فى الناحية الذاتية، فإن لوك قد وقف الموقف المضاد؛ فلقد ذهب لوك إلى تقرير وجود الأشياء الخارجية، ووجود قوة Power فيها تنتج بفضلها الأفكار الحسية فينا. يقول وايتهد وإن المبدأ الأنطولوجي الذي توسع وامتد فى الفلسفات المختلفة حتى وصل إلى لوك تشكل لديه بحيث أكد على أن القوة تلعب دورا كبيرا فى تكوين أفكارنا

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٣٥٤.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٦٣.

<sup>(</sup>٣) وايتهد : العملية والواقع، ص ٩٩.

المركبة عن الجواهر، إن فكرة الجوهر هنا نحولت عندى إلى فكرة الكيان الفعلى Actual Entity ، وفكرة القوة عند لوك تحولت عندى إلى المبدأ الذى يقرر أن علل الأشياء توجد دائما في الطبيعة المركبة للكيانات الفعلية : في الطبيعة الإلهية بالنسبة للعلل المطلقة العليا، وفي الطبيعة الزمانية المحددة والخاصة بالكيانات الفعلية بالنسبة إلى العلل التي تشير إلى العالم الجزئي. إن المبدأ الأنطولوچي يمكن أن نلخصه بقولنا : ليس ثمة علة مادام لا يوجد كيان فعلى، أو لا يوجد كيان فعلى، أو لا يوجد كيان فعلى، أو لا يوجد كيان فعلى إذن فلاعلة، (١).

سوف نكتشف فيما بعد العلل النهائية للأشياء، لكننا نكتفى الآن بتقرير أن اكتشاف العلل لا يمكن أن يتم طبقا للمبدأ الأنطولوچى إلا من خلال الطبيعة المركبة للكيانات الفعلية المحددة؛ وذلك أن الكيانات الفعلية تحتوى على تلك العلل التي يحاول الفلاسفة البحث عنها. إن العلل هنا ليست إلا الطبيعة الخاصة بتلك الكيانات الفعلية، التي تكون المشكلة الرئيسية في الميتافيزيقا، ومن ثم فإن الأفكار التي ندركها ليست في الحقيقة إلا ما ندركه من طبيعة الكيانات الفعلية. إنها مشتقة من، أو مجردة من تلك الكيانات الفعلية ذاتها. لكن ما معنى هذا كله ؟ إن معناه باختصار شديد هو أن وايتهد من أنصار الموقف الموضوعي الذي كان مقبولا عند اليونان وعند فلاسفة العصور الوسطى. ومن ثم يمكن تفسير قبول وايتهد للمتيافيزيقا كمسألة فلسفية رئيسية.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٢٥.

# الفصل الثالث الميتافيزيقا ومنهجها

- طبيعة الميتافيزيقا
- ٦ منهج الميتافيزيقا



#### طبيعة الميتافيزيقا

ثمة اتفاق بين الفلاسفة حول ماهية الميتافيزيقا، ومع ذلك فهناك إختلاف كبير بينهم فيما يتعلق بطبيعتها ومنهجها، والواقع أن تصور وايتهد للميتافيزيقا لا يمكن قبوله أو الموافقة عليه ببساطة، وإنما يتطلب الأمر مناقشة مستفيضة قبل قبول هذاالتصور.

إن معنى الميتافيزيقا عند وايتهد هو نفس ما عناه أرسطو من قبل بما أسماه بالفلسفة الأولى Frist Philosophy ، وهذا يشير إلى موافقته على ما قاله أرسطو من أن الميتافيزيقا تهتم بالمبادئ الأولى أو التساؤلات الأولى وما يرتبط بذلك من مشاكل ومسائل تتعلق ـ بطبيعة الواقعة القصوى أو النهائية رابنط بذلك من مشاكل ومسائل تتعلق ـ بطبيعة الواقعة التى تعنى ـ كما رأينا ـ البحث عما يكون عليه الوجود في جوهره What that is Which is in رأينا ـ البحث عما يكون عليه الوجود في جوهره This sense

ويجب أن نضع فى ذهننا هنا أن الميتافيزيقا عند وايتهد ليست إلا قسما من أقسام الفلسفة، وفرعاً من فروعها؛ ذلك لأن وايتهد يستخدم مصطلح الفلسفة

بالمعنى الشمولى؛ فهناك فلسفة، ولكن هذه الفلسفة شاملة وعامة بحيث تضم عدة أقسام منها الميتافيزيقا، والابستمولوچيا، والكوزمولوچيا، والأخلاق، والجمال.. الخ. وذلك لا يعنى أن الفلسفة مجرد غطاء لعدد من المسائل المتشابهة رغم استقلالها، بل إن الأمر هو عكس ذلك، فوايتهد يرفض أن تكون تلك الأقسام أو المسائل مستقلة independnet ولكنه يرى أنها متداخلة، وتعبر عن تعاون وترابط عدة أجزاءأو ظواهر - تعتبر الميتافيزيقا أهمها - داخل نسق واحد.

وتعد الميتافيزيقا جزءاً رئيسياً في النسق الفلسفي كله؛ فعند التحليل النهائي، نجد أن التصور الخاص بالواقعة الكاملة، يحدد التصورات الأخرى المتعلقة بالمعرفة، والحقيقة، والحكم، والقيمة، والخير، والجمال، والفضيلة، والواجب، والتنظيم الإجتماعي.. الخ، بمعنى أن كل فرع من فروع الفلسفة يؤكد بعض المظاهر الجزئية أو يعالجها بصورة نسقية، تتوافق معها كل الفروع وتترابط في وحدة النسق، وهذا يتم إما بصورة صريحة وإما بصورة مضمرة.

وحيث أننا نعالج الآن فرع الفلسفة الذي هو الميتافيزيقا، فإننا لن نعالج الآن سائر الفروع، بل نسرع إلى تحديد قولنا في الميتافيزيقا فنقرر إنها تهتم إهتماماً بمشكلة ، تصور الواقعة الكاملة، ولقد أشار وايتهد إلى أننا ، نستطيع أن نكون مثل هذا التصور فقط في مصطلحات تتعلق بالأفكار الرئيسية الخاصة بطبيعة الواقع، ومعنى ذلك أننا إذا أردنا أن نتصور ، الواقعة الكاملة، ، فمن الضروري أن نكشف الأفكار الرئيسية التي تتناسب معها، وبمعنى آخر لا يختلف مع هذا الذي قلناه نقول إن المعالجة التي نكتشف من خلالها الأفكار الرئيسية الملائمة أو المناسبة لتصور الواقعة الكاملة، هي نفسها المعالجة التي نتوصل عن طريقها إلى تصور طبيعة الواقعة الكاملة ذاته. وهذه المعالجة أو نتوصل عن طريقها إلى تصور طبيعة الواقعة الكاملة ذاته. وهذه المعالجة أو نتوصل على حد سواء، تمثل جزءاً من الفلسفة الذي هو الميتافيزيقا وطبقاً لهذا فإن وايتهد يعطينا التعريف النالي:

وإن الفلسفة التأملية Speculative Philosophy تصاول تشكيل نسق مستسرابط ومنطقى وضسرورى من الأفكار العسامسة، في مصطلحات يمكن عن طريقها تفسيس كل عنصس من عناصس خبرتنا، (١).

وفي تعريف آخر يختلف قليلا عما سبق يقول وايتهد:

، إننى أعنى بالميتافيزيقا، العلم الذى يبحث عن إكتشاف الأفكار العامة، المناسبة أساساً والتى لا غنى عنها بالنسبة إلى تحليل كل شئ يحدث، (٢).

سوف نبين فيما بعد لماذا استخدم وايتهد مصطلح الفلسفة التأملية، مع أن هذا المصطلح ليس مرادفاً نماماً لمصطلح الميتافيزيقا، لكن المهم الآن هو أن نظر في الميتافيزيقا باعتبارها محاولة للكشف عن الأفكار العامة General ننظر في الميتافيزيقا باعتبارها محاولة للكشف عن الأفكار العامة الطعة الطعة، وهذا يعنى نماماً أن هذه الأفكار الأساسية هو نفس ما عناه بالأفكار العامة، وهذا يعنى نماماً أن هذه الأفكار الأساسية يجب أن تكون عامة، أما سبب كونها عامة فذلك كي تكون صالحة لتفسير كل عنصر من عناصر خبرتنا، أو لتحليل كل شئ يحدث على حد تعبير وايتهد، ولو كانت هذه الأفكار خاصة أو ليست عامة عمومية كاملة لما تمكنت من القيام بمهمتها التحليلي. إن وايتهد لا يكتفي باشتراط أن تكون هذه الأفكار عامة وحسب، بل أنه يشترط أيضاً أن تكون مترابطة، ومنطقية، وضرورية، ومصاغة في نسق، وعلينا الآن أن ننظر في في هذا تفصيلا.

فحين نسأل وايتهد: ما الذي تعنيه بالأفكار العامة ؟ فإن إجابته سوف تكون: لن استطيع تقديم إجابة شاملة على هذا السؤال إلا إذا فسرت أولا ما

<sup>(</sup>١) أنظر:

أ - وايتهد: العملية والواقع، ص ٣.

ب - وايتهد: مغامرات الأفكار، ص ٢٨٥.

ج - وايتهد: الدين في طور التكوين، الحاشية، ص ٧٢.

أعنيه من كون هذه الأفكار مترابطة ومنطقية وضرورية. إلا أن وايتهد يلاحظ أن الأفكار العامة ليست مثار اهتمام الميتافيزيقا وحدها، فكل نوع من المعارف والعلوم يشارك الميتافيزيقا هذا الاهتمام: يقول وايتهد: «إن الخطوة الأولى للعلم وللفلسفة، يتم التوصل إليها، حين ندرك أن أى حادثة تسير على وتيرة واحدة مع حادثات أخرى، هي أمثلة لمبدأ، وأن هذا المبدأ يعد بمثابة قضية أو عبارة نحصل عليها بواسطة التجريد من تلك الأمثلة الجزئية، (١).

ومعنى ذلك أن الحادثة أو الواقعة يظهر عنها ملامح تكون عامة general أى لا تخص هذه الحادثة أو تلك الواقعة بالذات، وإنما يمكن أن توجد فى حوادث ووقائع أخرى كذلك وهذه الملامح العامة أو العبادئ العامة يمكن تصورها على هيئة فكرة الحاه أو حالة من حالات التجريد. وسوف نناقش هذه النقطة فيما بعد. ولكن يجب أن نلاحظ الآن أن ما قلناه هنا يتفق مع ما قررناه بصدد المبدأ الانطولوچى، وإن كانت كلمة مبدأ من الكلمات التى يواكبها الكثير من الغموض خصوصاً حينما تربط بين الميتافيزيقا وبين الأنطولوچيا. فكلمة مبدأ أصبحت تعنى الآن هنا : ملامح الشئ فى ذاته أو كما يتم تصوره.

ولقد أشار وايتهد أيضاً إلى أن الفلسفة والعلم ايهتمان بفهم الوقائع الفردية كأمثلة للمبادئ العامة، وأن هذه المبادئ يمكن فهمها كتجريدات، أما الوقائع فلا تفهم إلا من خلال تجسدها في مبادئ، (٢).

وهذا يعنى أن الفلسفة والعلم يحاولان معاً فهم الأشياء في ضوء المبادئ العامة، وأن هذا الفهم في ضوء المبادئ العامة، يكون في فلسفة وايتهد أساس المذهب العقلي، والمذهب العقلي عنده يبحث في العال أو الأسس أو الأسباب بالمعنى الأرسطى العام، وهذه العلل ليست إلا المبادئ العامة للأشياء. ويمعنى

<sup>(</sup>١) وايتهد : مغامرات الأفكار، ص ١٨٠ .

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ١٧٩.

آخر إن أى شئ - كياناً أو حادثة - يفهم عقلياً، حينما يتم تجسيده أو تمييزه او توضيحه ببيان علته أو العبدأ الذى يكون - هذا الشئ - مثلاً من أمثلته فنحن نفهم بالمبادئ، ونفسر بها لماذا ولأية أسباب نكون الأشياء على ما هى عليه ولماذا تحدث الحوادث على نفس النحو الذى تحدث به لا على نحو آخر . فحينما نرغب مثلا فى فهم ظاهرة احتجاب الشمس فى سماء صافية ، فيجب علينا أن نفسر الظروف التى أدت إلى ذلك ، وأن نبين الأسباب أو العلل التى نجمت عنها تلك الظاهرة . وذلك لا يتم إلا فى ضوء مجموعة من المبادئ العامة تعبر عن الحركات النسبية للشمس والقمر والأرض مرتكزة على قوانين علمية ، ومعبر عنها برموز رياضية .

لن نتحدث الآن عن التمييز بين العلم وبين الفلسفة. لكى نركز اهتمامنا كله على هذا الجزء من الفلسفة المسمى بالميتافيزيقا. إن الوقائع Facts التى تهتم بها الميتافيزيقا هى الوقائع الكاملة أو ما أسماه وايتهد بالكيانات الفعلية Actual Entities، ويتمثل دور الميتافيزيقا فى محاولة فهم طبيعة هذه الوقائع أو تلك الكيانات الفعلية فى ضوء مبادئ عامة تتجسد فيها هذه أو تلك. وهذا يعنى أن الميتافيزيقا تتطلب فهم طبيعة الكيان الفعلى من جهة مبادئه العامة التى يتشارك فيها مع أى كيان فعلى آخر، أو من جهة ملامحه التى تكون عامة بين كافة الكيانات الفعلية. إن هذه المبادئ أو الملامح العامة هى التى عامة بين كافة الكيانات الفعلية أو تحدد ما تكون عليه، أو تبين ماهيتها.

ويجب أن نلاحظ أن العبادئ والملامح التي تهتم بها الميتافيزيقيا هي تلك التي تتسم بأنها عامة عمومية كاملة؛ فالكيانات الفعلية تظهر ملامح ومبادئ عديدة تختلف من حيث درجات العمومية، فهناك ملامح ومبادئ تخص بعضا أكبر، فأكبر وهكذا. إلا أن الميتافيزيقا لا تهتم إلا بالملامح والمبادئ مطلقة العمومية أو كاملة العمومية، وهي تلك التي تتعلق بالكيانات الفعلية كلها، ولا تخص بعضاً منها فقط، أياً ما كان من كبر هذا البعض، ولعل إختلاف درجات العمومية التي تظهرها الكيانات الفعلية، هو الذي يفسر لنا

إختلاف إهتمامات علم ما عن غيره من العلوم، كما ويمكن أن يفسر لنا إختلاف السلوك والاتجاهات والأفكار.. الخ.

وعلى هذا النحو يمكن أن نقرر أن الكيانات الفعلية تظهر ملامح أو مبادئ خاصة بكل مجموعة منها، كما تظهر علاوة على هذا ملامح أو مبادئ عامة تخصها باعتبارها كيانات فعلية، أو تخصها من حيث هى كذلك، أو على نحو أدق تتعلق بالكيانات الفعلية ككيانات فعلية وحسب، وتلك الملامح والمبادئ العامة هى ما تكون فى نهاية الأمر طبيعة تلك الكيانات الفعلية من حيث هى كذلك.

ما تريد أن نؤكده هنا هو: أن الملامح والمبادئ التي تتعلق بالكيانات؛ الفعلية من حيث هي كيانات فعلية، هي تلك التي تؤلف طبيعة تلك الكيانات؛ أو التي تعبر عما تكون عليه، وأن هذه الملامح وتلك المبادئ تتصف بأنها عامة عمومية مطلقة.

ولكون الميتافيزيقا مهتمة بالدرجة الأولى وبصورة أساسية بالملامح أو المبادئ المطلقة العمومية للكيانات الفعلية، فإن وايتهد يستخدم مصطلح ميتافيزيقا والصفة ميتافيزيقى إستخداماً يتوافق مع تلك الإشارة إلى هذه الملامح أو المبادئ العامة عمومية كاملة. فالذى انصفه بأنه ميتافيزيقى من الكيانات الفعلية - بالمعنى الصحيح والعام لكلمة ميتافيزيقا - يجب أن يكون قابلا للتطبيق على كل الكيانات الفعلية (١).

حدد وايتهد إذن الميتافيزيقا بأنها دراسة للملامح والمبادئ العامة والكاملة العمومية للكيانات الفعلية ككيانات فعلية أو من حيث هى كيانات فعلية وهذا التحديد الذى ذكره وايتهد يعتبر أكثر وضوحاً ودقة من التحديد أو التعريف التقليدى الميتافيزيقا، والذى يذهب إلى أن الميتافيزيقا هى دراسة الموجود من

<sup>(</sup>١) أنظر:

أ – واينهد : العملية والواقع، ص ١٢٦، وايضا صفحات ٢٧٤، ٢٧٩، ٤٠٨.

حيث هو وجود Being qua Being ، فلقد رأينا فيما سبق الغموض الكبير الذي ارتبط بكلمة being ، لذلك تفادى وايتهد استخدام هذا المصطلح لما واكبه من غموض، ولقد ترتب على ذلك أن وايتهد لم يقع فى نفس الصعوبات التى وقع فيها أرسطو ومن بعده حينما حاولوا تمييز الوجود being من ناحية الجوهر أو الماهية أو الطبيعة (١).

وبديهى فان محاولة الكشف عن الكيانات الفعلية هى ذاتها محاولة تصور الكيانات الفعلية فى ضوء المعانى أو الأفكار الأساسية، وهذا يعنى أن علينا أن نحاول إيجاد الأفكار المناسبة، وأن نبين المنهج الذى يوصلنا بكفاءة إلى تلك الأفكار وسوف نعقد فصلا خاصاً لمشكلة المنهج عند وايتهد أما الآن فعلينا أن نبين كيف يمكن أن نجد أفكاراً صحيحة وصادقة، ومناسبة وملائمة فى نوعها ومعيار قياسها.

لقد ذكرنا من قبل أن الأفكار التى نبحث عنها، والتى تثير إهتمام الميتافيزيقا هى الأفكار العامة عمومية كاملة، فمثل هذه الأفكار تمكننا من تفسير كل عناصر خبرتنا على حد تعبير وايتهد، ولكن ما الذى يقصده وايتهد بكلمة تفسير؟ نحن نكتفى الآن ببيان أن قدرة الأفكار الميتافيزيقية العامة على تفسير كل عناصر الخبرة، يتضمن فى ذاته معيارا دقيقاً يجب توفره فى تلك الأفكار الميتافيزيقية ذاتها.

والواقع أن الميتاقيزيقا تهدف إلى إقامة نسق System من الأفكار العامة، ولكى تؤلف هذه الأفكار العامة نسقا، فإنها يجب أن تكون علائقية بالصرورة، أى أن تكون مترابطة ترابطا صروريا بفضل ما بينها من علاقات وتآرز. ومن هنا كانت فكرة الترابط متصلة أوثق الاتصال بالنسق، وتكون فى نفس الوقت معياراً هاماً ورئيسياً يجب أن يرتقى إليه أى نسق ميتافيزيقى،

<sup>(</sup>١) أنظر المناقشة المستفيضة التي عقدها Gilson عن هذه النقطة في الفصل الثاني من كتابه Being and some philosophers .

والترابط عند وايتهد ليس مطلباً أو هدفا ميتافيزيقيا فقط، لكنه يمثل أهم الأهداف وأكثرها أساسية بالنسبة لأى عمل عقلى آخر ـ يقول وايتهد : «إن الترابط يمثل أعظم وأكبر مطلب عقلى سليم، (١) . فترابط الأفكار والتحامها في نسق، يعبر عن هدف عقلى صميم، بدون الوصول إليه لا يمكن أن يتم أى فهم عقلى على الإطلاق.

ويمكن فهم الترابط عند وايتهد فهما أعمق، وأدراك أهميته القصوى بالنسبة لإقامة الأنساق، والتفهم العقلى الكامل له، إذا نظرنا فيما يتناقض معه، أعنى إذا نظرنا في اللاترابط. إن اللاترابط يعنى عند وايتهد ذلك الفصل التعسفى Arbitrary disconnection الذي يشير إلى أن المبادئ أو الأفكار لا تحتوى أو لا تمتلك أية علاقات تترابط وفقها، ومن ثم لا يمكن أن يتضمن بعضها البعض، ولا يمكن بالتالى أن تؤسس نسقاً. وبمعنى آخر يشير الفصل التعسفى إلى أنه ليس ثمة مبدأ عام يمكن أن يعبر عن عدد من الأفكار المترابطة. إن كلمة تعسفى والتى تسبق كلمة الفصل تشير هنا إلى أنه ليس ثمة مبدأ الفكار أو المبادئ ولا تترابط، بمعنى أن الفصل بين هذه الأفكار أو تلك المبادئ يكون تعسفياً، لا يظهر فيه سبب هذا الفصل أو علته، وهي لو بينت سبباً مقنعاً لهذا اللاترابط، لكنا إعتقدنا، إن الأفكار منفصلة، وأنها لا تترابط على أي نحو. أما وأنها لم تذكر أي سبب، بل فصلت تعسفيا بين الأفكار والمبادئ، فإنها من ثم تمثل نزعة لا عقلانية واضحة.

ان اللاترابط عند وايتهد هو بمثابة إحباط Frustration لأى محاولة عقلية، وأنه وأنه لا يؤدى فى عقلية، وأنه وأنه لا يؤدى فى أحسن الأحوال إلا إلى فهم جزئى Partial Understanding يتعلق بشئ جزئى، لا يرتبط بغيره من الأشياء الجزئية.

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٧.

ولقد قرر وايتهد أن جوهر اللاعقلانية متضمن في اللاترابط، وأننا إذا قبلنا المذهب اللاعقلى، فإننا نقبل في نفس الوقت، قبولا صريحا أو مضمرا للفصل التعسفي الذي ذكرناه والذي قلنا أنه لا يقوم على أي ذكر للعلة أو السبب، تجعل فصل المبادئ والأفكار فصلا معقولا. وبمعنى آخر فإن المذهب اللاعقلى يتضمن إنكار العلل، ويتضمن بالتالى إنكار المبادئ العامة سواء أكانت مطلقة العمومية، أو أقل درجة في العمومية مما يهتم به العلم.

ويقرر وايتهد أن ما قاداه عن المذهب اللاعقلى يكون جوهر المذهب الوضعى Positivism الذى ذاع إنتشاره حتى فى الدوائر العقلية، ويؤسس رفض المذهب الوضعى للميتافيزيقا، ولقد هاجم وايتهد المذهب الرضعى على أساس إعتناق هذا المذهب لنزعة لاعقلانية واضحة، وإعتبره ممثلا لأكبر خيانة حصلت فى التاريخ ضد الفلسفة والعلم على حد سواء (١).

ويقدم وايتهد مثالا على الفصل التعسفى وذلك فى فلسفة ديكارت، وإن كان فصلا تعسفياً من نوع آخر يقتصر على الفصل بين الجوهر المادى وبين الجوهر الروحى أو الفكرى ويقول وايتهد اإن اللاترابط يعنى فصلا تعسفيا للمبادئ الأولى وفى الفلسفة الحديثة نجد ديكارت فيلسوفا لا ترابطيا متعسفا بهذا المعنى، وذلك لأنه أشار إلى وجود نوعين من الجوهر : الأول مادى والثانى فكرى، دون أن يبين أى سبب فى عدم قبوله لجوهر كلى واحد هو

<sup>(</sup>۱) هاجم وايتهد المذهب الوضعى هجوما مرا فى معظم كتاباته فيذكر فى كتابه Modes (۱) هاجم وايتهد المذهب الوضعى هجوما مرا فى معظم كتاباته فيذكر فى كتابه Modes من النزعة of Thought مرادة من الأفكار الوضعية، وأنظر أيضا مؤلفاته الأخرى:

أ - وظبفة العقل، في مواضع متفرقة.

ب - العلم والعالم الحديث، الفصل الأول.

جـ - العملية والواقع، ص٧.

د - مغامرات الأفكار، صفحة ٧ والفصل الثامن.

الجوهر المادى، أو لجوهر كلى واحد هو الجوهر الفكرى أو الروحى، (١).

ويذكر وايتهد أن الميتافيزيقا عقلية بالدرجة الأولى من حيث أنها تحاول البحث عن العلل القصوى في دائرة بحثها عن المبادئ الأولى وذلك دون أدنى تعسف، ودون ذكر لأى قوى سحرية لا تتفق مع طبيعة العقل. يقول وايتهد: «إن الإعتقاد بالعلة، يعنى الثقة بأن الطبائع القصوى للأشياء تترابط معا في إنسجام كامل لا يقبل أدنى تعسف. إنه الاعتقاد بأننا لن نجد في صميم الأشياء أى قوة سحرية تعسفية، (١). وغنى عن البيان أن الترابط يربط بين الأمثلة الجزئية في قوانين، وترتبط القوانين في نظريات، وأن هذا ليس شأن الميتافيزيقا وحسب، بل هو شأن العلم أيضا. يقول وايتهد: «إننا نفشل في إيجاد أى عنصر من عناصر الخبرة لا يكون مثالا من أمثلة نظرية عامة. إن هذا هو بالضبط أمل أى مذهب عقلى، وهذا الأمل ليس أملا ميتافيزيقا، (١). وحسب، ولكنه يمثل اعتقادا تعتقده كل العلوم، بما في ذلك الميتافيزيقا، (١).

إن هذا الأمل، وذاك الاعتقاد، وتلك الثقة ليست مقدمات تبدأ منها النظرية الميتافيزيقية، بقدر ما تمثل غاية مثلى تتطلب الإشباع، إنها توجد في صميم المذهب العقلى من حيث هو كذلك، وهذا يعنى أننا لا يمكن أن نجد أية محاولة عقلية على الإطلاق دون أن ترتبط بها موافقة صريحة أو مضمرة

<sup>(</sup>۱) ذكر وايتهد هذا النص في الصفحة الثامنة من كتابه Process and Reality ولقد ذكر ديكارب أن النفس والجسم جوهران متمايزان تمام التمايز بحيث يكون كلا منهما جوهراً خاصاً مستقلا عن الآخر، فماهية الجوهر الروحي هي الفكر، بينما ماهية الجوهر المادي هو الإمتداد، وإذن فنحن نستخلص في ديكارت على ما يقول فوليه Foullée والتمديز بين النفس وجوهرها التفكير، وبين الجسم وجوهره الامتداد، (أنظر: Descartes, P. 104) (المترجم).

<sup>(</sup>٢) وايتهد: العلم والعالم الحديث، ص ٢.

<sup>(</sup>٣) أنظر:

أ – وايتهد : العملية والواقع، ص ٥٧.

ب - وايتهد: وظيفة العقل، ص ٢٩.

على هذا الهدف أو تلك الغاية المثلى، وإن إنكار الجانب العقلى من أية محاولة عقلية ينتهى بنا إلى الوقوع في التناقض الذاتي.

ويرى وايتهد أن الأهمية الرئيسية الترابط في الميتافيزيقا تتضمن خاصية رئيسية بها، تتمثل في تعقب النزعة العقلية إلى آخر مدى، وما يترتب على ذلك من وجود ترابطات تداخلية رئيسية بين الأشياء. يقول وايتهد: ،توجد في العالم عناصر النظام Order وأخرى الفوضى أو الاضطراب الفوضى وتلك تفترض وجود علاقات ترابطية بين الأشياء. فالاضطراب أو الفوضى يساهم مع النظام في الخاصية العامة التي تؤكد الإشارة إلى وجود ارتباطات يساهم مع النظام في الخاصية العامة التي تؤكد الإشارة إلى وجود ارتباطات داخلية بين الكثير من الأشياء، (۱). وطبقا لهذا يؤكد وايتهد ،أنه لا يمكن تصور أي كيان وهو مستقل تماما عن نسق العالم، وأن على الفاسفة التأملية أن توضح هِذا، (۱). وما ذلك إلا لأن الارتباطات الداخلية بين للأشياء تتضمن ترابط الأفكار المترتبة عليها أيضا، بحيث يصعب علينا بتر فكرة عن أخرى، أو فصلها عن بقية الأفكار. بل إن وايتهد يحذرنا من هذا الفصل وذاك التجريد، ويقرر أن النظر في أي فكرة منفصلة لا يكون له أي معنى. يقول وايتهد : •إن الأفكار الرئيسية، يفترض وجود بعضها البعض الآخر، وحينما نفصل بينها، لا يكون لأي منها أي معنى، (۱).

إن الأفكار الميتافيزيقية، هى أفكار بالغة أو مطلقة العمومية، وثمة أفكار أقل منها فى درجة العمومية، وهى الأفكار العلمية إلا أننا يجب أن نلاحظ أن الأفكار الميتافيزيقية الا تكون قابلة للتحليل أكثر من ذاتها، وأن على كل فكرة ميتافيزيقية أن تبين ضرورتها بالنسبة إلى غيرها من الأفكار الميتافيزيقية، وأن تكون متساوية معها من حيث العمق، (1). وعلى هذا النحو يتم ترابط

<sup>(</sup>١) وايتهد : مغامرات الأفكار، ص ٢٩٢.

<sup>(</sup>٢) وايتهد: العملية والواقع، ص ٣.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، نفس الوضع.

<sup>(</sup>٤) وايتهد: أنماط الفكر، ص ١.

الأفكار الميتافيزيقية في نسق، بمعنى أن النسق الميتافيزيقي يتكون من أفكار مطلقة العمومية، لا تقبل التحليل إلى أكثر من ذاتها، وتكون ضرورية لإقامة النسق، وكل فكرة تتساوى مع الأخرى من حيث الأهمية والعمق، ثم من الترابط الذي يربط تلك الأفكار في نسق. أما النسق العلمي فإنه يربط بين أفكار أقل عمومية من المبادئ الميتافيزيقية.

الترابط إذن مطلب رئيسى من مطالب تشكيل النسق الميتافيزيقى عند وايتهد، لكنه ليس المطلب الوحيد، إذ يجب أن يتوافر لهذا النسق مطلب آخر؛ هوالمطلب المنطقى ، ووايتهد يفسر مصطلح منطقى بالمعانى المعتادة له، والتى تتضمن التناسق المنطقى، والخلر من التناقض ،أما تعريف المنطق في أمثلة جزئية، ومبادئ الاستدلال، (۱).

وثمة مطلب آخر، يرتبط بالمطالب السابقة؛ وهو أن الأفكار الميتافيزيقية، المؤسسة للنسق الميتافيزيقى، يجب أن تكون ضرورية Recessary لا ممكنة Contingent الملامح الميتافيزيقية للكيانات الفعلية هى ملامح كاملة العمومية فهى من ثم لابد وأن تكون كلية Universal أى تتجسد فى كل الأشياء بالضرورة، وضرورة كلية المبادئ الميتافيزيقية يعنى أنها ليست ممكنة، فالإمكان علامة المبادئ الأقل درجة من حيث الكلية والعموم، المبادئ التى هى أدنى من المبادئ الكلية. وهذا يعنى أن ضرورة الأفكار الميتافيزيقية تترتب على كليتها فإذا كانت الأفكار جزئية لم تكن ضرورية وإنما كانت ممكنة يقول وايتهد وإن النسق أو المخطط الفلسفى يجب أن يكون ضروريا، بمعنى أنه يجب أن يحمل فى ذاته ضمانه الخاص لكلية أفكاره خلال كل بمعنى أنه يجب أن يحمل فى ذاته ضمانه الخاص لكلية أفكاره خلال كل الخبرات، (۲). فالأفكار الميتافيزيقية تحمل ضمانها لكلية أفكارها خلال كل الخبرات على أساس تمكنها من تفسير كل عناصر الخبرة بصورة تتوافق معهاه.

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ص ٣ - ٤.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٤.

وهكذا نجد أنفسنا أمام محك آخر نستند إليه في إقامتنا لنسق ميتافيزيقي من الأفكار، وهو أن هذا النسق يجب أن يكون قادرا على تفسير أي عنصر بمصطلحات مستقاة منه، ولكن من الأهمية بمكان أن نبين بوضوح ودقة ما هو المقصود هنا بكلمة تفسير Interpration إن وايتهد يعنى بهذه الكلمة وأن كل شئ نشعر به أو نفكر فيه أو نتمتع به أو ندركه أو نرحب به تكون له خاصية المثال الجزئي للنسق العام، (۱). وهذا يعنى أنه لما كانت المبادئ الميتافيزيقية عامة بالنسبة إلى أي كيان فعلى، ولما كانت كل الكيانات الأخرى والحوادث. الخ مشتقة من الكيانات الفعلية طبقا للمبدأ الأنطولوچي، فيجب أن يكون في الإمكان تفسير أو توضيح أو بيان أي شئ باعتباره مثالا جزئيا من أمثلة النسق الميتافيزيقي. ومن ثم فإن التفسير الفلسفي يعد من أكثر المحكات أهمية في بيان كفاءة وكفاية النسق الفلسفي.

إن نسق الأفكار الميتافيزيقية يجب أن يكون قابلا أيضا للتطبيق، إلا أن قبول هذا النسق للتطبيق على بعض عناصر الخبرة لا يعنى تمكنه من تفسير كل عناصر الخبرة، ومن ثم فيجب أن نلاحظ أن توفر الناحية التطبيقية الخاصة ببعض عناصر الخبرة لا يعنى كفاءة وكفاية هذا النسق في تفسير بعض عناصر الخبرة الأخرى، ومن هنا فيجب أن نقرر أن نسق الأفكار بعض عناصر الخبرة الأخرى، ومن هنا فيجب أن نقرر أن نسق الأفكار الميتافيزيقية يجب أن يكون قابلا للتطبيق وكافيا لتفسير كل عناصر الخبرة في نفس الوقت.

ويجب أن نضع فى ذهننا أن خواص الأفكار الميتافيزيقية الآنفة الذكر والتى تتمثل فى كونها كاملة أو مطلقة العمومية، وكونها كلية، وضرورية، وذات علاقات ترابطية، وكونها منطقية، وقابلة التطبيق، وكافية التفسير، تتوافق مع المبدأ الانطولوچى على النحو الذى ذكرناه، أى باعتباره موضحا للمشكلة الرئيسية التى تحدد موضوع الميتافيزيقيا. كما أن هذه الخواص ذاتها

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٣.

تؤلف فيما بينها المتطلبات التي ينشدها النسق الميتافيزيقي، أو المعايير أو المحكات التي يهتدى بها في تشييده، والتي يقيم على أساسها مصطلحاته؛ إنها تعبر عن الغاية المثلى التي تهدف إلى تحقيقها أية محاولة ميتافيزيقية وإن كان الأمر يتطلب أكثر من ذلك؛ إنه يتطلب بصيرة نافذة، وتمكنا لغوياً فائقاً. يقول وايتهد: وإن الفلاسفة قد لا يأملون في بعض الأحيان النجاح وهم بصدد صياغة المبادئ الميتافيزيقية الأولى: ذلك أن ضعف البصيرة وعدم التمكن من اللغة قد يقفا حائلا صلبا دون تحقيق هذا الأمل. إن الكلمات والعبارات يجب أن تمتد إلى ما وراء استخدامها العادى، لكى تصبح ذات عمومية أكبر، كما يجب ألا تظل صامته أمام القفزات التخيلية. والواقع أنه ليس ثمة مبدأ أول يستعصى على المعرفة، أو يهرب من قبضة البصيرة، لكن صعوبات أول يستعصى على المعرفة، أو يهرب من قبضة البصيرة، لكن صعوبات اللغة، ونقص النفسير التخيلي هو الذي يمنع التقدم في هذا المجال،(١).

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ص ٤ -٥.

### منهج الميتافيزيقيا

تنحصر مهمة الميتافيزيقا كما رأينا في محاولة تصور طبيعة الواقعة الكاملة، Actual Entity ومن ثم فهي الكاملة، Acomplete Fact أو الكيان الفعلى Actual Entity ومن ثم فهي تحاول الكشف عن الأفكار الأساسية الملائمة، وصياغة نسق من الأفكار العامة. ولكن سؤالنا الآن هو: كيف تتمكن الميتافيزيقا من الكشف عن طبيعة الواقعة الكاملة ؟ وأي منهج تتبعه وهي بإزاء محاولتها إيجاد الأفكار العامة أو الملامح الكلية للكيانات الفعلية ؟

لقد رأينا فيما سبق أن الميتافيزيقا عقلية الاتجاه، وأنها تتعقب تلك الناحية العقلية إلى آخر مدى إلا أن هذا لا يعنى عند وايتهد أن المنهج الأساسى للميتافيزيقا هو منهج استنباطى Deductive Method نستنبط فيه القضايا Premises بواسطة العقل وقواه الاستنباطية، إن وايتهد لا يوافق تماما على أن يكون هذا المنهج الاستنباطى هو منهج الميتافيزيقا، ولم يوافق على تلك الدجماطيقية القاطعة، والتى تذهب إلى أن المقدمات تمثل تصورات أو معانى أو مبادئ في غاية الوضوح واليقين

والتميز، وأنه لا سبيل إلى الشك فيها، ومادامت المقدمات واضحة ومتميزة ويقينية على هذا النحو فإن القضايا التى يمكن أن نستنبطها منها يجب أن تكون يقينية أيضا وواضحة ومتميزة لأنها باختصار مشتقة من تلك المقدمات(١).

(١) إن مقدمات أي نسق إستنباطي Deductive System يمكن التمييز فيها بين ما يسمى بالبديهيات Axioms وهي حقائق بينة بذاتها Self - evident truths وتكون عامة أي تنطبق على العلوم كلها، وبين ما يسمى بالمصادرات Postulates وهي حقائق بسيطة واضحة لدرجة أننا نقبلها بداهة دون ما حاجة إلى البرهنة عليها، إلا أنها تخص علما دون أخر وليس لها تلك العمومية التي نجدها في البديهيات. ولقد تنبه أرسطو منذ القدم إلى هذا التمييز حين قرر ،أن كل علم برهاني Demonstrative Science يجب أن يبدأ من مبادئ غير مبرهنة، وإلا فاننا سنتراجع في خطوات البرهنة إلى مالانهاية وهذه المبادئ غير المبرهنة قد تكون عامة Common بالنسبة إلى كل العلوم، وقد تكون خاصة Particular يعلم معين أو علم جزئي. والمبادئ العامة غير المبرهلة هي مانسميها بالبديهيات، أما المبادئ غير المبرهنة الخاصة فهي تتبع نوع الموضوع الخاص بعلم ما جزئي، . وعادة ما يبدأ النسق الاستنباطي بمجموعة من التعريفات Difinitions إلى جوار البديهيات أو المصادرات. ولقد إستطاع افليدس حوالي عام ٣٠٠ ق. م أن يميز بين مجموعتين : الأولى هي ما أسماها بالمعاني العامة Common notions ، والثانية هي ما أسماها بالمصادرات Postulates ، ومن هاتين المجموعتين بالاضافة إلى مجموعة ثالثة تسمى بالتعريفات Difinitions تمكن اقليدس من استنباط ٤٦٥ قضية، أي تمكن من إقامة ما يسمى بالنسق الاستنباطي في ميدان علم الهندسة. ولقد استخدم المنهج الاستنباطي بالمعنى الاقليدي عن طريق أرشميدس Archemedes (٢١٢ - ٢١٧ ق. م) وذلك حينما برهن أرشميدس على ١٥ قصية ابتداء من ٧ مصادرات غير ميرهدة. كذلك أقام نيوتن كتابه الشهير Principia (الطبعة الأولى عام ١٦٨٦ م) على هيئة نسق استنباطي، حيث تظهر القوانين المعروفة جدا للحركة على أنها قضايا غير مبرهنة أو مصادرات. كما أن معالجة لاجرانج Lagrange للميكانيكا التحليلية عام ١٧٨٨ تبدو وكأنها قطعة فريدة من الكمال الاستنباطي. ولقد ظهرت لباخ Pasch عام ١٨٨٢ دراسة للهندسة ترتكز على ما يسمى بتصورات جزئية وقضايا بديهية لا تحتاج إلى تعريف أو برهان نظرا لعموميتها ويساطتها ووضوحها، وبعد أن يضع باخ بديهياته ويرسى دعائم نسقه بتلك القضايا الأولية البديهية يبدأ في استنباط القضايا المشتقة من القضايا الأولية بتسلسل منطقي محكم. ونفس الأمر اتبعه بيانو Peano وبييري Pieri وفيلن Veblen ومور R. L. Moore وهيابرت Hilbert ونود أن نشير إلى أن المنهج الاستنباطي لم يكن هو منهج الرياضيات وحسب، بل تمكن العلماء من إستخدامه في علوم الطبيعة يقول وايتهد: «إن فكرة خاطئة تعلقت بالمنهج الفلسفى، وهى أن هذا المنهج ذو طابع دجماطيقى لأن مقدماته واضحة غاية الوضوح، ومتميزة، ويقينية، وأن على مثل تلك المقدمات يقام النسق الاستنباطى الفكرى، (١). ويرى وايتهد أن ديكارت مسئول إلى درجة كبيرة عن إعادة بعث هذه الفكرة الخاطئة، وذلك حينما حاول إخضاع العلوم الفيزيقية للرياضيات، تلك الرياضيات التى تعتمد أساساً على المنهج الاستنباطي (٢). وأن ليبتنز قد زاد

والميكانيكا التحليليلة، والبيولوچيا (فاقد طبق وودجر J.H. Woodger المستنابطى في علم البيولوچيا أنظر كتابه (The AxiomaticMethod in Biology) بل وطبقه اسيينررا على ميدان الفاسفة وذلك في كتابه الرئيسي والأخلاق، حيث يبدأ بثماني تعريفات وسبعة بديهيات ومن هاتين المجموعتين يستنبط سائر أجزاء الفلسفة. والواقع أن المنهج الاستنباطي ومنع في الأصل للعلوم البرهانية بوجه عام، وللعلوم الرياضية بوجه خاص، إلا أننا لاحظنا انتشاره في كافة الدوائر العلمية، خصوصا تلك الدوائر التي عبرت عن قضاياها وقوانينها برموز رياضية، فهي حينما قامت بذلك، وجدت أن من الأفضل لها أن تستخدم أيضا المنهج الاستنباطي خصيصة العلوم الرياضية الأولى، ظنا منها أنها تكتسب عن طريق هذا المنهج - دقة أكبر، وومنوها أشمل، ويقينا أعظم (أنظر في ذلك كله : على عبد المعطى محمد : المنطق ومناهج البحث العلمي في العلوم الرياضية والطبيعية - الباب الثاني - الفصل الثالث - دار الجامعات المصرية 1947) (المترجم).

<sup>(</sup>١) واينهد : العملية والواقع، ص ١٠.

<sup>(</sup>Y) ذهب ديكارت إلى أن الهندسة أو الرياضيات إنما هي ثوب خارجي لرياضة أعلى أسماها العلم الكلى، وفيها ندرس العلاقات جميعها بأسلوب رياضى، وبمنهج استنباطى، وهذه الرياضة الأعلى إنما تأتى عن الرمز الطبائع البسيطة التي تصل اليها بواسطة التحليل. وبمعنى آخر حاول ديكارت أن يحلل المركبات الفيزيقية وغيرها إلى طبائعها البسيطة التى لا تقبل التحليل بعد ذلك إلى أكثر ما حالناها اليه، ثم حاول بعد ذلك استخدام رموز رياضية تدل على هذه الطبائع البسيطة، فتتكون لديه في نهاية الأمر رياضة أعلى أو علم كلى أو هجاء علم، ولما كان المنهج الاستنباطي هو منهج رياضي بالدرجة الأولى، فان ما توصل اليه ديكارت في هذا الصدد لابد وأن يخضع بالتالي لنفس المنهج الاستنباطي، وكان ديكارت يهدف من وراء ذلك كله الى الوصول الى نفس دقة ووضوح ويقين الرياضيات في كافة الدوائر العلمية والمعرفية (أنظر في ذلك : على عبد المعطى محمد : ليبنتز، فيلسوف الذرة الروحية - الفصل الثالث. دار الكتب الجامعية، ١٩٧٧) (المترجم).

الطين بلة حينما اقترح ما أسماه بالحساب الكلى Universal Calculus(\*). والذى كان له أثره البالغ على من تابعه من المفكرين والفلاسفة المحدثين والمعاصرين. أما وايتهد فلقد هاجم هجوما مر ا المنهج الاستنباطى قائلا إنه ولا يمكن أن تكون لدينا أولا أفكار واضحة ومتميزة نتخذها كنقطة بداية؛ فالتعميمات النهائية هى هدف أو غاية الميتافيزيقا وليست بدايتها أو

(\*) لقد سعى ليبنتز ما وسعته الحيلة إلى ايجاد هجاء عام أو حساب كلى يستخدم فيه المنهج الرياضي، وينطبق على جميع المعارف والعلوم وهو يسمى محاولته هذه بالهجاء العام أحيانا وباللغة العالمية أحيانا ثانية وبفن التركيب أحيانا ثالثة وبفن الاختراع أحيانا رابعة وبالحساب الكلى أحيانا خامسة، ولقد كان ليبنتز يستخدم حروفا أبجدية أو أرقاما أولية وهو كان يستخدم الحروف الأبجدية أول الأمر ليعبر بها عن العلاقات والتصورات، أما مركبات هذه العلاقات والتصورات، أما مركبات هذه العلاقات والتصورات، أما مركبات وعالم أو سياسى، يساوى تعبيرنا الرمزى أرسطو يكون أو ب أو ج، وكان ليبنتز في أحيان أخرى برمز إلى الاشياء برموز عددية فمثلا لكى نعبر عن القضية «الإنسان حيوان عاقل، أخرى برمز إلى الاشياء برموز عددية فمثلا لكى نعبر عن القضية «الإنسان حيوان عاقل، عابنا أن نفترض أن الرقم ٦ يعبر عن الانسان، والعدد ٢ يعبر عن الحيوان، والعدد ٣ يعبر عن عاقل، وبذلك تصبح القضية «الإنسان حيوان عاقل، معادلة نقرر أن ٦ = ٢ × ٣ ( أنظر عن عاقل، وبذلك تصبح القضية «الإنسان حيوان عاقل، معادلة تقرر أن ٦ = ٢ × ٣ ( أنظر عن يتوصل إلى الأفكار التالية:

١ - من الممكن إرجاع جميع التصورات إلى تصورات بسيطة تشبه تلك التى نصل بواسطتها الى المعاملات الأولى للاعداد. ومعنى هذا أننا إذا كنا فى الرياضة نصل بواسطة التحليل الى المعاملات الأولى للاعداد مثلا، فإننا نستطيع أيضا أن نرد تصوراتنا بالتحليل إلى التصررات الأولى البسيطة التى لا يمكن ردها إلى أبسط منها.

٢ - يمكن تأليف كل التصورات المركبة إذا ما رتبنا البسائط، وهذه خاصية تتعلق بالتركيب، فبعد أن حالنا التصورات إلى بسائطها، يمكن - إذا ما رتبناها على نحو دقيق - إعادة تركيبها، ومن ثم نحصل على التصورات المركبة.

٣ - لا يوجد إلا عدد قليل من الأفكار البسيطة، ولكن الكثرة تتولد منها بفضل فن التركيب.
 ٤ - يجب الرمز إلى الأفكار البسيطة برموز بسيطة، وإلى الأفكار المركبة برموز مركبة فالرمز المركب سيكون مشيرا إلى الفكرة المركبة، والرمز البسيط يكون مشيرا إلى الفكرة البسيطة.

التفكير يتكون من إماطة اللتام عن كل العلاقات الموجودة بين البسائط (أنظر على عبد المعطى محمد - ليبنتز : فيلسوف الذرة الروحية ، الفصل الثالث ) . (المترجم) .

مقدماتها(۱). ومعنى هذا أن ما يعتمد عليه الاستنباط، وهو تلك المقدمات ذاتها، ومكن الشك فيها، فإذا ما شككنا فيها، إنهار بالتالى كل البناء الذى يعتمد عليها، ومن جهة أخرى يقرر وايتهد ،أن المنطق الاستنباطى Deductive عليها، ومن جهة أخرى يقرر وايتهد ،أن المنطق الاستنباطى Logic ليس له ذلك الامتياز القسرى، الذى سلم الناس له به، إذ عندما نطبق ذلك المنطق على أمثلة جزئية، يختل منهجه فى الحكم عليها، ابتداء من مقدمات يعتبرها بينة بذاتها، (۱). كما أن وايتهد يقف موقف الرفض إزاء أية محاولة تجعل الفلسفة خاضعة للرياضة أو التعبير عنها رياضيا، فهو قد رأى ،أن الفلسفة تضل أيما ضلال إذا تم التعبير عنها برموز رياضية،

إن الفلسفة تبحث عند وايتهد عن تلك المقدمات، ولا تتخذها كنقطة بداية، وإذا كان الأمر كذلك، فإنها لا يمكن أن تكون استنباطية. ويرى وايتهد أن كلا من ديكارت واسبينوزا وليبنتز قد أساءوا تصور المنهج الذى اتبعوه فعلا فى تفكيرهم الميتافيزيقى؛ فلم يكن المنهج الذى اتبعوه منهجا استنباطيا يبدأ من مقدمات بديهية وواضحة بذاتها ثم يتم استنباط كل القضايا ابتداء من تلك المقدمات. إن المنهج عندهم هو الذى أوصلهم بطريقة عكسية إلى ما وصلوا إليه من مقدمات. وحينما نفحص أفكارهم بدقة فإننا لا نعد الأمر مجرد إليه من مقدمات. وحينما نفحص أفكارهم بدقة فإننا لا نعد الأمر مجرد دلالات دجماطيقية؛ إن منهجهم الأساسى مثله مثل أى منهج من مناهج كبار الميتافيزيقيين يتضمن البحث Searching عن المبادئ الأولى، هذا هو المنهج الذى إنبعوه، والمحاولة التى حاولوها في سبيل الوصول إلى المبادئ الأولى أو الأفكار القصوى.

وذهب وايتهد إلى تقرير أن النشاط المتعلق بالبحث ليس شيئاً آخر غير نشاط العقل والإستدلال العقلى في صورته الأساسية. وهذا يعنى أنتا نتوصل إلى الملامح الأساسية للعقل أو التعقل من خلال النشاط البحثى هذا وليس من خلال منهج إستنباطي Deductive Method. وبهذا المعنى تحدث وايتهد عن

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ١٠.

<sup>(</sup>٢) وايتهد: أنماط الفكر، ص ١٤٤.

العقل التأملى كمصاد للعقل الإستنباطى وللعقل التحليلى. ويؤكد أن ما يعنيه بكلمة وتأملى، هو إتجاه ذلك العقل إلى طلب البحث Seeking of Searching. ومن ثم فاهتمام الفلسفة التأملية، هو إهتمام موجه إلى البحث أو إلى طلب البحث هذا وليس موجها نحو إستنباط قضايا من مقدمات ولعل هذا هو السبب في أن وايتهد كان يعرف الميتافيزيقا بأنها والفلسفة التأملية التي تحاول تشكيل نسق.. وأو أنها والعلم الذي يبحث عن إكتشاف الأفكار العامة....

إن ما يشد انتباهنا الآن هو علاقة هذا العقل التأملي بالمنهج. لقد أشار وايتهد إلى أن العقل التأملي يجب ألا يعاق في جوهره بواسطة المنهج، (۱). ذلك لأنه يهدف بطبيعته الأصلية إلى البحث عن المنهج في نفس الوقت الذي يبحث فيه عن المبادئ الأولى. وذلك لا يعنى أن ليس ثمة منهج، وأن البحث الذي يقوم به العقل التأملي هو بحث عشوائي وجزافي، ولكنه يعنى أن هذا المنهج لا يكون ثابتاً ومحدداً كما هو الأمر بالنسبة إلى المنطق الاستنباطي، أي لا تكون ثمة مقدمات أو مبادئ أولى لا تحتاج إلى برهنة أو إستنباط أو بحث وإنما نسلم بها تسليما، ثم تكون هي أساس كل إستنباط، ونقطة بداية المنهج الاستنباطي، وايتهد لا يوافق أيضاً على الاستنباط القياسي، بل وهاجم القياس الأرسطي من ناحية عقمة وإجدابه وعدم تقديمه لأية معارف جديدة، ورأى أن هذا لا يتفق تماماً مع النشاط البحثي الميتافيزيقي.

ولكن ألا يدل ذلك على أن المنهج الذى نتوصل به إلى المبادئ الأولى يثير صعوبة، من حيث أن تلك المبادئ ذاتها تتضمن مبادئ المنهج ؟ يقول وايتهد القد اكتشف الاغريق السر الذى يحتمل الشك، وهو أن العقل التأملى ذاته يكون موضوعاً لمنهج منظم، لقد قيدوه رغم خاصيته الفوضوية Anarchic بدون أن يحطموا وظيفته البحثية فيما وراء حدوده .. إن العقل يدرك الخطوط المنظمة لكل ما هو عقلى، ولكن التأمل يعبر عن تجاوز العقل وتساميه عن أى

<sup>(</sup>١) وابتهد: وظيفة العقل، ص ٥١.

منهج جزئى. إن سر الإغريق يكمن فى محاولتهم تقييد العقل بواسطة المنهج حتى وهو فى حالات تفوقه أو تجاوزه أو تساميه، ولكنهم لم يعوا قيمة كشفهم الشمين هذا، لكن جهود أكثر من عشرين قرناً استطاعت أن تعى ذلك الاكتشاف، وأن تقدر قيمته، (١).

أما كيف استطاع وايتهد أن يتصور هذا المنهج المنظم للعقل التأملي والذي يتجاوز المناهج الخاصة Special Methods فهو ما سنشرحه الآن.

إن الميتافيزيقا عبارة عن البحث عن، أو محاولة إيجاد، الملامح العامة الكيانات الفعلية. ولقد رأينا أن المبدأ الأنطولوجي قد انتهى بنا إلى أن تلك الكيانات الفعلية تجسد الملامح العامة التي يجب أن نبحث عنها في خبراتنا عن تلك الكيانات. يقول وايتهد: «إن معطياتنا، هي عالمنا الفعلي، الذي يتضمن - فيما يتضمنه - تراثنا، وهذا العالم الفعلي ينتشر ويمتد بحيث يمكن ملاحظته ومشاهدته بطريقة تتكون عنها خبراتنا المباشرة. وتوضيح خبراتنا المباشرة هو التبرير الوحيد لأي فكر، ومن ثم فإن نقطة البداية لأي فكر، تتمثل في الملاحظة التحليلية لمكونات تلك الخبرة، (٢).

وهذا يعنى أننا يجب أن نعتمد على الخبرة، إذا أردنا أن نكتشف الملامح العامة للكيانات الفعلية. لكن صعوبة عاتية تواجهنا هنا، وتلك الصعوبة لا تتعلق بالمنهج وحسب، ولكنها تتعلق أيضاً بتحديد مكونات الخبرة على نحو دقيق؛ فيلاحظ أولا أن الملاحظة التحليلية لمكونات الخبرة المباشرة، ليست من الأمور اليسيرة، وليست عملية دقيقة ومباشرة وواضحة المعالم، (٣). أو بمعنى آخر إن مكونات الخبرة - أيا ما كانت - لا تكون واضحة وقاطعة ومحددة ومباشرة التمييز. يقول وايتهد: الممة رأى يقرر أن الخبرة الشعورية، تكون واضحة وقاطعة من حيث المعرفة، واضحة وقاطعة العناصر، واضحة وقاطعة واضحة وقاطعة

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٥٢.

<sup>(</sup>٢) وايتهد : العملية والواقع، ص ٥.

<sup>(</sup>٣) وايتهد : وطبقة العقل، ص ٥٤.

الارتباطات والعلاقات بينها وبين بعضها البعض. إن هذا التصور يوحد بالتساوى بين خيرات دقيقة ومرتبة ومحددة ومنهجية. وليس ثمة رأى أبعد عن الصواب من هذا الرأى؛ فإن المساواة بين الخبرة وبين المعرفة الواضحة هو أمر بعيد عن الصواب، كما أننا نجد فى حياتنا، فى أى لحظة منها، بؤرة من الاهتمامات، بعضها يدرك بوضوح، بينما يكون البعض الآخر أقل إدراكا، بينما يكون البعض الآجراك، فإن بينما يكون البعض الأدراك، فإن النظلام يخيم على مالا يدرك، بحيث لا يكون واضحاً، فلا نشعر به، (۱).

وليس من شأننا الآن أن ندخل في تفصيلات إيستمولوچية، لكننا نكتفى الآن بذكر وأننا لا نشعر بأى تحليل واضح وقاطع وكامل للخبرة المباشرة في ضوء التفاصيل العديدة التي تحتويها، (٢). وأننا لا يمكن أن نصل إلى طبيعة مكونات الخبرة إلا بعملية عقلية أو بعملية استدلالية بالغة التعقيد، سنشرع فورأ في بيانها.

يذهب وايتهد إلى أن ما نلاحظة من عناصر الخبرة، هى تلك العناصر التى تكون حاضرة بوضوح أمام شعورنا، وحضورها الواضح للشعور إنما ينجم عن اختلافها وتغيراتها. يقول وايتهد: «إن ماهو واضح ومميز فى خبراتنا، لا يكون كذلك إلا لاختلافه أو تغيره، وبقائه لمدة معتدلة أمام شعورنا تكفى لإثبات أهميته، (٦). وسبب اشتراط بقائه مدة معتدلة؛ فهو لكى يتمكن شعورنا من التأثر به بوضوح.

ويقول وايتهد اإننا عادة ما نلاحظ بواسطة طريقة الإختلاف Method of ويقول وايتهد الأحيان نرى فيلا، وفي بعضها الآخر لا نراه، والنتيجة هي أن الفيل حينما يكون حاضراً يلاحظ اإن سهولة الملاحظة تعتمد على الحقيقة القائلة بأن الموضوع الملاحظ يكون هاماً حينما يكون حاضراً،

<sup>(</sup>۱) مرجع سابق، ص ص ۲۲ - ۲۳.

 <sup>(</sup>٢) وايتهد: العملية والواقع، ص ٥.

<sup>(</sup>٣) وايتهد: أنماط الفكر، ص٧.

لكنه يكون غائباً فى أحيان أخرى (١). ويقصد وايتهد بذلك أن الأشياء أو الملامح التى تكون دائماً على وتيرة واحدة غالباً مالا نلاحظها، أما الملامح التى تتغير، أى تظهر ثم تختفى وهكذا، فإنها تثير انتباهنا، وبالتالى نتمكن من ملاحظتها، ولعل وايتهد كان يقصد طريقة الجمع بين الاتفاق والإختلاف، فهذه الطريقة أقرب إلى جوهر تفكيره من طريقة الإختلاف، لأن ما يتغير بوضوح يكون حاضراً ثم.. يغيب أو يكون غائباً ثم يصبح حاضراً (\*).

(١) أنظر:

(\*) تشير طريقة الاتفاق The Method of Agreement كما حددها مل Mill إلى أنه إذا اتفقت حالتان أو أكثر للظاهرة موضوع الدراسة في ظرف واحد فقط مشترك، فهذا الظرف الوحيد الذي تتفق فيه جميع هذه الحالات هو علة أو معلول تلك الظاهرة، ونحن نحاول بهذه الطريقة أن نكتشف الارتباط العلى ببيان أوجه الاتفاق بين الحالات الموجبة Positive instances لكن الاقتصار على بيان الحالات الموجبة هر أمر خطير ذلك لأن حالة واحدة سلبية تكفى لهدم قانون أيدته ملايين الحالات. ولذلك فان وايتهد لا يهتم بهذه الطريقة. أما طريقة الاختلاف The Method of Difference فلقد حددها مل بقوله الذا اشتركت الحالتان، اللتان توجد الظاهرة في احداهما ولا توجد في الأخرى، في جميع الظروف ماعدا ظرفا واحدا لا يوجد إلا في الحالة الأولى وحدها، فإن هذا الظرف الوحيد الذي تختلف فيه الحالتان هو معلول الظاهرة أو علتها أو جزء ضروري من هذه العلة، قاذا كانت لدينا السلستان التاليتان : ABCD - ۱ تتبع بـ BCD - ۲. xyz نتبع بـ yz فانتا نلاحظ أن الساسلة الأولى تختلف عن السلسلة الثانية في حضور A في السلسلة الأولى وغيابها في السلسلة الثانية، ووجود X في معاولات السلسلة الأولى وغيابها في السلسلة الثانية ومن هنا فاننا نستنتج أن A هي علة X لأنه حينما اختفت A أختفت X بالتالي وتبدو أهمية هذه الطريقة فيما سبق أن بيناه في نقدنا لطريقة الاتفاق، وهو أن حالة سلبية واحدة تحضر فيها A ولا تحضر X أو العكس لكفيلة بهدم هذا الارتباط العلى. والواقع أن كثيرا من الدوائر العلمية تهتم بهذه الطريقة بالذات وقد اهتم بها وايتهد من حيث أنها تثير إهتمامنا، ومن ثم نلاحظها، ولكن قول وايتهد نفسه المذكور في النص الأخير الذي أخذناه عده احضور الظاهرة وغيابها ، هو الذي يثير أكثر انتباهدا ولذلك قلنا أن اطريقة الجمع بين الاتفاق والاختلاف The joint Method of Agreement and Difference أقرب إلى جوهر فكره. ولقد حدد مل هذه الطريقة الأخيرة بقوله : «إذا كانت الحالتان أو

أ – وايتهد : العملية والواقع، ص a.

ب - وايتهد : أنماط الفكر، ص ٤١.

تهتم الميتافيزيقا عند وايتهد اهتماما كبيرا بتلك المسألة، لأن استهداف اكتشاف الملامح الميتافيزيقية بواسطة الخبرة يشوبه بعض الصعوبات؛ فالعوامل Factors التي تكون مستعدة للظهور والملاحظة هي العوامل المتغيرة والممكنة، وهي عوامل غير ميتافيزيقية. أما العوامل الأخرى؛ فلكونها عامة وتختص بالملامح الكلية للأشياء فهي ثابتة غير متغيرة، ومن ثم تكون غير ملحظة يقول وايتهد ،أن ما هو ضرورى غير متغير، ولهذا السبب يبقى في الفكر مظلماً وغامضاً، (١).

وهذه الصعوبة لا تتصل بالميتافيزيقا وحسب، بل تتصل بالعلم أيضاً فما يلاحظ بسهولة هي التفاصيل السطحية التي تهمنا في حياتنا اليومية العادية، أما التعميمات العلمية فلا تكتشف بواسطة تلك الملاحظة، أي الملاحظة التي تعطينا الملامح السطحية.. إنها تكتشف فقط بواسطة الملاحظة الموجهة بنظرية Observation directed by theory بنظرية بان نعرف أو أن نحدد ما نبحث عنه، (٢) وبدون النظرية لا يمكن أن نعرف ما نحدده من كل المعطيات المقدمة لنا وفوضوح ما نبحث عنه يعتمد

الحالات العديدة التى توجد فيها الظاهرة التى ندرسها تشترك فى ظرف واحد، فى حين أن الحالات العديدة التى لا توجد فيها الظاهرة، لا تشترك الا فى عدم وجود هذا الظرف، فإن هذا الظرف الوحيد الذى تختلف فيه المجموعتان من الحالات أحداهما عن الأخرى، هو معلول هذه الظاهرة أو علتها أو جزء ضرورى منها، ومعنى هذا أنه اذا لوحظ أنه كلما حضرت A حضرت X، وكلما غابت X استنتجنا أن A هى علة X، فالعلم تدور مع معلولها وجود أو عدما أو حضورا وغيابا أنظر: Mill; J.S.: A ومناهج البحث العلمى فى العلوم الرياضية والطبيعة الباب الثالث الفصل الرابع) ومناهج البحث العلمى فى العلوم الرياضية والطبيعة الباب الثالث الفصل الرابع) (المترجم).

<sup>(</sup>۱) أنظر في هذه النقطة Mode's of thought P. II حيث يذكر وايتهد أنه يختلف بفكرته تلك عن معظم الفكر السابق، وأنظر أيضا 225 Adventures of Ideas P. كونت يبين وايتهد اختلافه في تلك النقطة عن كل من ديكارت ولوك وهيوم. وقارن ذلك Adventures of ideas, P. 205

<sup>(</sup>٢) وايتهد : مغامرات أفكار، ص ٢٨٤ .

على نظرية تكون موجهة لذا، (١) . وهذا لا ينطبق على العلم وحده وإنما عنى الفلسفة أيضاً ، فبدون النظرية الفلسفية لا يتوفر لنا معيار صدق لما نبينه أو ندركه، (٢) . ولقد عرف العلم هذا تماماً خصوصاً حينما توصل إلى مذهب الفرض العامل Working Hypothesis ذلك الفرض الذى بين وايتهد أهميته القصوى بالنسبة إلى العلم والفلسفة على حد سواء . يقول وايتهد : ،إن مثل ذلك الفرض يوجه الملاحظة ، ويحدد بوضوح ما يلاحظ : إنه يشير إلى المنهج : وإنها لمخاطرة كبرى أن تعمل في أى ميدان فكرى بدون نظرية واضحة ، (٦) . ويقول في نص آخر ،إن الفلسفة التأملية تجسد منهج الفرض العامل اليها بدون وهذا يعنى أن التعميمات العلمية والميتافيزيقية لا يمكن التوصل إليها بدون وايتهد أن الفلسفة التأملية تجسد منهج الفرض العامل فإنه إنما يؤكد أن هذا المنهج متضمن في طبيعة التأمل أو العقل التأملي.

لكن من أين نحصل على النظرية التى هى فرصنا العامل ؟ يجيب وايتهد بأننا نحصل على النظرية ونشتقها بواسطة البصيرة المباشرة Direct insight، ومن طبيعة معطياتنا أى من عالمنا الفعلى الذى يتضمن ذواتنا، ونحن لن نستطيع الآن أن نعطى تحليلا كاملا «البصيرة المباشرة» إلا إذا عرصنا لنسق الأفكار الميتافيزيقية فيما بعد، لكننا يجب أن نؤكد الآن على أن وايتهد يرفض أن يعطى تلك البصيرة المباشرة أى صورة معرفية أسمى من صور المعرفة الأخرى ومنفصلة عنها، إن البصيرة المباشرة ليست إلا وجها أو جانباً من منهج الفرض العامل، وهو المنهج الذى نستطيع أن نتوصل به إلى كل التصورات المعرفية، وإن كانت لا تبدأ عملها - أن صح القول - في التعميمات

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، نفس الموضع.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٢٨٦.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، نفس الموضع،

<sup>(</sup>٤) نفس المرجع، نفس الموضع.

الميت افيزيقية إلا في مراحل متقدمة من الفكر، وهي المراحل التي تعقب التحليل السابق لتعميمات أقل عمومية تحدث في دوائر علمية خاصة يقول وايتهد : وإن البناء يجب أن يكون نابعاً أولا عن تعميمات جزئية يتم التوصل إليها في دوائر خاصة بالاهتمامات الإنسانية مثل الفيزيقا والفزبولوجيا والجمال والمعتقدات الأخلاقية وعلم الاجتماع واللغة باعتبارها مستودعا للخبرة الإنسانية (١). فحينما نبدأ بدائرة من تلك الدوائر المعرفية فإننا نلاحظ أن ملامح معينة في تلك الدائرة يمكن أن تكون عامة generic أي يمكن أن تمتد إلى ما وراء دائرتها الخاصة. ونحن ندرك ذلك بواسطة البصيرة المياشرة. فإذا تم لنا ذلك فإن تعميماتنا الخيالية تكرِّن من تلك الملامح العامة معرفة ميتافيزيقية عامة. ونحن نستطيع بهذه الطريقة التي يسميها وايتهد بطريقة أو منهج العقلية الخيالية imaginative rationalization أن نكتشف الثابت، والضرورات اللامتغيرة التي فشات في اكتشافها أو ملاحظتها طريقة الاختلاف السابقة الذكر، والتي قلنا أنها لا يمكن أن تلاحظ إلا ما يتغير، أو ما يظهر ثم يختفى؛ يقول وايتهد : «إن طريقة العقلنة الخيالية تنجح فيما فشلت فيه طريقة الإختلاف، فهي تلاحظ الثابت الحاضر دائما، الذي فشلت طريقة الاختلاف في ملاحظته (۲) .

إن المبادئ المينافيزيقية التى نصل إليها بالتعميم الخيالى تؤلف الفرض العامل، الذى نستطيع أن نفسر فى ضوئه العناصر المختلفة للخبرة. ويتم اختبار صحة الفروض بمدى قدرتها على التفسير؛ أى بامتداد وإنتشار قابليتها للتطبيق على كل الخبرة. فإذا لم تكن لديها تلك القدرة وذلك الامتداد ما كانت مبادئ مينافيزيقية، وإنما أصبحت مبادئ خاصة بالدائرة التى نبعت منها أساسا، يقول وايتهد: ويتم اختبار التجرية الخيالية imaginative Experiment بمدى قبولها للتطبيق فيما وراء دائرتها الجزئية التى نبعت منها. وفى حالة بقدانها لهذا الامتداد التطبيقى، فإن التعميم البادئ من الفيزيقيا مثلا سيبقى

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٦.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، نفس الموضع.

كما هو مجرد تعبير عن أفكار قابلة للتطبيق في الفيزيقا وحسب، إن من أحد جوانب نجاح التعميم الفلسفي - إذا اشتق من دائرة الفيزيقا مثلا - أن يكون قابلا للتطبيق على دوائر من الخيرة أكبر من الدائرة الفيزيقية، (١).

إن منهج العقانة الخيالية هو ذاك المنهج المنظم الذى يتبعه العقل التأملى، ويتكون هذا المنهج فى ماهيته الأساسية من البصيرة المباشرة الباحثة عن التعميم، ويعطينا ديكارت مثالا على ذلك المنهج؛ فلقد استطاع بواسطة البصيرة المباشرة أن يصل إلى تعميمين كبيرين هما الفكر والامتداد وجعلهما يعبران عن ملامح ميتافيزيقية لنوعين من الجواهر: الفكرية والمادية، وسوف نرى فيما بعد أن بصيرة ديكارت كانت صحيحة، ولكن تعميمه لم يكن كذلك؛ فالفكر والامتداد ليسا من الملامح الميتافيزيقية المتعلقة بالكيانات الفعلية فالفكر والامتداد ليسا من الملامح الميتافيزيقية المتعلقة بالكيانات الفعلية إلى بعض الأشياء.

وعلينا أن ندرك أن منهج «التعميم الخيالى» هو منهج «فرضى hypothetical أساسا، فاسنا نماك يقينا لا يمكن الشك فيه عن صحة البصيرة المباشرة. ولعل عدم توفر مثل هذا اليقين، يبين سبب تمسك الفاسفة والعلم فى بحوثهما بمنهج أو طريقة «الفرض العامل». وهذا يعنى أن العقائة الخيالية يجب أن تؤخذ كفرض. ويتم التأكد من صحة هذا الفرض، إذا تأكد لنا قبوله للتطبيق فيما وراء منبعه المباشر، أى إذا أعطانا رؤية شمولية (٢). وإذا حقق المطلبين الرئيسيين، الترابط والكمال المنطقى (٣).

<sup>(</sup>١) أنظر :

أ - وايتهد : العملية والواقع، ص ٦ .

ب - وايتهد : العلم والعالم الحديث، ص ص ١٨٩ - ١٩٠ .

<sup>(</sup>٢) وايتهد: العملية والواقع، ص ٦.

<sup>(</sup>٣) أنظر:

أ - واينهد: العملية والواقع ص ٧.

ب - وايتهد: العلم والعالم الحديث، ص ص ٣٤ - ٣٥.

إن المنهج الميتافيزيقى العام يعنى بالضبط نسق من الأفكار، يتم اختباره داخليا بواسطة محكات الترابط والتناسق المنطقى، والضرورة والكلية ومدى قبوله للتطبيق، وكفاءته فى التفسير. يقول وايتهد: بإن المنهج الصحيح للبناء الفلسفى يتمثل فى إقامة نسق من الأفكار، بأعظم وأكمل ما يمكن، بحيث نتمكن بواسطته من الكشف عن تفسير كل الخبرة بدون أدنى عائق، (١). إن هذا هو المنهج الذى اتبعه فى الواقع كبار الميتافيزيقيين (٢). ذلك أن كل نسق من الأنساق الميتافيزيقية العظيمة كان يحاول أن يدرك طبيعة الموجودات الفعلية بواسطة تأسيس أو تشييد نسق، وكل نسق حدث فى تاريخ الفلسفة كان بتجربة خيالية فى محاولة إدراك طبيعة الشئ،

والواقع أنه لكى نقيم نسقا فلسفيا ناجحا فإن علينا ،أن نعطى لكل فكرة مينافيزيقية أقصى امتداد لها.. وألا يكون المبدأ الميتافيزيقي محدد بضرورة معناه ، أو بمعناه الضرورى، (٦). ومعنى هذا أن أفكارنا الميتافيزيقية يجب أن تكون مطلقة العمومية ، وكلية ، وتتجاوز نطاق المعنى المحدد والضرورى تكون مطلقة العمومية ، وكلية وأكثر اتساعا . وحينما لا نحدد الفكرة أو المبدأ ، بأكثر من معناها الضرورى فإننا لن نكون على بينة من كونها كاملة العمومية أو حتى ضرورية ، وبالتالى لن نتمكن من تحقيق ترابط الأفكار الميتافيزيقية بسبب اقتصار كل منها على معنى ضيق محدود . ولعل هذا هو السبب في فشل ديكارت مثلا في ربط الفكر بالامتداد في فكرة أكثر عمومية منهما ، فظل الفكر عنده منفصلا عن الإمتداد ، أو ظل الامتداد عنده لا مترابطا مع الفكر . لكن الفهم الأمثل للمنهج الميتافيزيقي لا يمكن أن يتم إلا بعد تقديم مخطط أو نسق المقولات ، ذلك المخطط الذي عكف وايتهد على وضعه في أواخر حياته ، وأراد به تقديم نسق ميتافيزيقي متقن به تفصيلات أكثر ، وركائز

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص١٠.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٢٢.

<sup>(</sup>٣) وايتهد : مغامرات الأفكار، ص ٣٠٥.

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يمكن أن ننطلق منها إلى فحص المشاكل الفلسفية الكبرى. وسوف نلمس خلال قيامنا بتتبع نسق المقولات عند وايتهد أن الأفكار قد تم اختبارها بمحكات الترابط، والتوافق، والكلية، وإمكانية النطبيق، والكفاءة.



# الباب الثانى نسق المقولات الوايتهدية (مذهب العملية)

القصل الرابع: مقولة الكيان الفعلى.

الفصل الخامس: مقولة العملية.

القصل السادس: مقولة النهائي.

الفصل السابع: مقولة الموضوع الابدى.

الفصل الثامن : مقولة النسبية.



## الفصل الرابع مقولة الكيان الفعلى

- ٧ تعددية الكيانات الفعلية.
  - ٨ الوجود والصيرورة.
- ٩ نقد وايتهد لتصور الكيان الفعلى.



### تعددية الكيانات الفعلية

ذهب وايتهد إلى أن المشكلة الميتافيزيقية النهائية تتمثل في محاولة تصور والواقعة الكاملة وهذا يشير إلى أن هذا التصور لا يمكن أن يتباور إلا في ضوء الأفكار الرئيسية المتعلقة بطبيعة الواقع. ومن أهم وأعظم تلك الأفكار من الناحية الميتافيزيقية فكرتنا أو تصورنا عن الوجود ، ذلك الوجود الذي ركز عليه المبدأ الأنطولوچي، كما ألمحنا سابقا. ومن هنا فإن المبدأ الأنطولوچي يعد عقولة أخرى إلى جانب مقولة أو فكرة الوجود. كما أن المبدأ الوجودي (الأنطولوچي) يشير ضمنا أو صراحة إلى مقولة ثالثة هي مقولة الكيان الفعلي (الأنطولوچي) يشير ضمنا أو صراحة إلى مقولة ثالثة هي مقولة الكيان الفعلي Substance). الخ.

ومصطلح الكيان الفعلى يشير في معناه الأولى إلى المقولة العامة المتعلقة بذاك That الذي يكون أو يوجد؛ أي يشير إلى Οναια أو الجوهر Substance أو الموناد Monad .. وما يماثلها، كما يشير في معناه الثانوي إلى طبيعة ذاك الذي يوجد أو يكون من ناحية جوهرية What that is الكيان يجب أن نلاحظ هنا وبعناية كبيرة أن مقولة الكيان

<sup>(</sup>١) سبق لنا تحليل هذه العبارة بما يتوافق مع ترجمتنا لها.

الفعلى لا تستازم منطقيا أى تصور خاص بطبيعة الكيان الفعلى. بمعنى آخر إن مقولة الكيان الفعلى لا يمكن أن تكون مقدمة واضحة ومحددة يمكن أن تستنبط منها طبيعة الكيان الفعلى، فإذا عالجنا هذه المقولة على أنها مقدمة نستنبط منها طبيعة الكيان الفعلى، فإذا عالجنا هذه المقولة على أنها مقدمة الكيانات الفعلية كان متضمنا في معنى المقدمة. وحينئذ فلن يكون أمامنا في المقدمة مقولة كيان فعلى، وإنما سيكون أمامنا في المقدمة مصطلح الجوهر بالمعنى الثانوى. ونحن لا نقبل أن يكون الكيان الفعلى فكرة أو مقولة رئيسية، وأن يكون في نفس الوقت طبيعة للكيان الفعلى أو الجوهر أو الموناد، فطبيعة الكيان الفعلى يجب أن نكتشفها، أما الكيان الفعلى ذاته فمقولة أو فكرة رئيسية نفكر فيها. والحق أن هذه المسألة قد أثارت الكثير من الحوار والجدل بين الفلاسفة على مختلف مذاهبهم، كما كانت أساس ما يسمى الآن بالمشكلة الميتافيزيقية.

وحينما نتأمل حادثات الفكر الميتافيزيقي الرئيسية، ونجاهد في أن نكتشف فيها طبيعة الكيانات الفعلية، فإن اهتمامنا يكون موجها بالدرجة الأولى نحو صور طبيعة الكيانات الفعلية؛ تلك الطبيعة التي توصل وايتهد إلى الكشف عنها حين ذكر عن المبدأ الأنطولوچي : وإن الكيانات الفعلية، والتي يمكن أن نعطيها أيضا مصطلح الحادثات الفعلية Actual Occasions هي الاشياء الواقعية النهائية التي يتكون منها العالم؛ فليس ثمة شئ واقعي أو أكثر واقعية من تلك الكيانات الفعلية تتمايز فيما بينها : فالله كيان فعلي، ومن ثم فهو ألطف وجود مادي في الخلاء البعيد. إلا أنه على الرغم من وجود درجات من الأهمية والاختلاف في الوظيفة بين الكيانات الفعلية، فإن هذه الكيانات توجد على مستوى واحد من حيث المبدأ، فالوقائع النهائية نتشابه من حيث كونها كيانات فطية (١).

<sup>(</sup>١) واينهد: العملية والواقع، من ٢٤.

ويمكن - بوجه ما من الوجوه - قراءة الفقرة السابقة باعتبارها صياغة أخرى للمبدأ الأنطولوچي، إلا أن هذه الفقرة تشير - من وجه آخر - إلى بعض الأفكار الجديدة التي لم يسبق للمبدأ الأنطولوچي وأن كشف النقاب عنها، إنها تشير إلى إيضاحات وأفكار رئيسية نتمكن بواسطتها من تفسير أكيد للمبدأ الأنطولوچي؛ فهي لم تكتف بالإشارة إلى تعددية الكيانات الفعلية وحسب، بل أنها تشير أيضا إلى وجود نمايز بين بعضها البعض، وهذا التمايز أو الإختلاف يتمثل في وجود درجات من الأهمية، ودرجات من الإختلافات في الوظيفة يتمثل في وجود درجات من الأهمية، ودرجات من الإختلافات في الوظيفة سبق وأن أكده المبدأ الأنطولوچي من قبل، بمعني أنها لا يمكن أن تعتبر بمثابة استنتاج منطقي منه وحسب، لقد أكد المبدأ الأنطولوچي على أن ابعض التيانات تكون فعلية، أو يوجد على الأقل كيان فعلى واحده. وهو في تأكده هذا كان يتنوافق مع المذاهب الأحادي شاما عن واحده. وهو في تعددية هذا كان يتنوافق مع المذاهب الأحادي تماما عن طريقها.

لقد انبثق المجذه الأحادى والمذهب التعددى أو مذهب الكثرة عن التفكير في المشكلة العامة المتعلقة بطبيعة الكيان الفعلى أو الجوهر أو الموناد ... الخ الله هو واحد أو كثير ؟ وهل هو محدود أو لا محدود من حيث طبيعته ؟ ولقد رأينا في نص سابق أن هناك من قال بجوهر واحد، وهناك من قال بأكثر من جوهر واحد وأكد البعض على أن طبيعة الكيان الفعلى محدودة بينما أكد البعض الآخر على أنها لا محدودة ونحن لا نستطيع أن نناقش هذا المذهب أو ذاك دون أن ننظر في اطبيعة ذاك الذي يوجد أو يكون ال البحث في طبيعة ذاك الذي يوجد، أي البحث في طبيعة الكيان الفعلى أو الجوهر قد قاد الكثير من الفلاسفة من بارمنيدس حتى ماكتجارت Mctaggart (۱) . إلى أن يقرروا أن هذا الكيان الفعلى أو الجوهر يجب أن يكون واحدا ثابنا حاصلا على

<sup>(</sup>۱) جون ماكنجارت أليس ماكنجارت فيلسوف إنجليزي مثالي نادي بمذهب الكثرة المثالية وعاش ما بين عامي ١٨٦٦ - ١٩٢٥ وهـ و متأثر بهيجل تمام التأثير من أهم -

إكتفاء ذاتى وكلا وحدويا، وبمعنى آخر قاد الكثير من الفلاسفة إلى أن يقيموا مذاهب أحادية. وبديهى أن مذاهب الكثرة أو التعددية نقف موقفا مضادا من المذاهب الأحادية.

رفض وايتهد المذهب الأحادي من زوايتين جوهريتين: الأولى تتمثل في عدم قدرة هذا المذهب على تحقيق الترابط Coherence والذي اعتبره وايتهد محكا أو معيارا هاما يجب توفره في كل فكر ميتافيزيقي، والثانية تتمثل في خطأ التوحيد بين ملامح معينة اعتقد المذهب الأحادي أنها تكون الطبيعة الميتافيزيقية الكيان الفعلي، ولابد أن ننظر الآن في هذين النقدين الموجهين للمذهب الأحادي.

فمن ناحية أولى يقرر المذهب الأحادى أنه لا وجود إلا لكيان واحد يتصف بأنه فعلى Actual ، أى لا وجود على الحقيقة ، أو بالمعنى الكامل للوجود إلا لكيان فعلى واحد ، وهذا الكيان الفعلى الواحد له طبيعة ميافيزيقية محددة ؛ تتمثل في ملامح ضرورية للوحدة واللاتغير هذا هو ما قرره المذهب الأحادى . ووايتهد يرفض ما ذهب إليه هذا المذهب، ويرى أن أى نسق ميتافيزيقى صحيح يجب أن يضع في اعتباره الكثرة الملاحظة من الكيانات، وأن ينظر بعين الاهتمام إلى ملامح أخرى غير تلك التي ذكرها أنصار المذهب بعين الاهتمام إلى ملامح أخرى غير تلك التي ذكرها أنصار المذهب والخطأ . الخ . نعم لقد اضطر المذهب الأحادى أن ينظر في مثل هذا، ولكنه حدد هذه النظرة ـ لا في إطار الكيان الفعلى الواحد في ذاته ـ ولكن في إطار ما أسماه بأحوال Modes أو مظاهر Appearances ذلك الكيان الفعلى الواحد .

(المترجم)

مؤلفاته:

<sup>(1)</sup> Studies in the Hegelian Dialectic, 1896.

<sup>(2)</sup> Studies in the Hegelian Cosmology, 1901.

<sup>(3)</sup> Acommentary on Hegel's Logic, 1910.

<sup>(4)</sup> The nature of Existence, 1921 - 1927.

<sup>(5)</sup> Philpsophical Studies, 1934.

ولقد عبر وايتهد عن إضطرار المذهب الأحادى لأن يلجأ إلى الأحوال أو المظاهر بغية النظر في ملامح التغير والاضطراب والشر والخطأ بقوله ،إن كثرة الأحوال هي مطلب ثابت، إذا أراد النسق الميتافيزيقي أن يبقى على أي بيان مباشر لكثرة الحادثات في عالم الخبرة، (١). ويلاحظ وايتهد أن النظرية الأحادية حينما تقدم على الأحوال أو المظاهر، فإنها تكشف في نفس الوقت عن إخلالها بمعيار الترابط، وتشير بقوة إلى لاترابطيتها المتعسفة، ويقدم لنا وايتهد نسق اسبينوزا الميتافيزيقي كمثال على المذاهب الأحادية التي لا تحقق معيار الترابط، ويقول : •إن الثغرة التي تمثل نقطة الضعف في نسق اسبينوزا(\*).

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٨.

<sup>(\*)</sup> عرض اسبينوزا خلاصة فكره في كتابه الرئيسي الأخلاق، على هيئة نسق إستنباطي بدأه بسبع تعريفات وثمان بديهيات ثم إستنبط منهما سائر قضاياه (أنظر في ذلك Great Book of Western World, No. 31 Second parl ، وأنظر أيضا ترجمة دقيقة لتلك التعريفات والبديهيات وبعض القضايا في: على عبد المعطى محمد - ليبنتز فيلسوف الذرة الروحية الفصل الثاني، ثالثا ص ص ١٠٤ – ١٠٩) واسبينوزا بعد من ضمن فلاسفة المذهب الأحادي فهو يذهب إلى وأن الحقيقة في تمامها هي الجوهر الوحيد أو هي الله، (Spinoza: Ethics, Book 1. Proposition 14: انظر) .ers, A.K بنمكن أن نضع أية واقعة تحت أحد عناوين ثلاثة : جوهر، صفة، حالة.. والصفات والأحوال تستند على الجوهر أو الله، فيصبح الجوهر أو الله هو الحقيقة الأبدية واللامتناهية الوحيدة، (أنظر -Rogers, A.K A student's history of philoso phy P. 258). فالحقيقة وهي موضوع الفلسفة الأولى تنقسم إلى قسمين كبيرين: الأول ما هو بذاته والثاني ما يتقوم بغيره، وما هو بالذات أي ما كانت حقيقته متقومة بذاتها يسميها اسبينوزا بالجوهر، وما يتقوم بغيره، أي ما كانت حقيقته غير متقومة بذاتها وتعتمد على الجوهر بسميها اسبينوزا حال الجوهر، (أنظر Difinitions 3 and 5) يلاحظ -joa chim; H. H. في كشابه Study of the Ethics of spinoza, P, 14 في كشابه Chim; H. H. الأحوال ليست هي ءما نعرفه عن الجوهر؛ وكما أن الجوهر ليس هو ءما تفكر فيه ولكن لا نعرفه، فعدد اسبينوز إلا يوجد إنفصال بين مما يوجد، وبين مما يعرف، فالحقيقة الكاملة هي موضوع المعرفة الكاملة، والمعرفة الكاملة هي في الحقيقة. ويتضح من تعريف الجوهر والحال أن الجوهر أولى بالنسبة لأحواله، لأن وجود وتصور الجوهر هو وجود بذاته وتصور بذاته ولا يفتقر إلى وجود وتصور أحواله. ومع ذلك فكلما كان فهمنا للأحوال أكثر كلما إزاداد فهمنا للجوهر، لأن الأحوال هي الطرق أو الوسائل التي نستطيع بواسطتها

تتمثل في تقديمه المتعسف اكثرة الأحوال، (١). إن الكيان الفعلى إذا كان كلا وإحدا، وغير متغير، ومكتف ذاتيا، فلا يمكن أن تتوافق مع طبيعته تلك

تفسير الجوهر، كما أنّ فهمنا للاحوال يعلمنا كيف نفهم الجوهر، لأن فهمنا للاحوال يعنى معرفتنا لوجودها من حيث هي مفتقرة الى الجوهر في هذا الوجود. فحين تتصور الجوهر من خلال تصور أجواله فاننا نتصور هذه الأحوال وهي مفتِقرة إلى الجوهر. وقد يقال كيف بمكن أن نفهم الجوهر بما هو أدنى منه ؟ يرد على ذلك بأن هذه الأحوال لا يمكن تعقلها إلا في ضوء الجوهر، كما أن وجودها مفتقر إلى وجود هذا الجوهر ذاته. إن الشئ الحقيقي الأوحد عند اسينوزا هو الجوهر أو هو الله الذي تقوم حقيقته بذاته، بينما نقوم حقيقة ماعداه عليه إذ والله عنده واحد، والجوهر الذي يتكون من خلاله كل شئ واحد، (أنظر Erdman; (E.: History of philosophy, tranlated by W. s. Houghding, P. 60 فالله والجوهر شئ واحد، وهو موجود بالضرورة أي أن االله أو الجوهر يوجد ضرورة، (انظر: 11. Chartier, E.: Spinoza, Paris 1931, ch II, P. 31) والصفات والأحوال ليستا لا متناهية على الحقيقة، وإنما تكون لا متناهية بالاضافة إلى الجوهر اللامتناهي، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالوجود والأبدية. المهم أن اسبينوزا من أنصار المذهب الأحادي. فهناك فقط جوهر واحد هو الله أو الطبيعة، (أنظر: Russell; B. A history of western philosophy, London 1947 P. 571) وهذه المصطلحات الثلاثة وجوهر، وطبيعة، والله تعنى نفس الشئ، (أنظر: Wright; W.K. (A history of modern philosophy, New York, 1942 P. 98 فاسبيتوزا بوحد بين الجوهر والطبيعة والله، (أنظر: ,Durant : The story of philosophy New York 1938, P. 188) والواقع أن هذه الغلسفة الا تعطينا نسعًا مترابطا لعناصر متوافقة، ولكنها تقدم لنا فكرة جوهر واحد غير مفتقر إلى غيره ويفتقر سائر ما عداه اليه، (Richard Mckeon: The philosophy of Spinoza, P. 162) وريما كان ولعه بالتنظيم الهندسي المحكم وبالتحليل الرياضي هما اللذن دعياه الى القول بجوهر واحد يكون مبدأ هذا العالم ومرجعه، ويضع الله في قمة عرضه الفاسفي (أنظر -Ency clopeadia Britannica, 21, P 235) والحق أن اسبينوزا لم يفلح في محاولة التوفيق بين وحدة الجوهر وكاثرة الصنعات والأحوال، قلم يبين كيف يمكن أن تصدر عن الجوهر الواحد صفات وأحوال لا نهاية لها ومنغيرة إلى مالا نهاية. لقد قلل اسبينوزا بنوعين من **حلاقة العلية : علاقة داخلية بين الجوهر والصفات والأحوال. وعلاقة خارجية بين الأحوال** بعضها ويعض، فكيف تفسر هذه، وكيف نوفق بينها وبين تلك (أنظر : يوسف كرم : تاريخ الطسفة المديئة ـ فقرة ٥١ مس ١١٧) (المترجم).

اختلافات وتغيرات أحوله ومظاهره المتعددة بل واللانهائية. فتصور كثرة الأحوال أو المظاهر لن يكون في هذه الحالة أكثر من تصور إضافي نضيفه إلى الكيان الفعلى الأوحد إضافة خارجية له أو مجرد مبدأ منفصل نلصقه بالمذهب الأحادي لصقا تجعله يغير ذاته خلال كثرة من الأحوال والمظاهر. ولقد عبر وايتهد عن هذا في تساؤله: ووكيف يمكن أن يتولد عن الوحدة الثابتة للواقعة ما يسمى بوهم أو خداع التغير ؟، (١). الواقع أن الواحد المطلق كما تصورته الفلسفة الأحادية ينتج دائما غموضا واضطرابا فيما يتعلق بتفاصيله. (٢). هذا بالإضافة إلى أن كثرة الأحوال والمظاهر التي نراها بوضوح في معطيات عالمنا، هي من مبدأ، لا يرتبط بمبدأ الكيان الفعلى بوضوح في معطيات عالمنا، هي من مبدأ، لا يرتبط بمبدأ الكيان الفعلى

ومن ناحية أخرى، يرفض وايتهد المذهب الأحادى، من جهة توحيده الخاطئ بين ملامح معينة تتكون عنها الطبيعة الميتافيزيقية للكيان الفعلى، لكن علينا الآن أن نتساءل: ما هى تلك الملامح التى وحد بينها المذهب الأحادى بطؤيق الخطأ ؟ إن بيان ذلك سوف يحين حينما نأتى إلى فصل لاحق من هذا الكتاب. وسوف نرى أن وايتهد سيعكس فى مذهبه بين دور الواحد One وبين دور الأحوال Modes ، بمعنى أنه سيجعل الأحوال هى الكيانات الفعلية، وليس الواحد، ولما كانت الأحوال متعددة أو كثيرة، فإن هذا يعنى رفضا للمذهب الأحادى، فالواحد لم يعد يلعب دورا رئيسيا عند وايتهد وإنما الكثرة هى التى تلعب هذا الدور.

رفض وايتهد إذن المذهب الأحادى، وقبل مذهب الكثرة أو التعددية، واكننا يجب أن نعى تماما المعنى الدقيق لقبول وايتهد لمذهب الكثرة أو التعددية، وفى هذا الصدد يطالعنا وايتهد بقوله: إن الوقائع النهائية متشابهة كلها من the final Facts are, all alike. actual Entities

<sup>(1)</sup> Whitehead; Modes of thought, P. 73.

<sup>(2)</sup> Ibid: P. 70.

وهذا القول يمكن أن يكون صياغة أخرى للمبدأ الأنطولوچي، روعى فيها، أن تكون متوافقة مع مذهب الكثرة أو التعددية. أى أنه صياغة أخرى تعبر عن أن هناك كثرة أو تعددا من الكيانات التي هي فعلية Actual ، ونضيف إلى ذلك: أن كل الكيانات الفعلية متشابهة، أو أنها كلها من نوع أساسي واحد أو أنها تظهر نفس المبادئ العامة. ولكي يتضح هذا الأمر نماما، يوجهنا وايتهد إلى أنساق فلسفية، ترى رأيا معاكسا لرأيه، أي ترى أن الكيانات الفعلية ليست من نوع واحد، وإنما هي من عدة أنواع مختلفة ويوجهنا على وجه الخصوص إلى نسق ديكارت الفلسفي ، فلقد ذهب ديكارت إلى أن الامتداد والفكر نوعان مستقلان من الكيانات الفعلية، لكل نوع منهما، ملامحه العامة، التي تختلف وتتمايز أساسا. ثم اعتبر ديكارت الله كنوع ثالث (\*). من أنواع الكيانات

<sup>(\*)</sup> هناك تعريفان للجوهر، ينجم عنهما، أنواع ثلاثة من الجواهر يقول ديكارت في التعريف الأول اأننا حينما نتصور الجوهر، إنما نتصوره موجودا غير مغتقر إلا إلى ذاته في وحوده، وقد بكون في تفسير قولنا غيرمفتقر إلا إلى ذاته، بعض الغموض، لأن الأصح أن بقال أنه لا أحد سوى الله يكون هذا شأنه، وما من شئ مخلوق يستطيع أن يوجد لحظة إلا وقدرة الله تسده وتحفظه، (أنظر: ديكارت: مبادئ الفلسفة، ترجمة عثمان أمين ـ الجزء الأول - فقرة ٥١) وإذا دققنا النظر لمنظة في هذا التعريف لوجدناه يشير إلى الجوهر الإلهي: فهو وحده الذي يوجد في ذاته وبذاته وغير مفتقر إلى غيره، أما التعريف الثاني للجوهر فهو: ايسمى جوهرا كل شئ يقيم فيه مباشرة كأنه في الموضوع، ويوجد به شئ ما ندركه، أي أية خاصة أو صفة عندنا عنها فكرة حقيقية، (أنظر: ديكارت: التأملات، ترجمة عثمان أمين - الاعتراضات والردود عليها - تعريف ٥) وفي هذا التعريف يكون الجوهر هو الموضوع الذي يحمل عليه محمول، أو بمعنى آخر نجد فيه المعنى المنطقي لكلمة الجوهر؛ ذلك المعنى الثاني الذي يمكن نسبته على ما يقول ديكارت اللي النفس وإلى الجسم بمعنى واحده (ميادئ الفلسفة - فقرة ٥٢) وهو يسمى كلا منهما بالجوهر المخلوق فيقول اوالفكرة التي تكون لدينا عن الجوهر تنطبق على الجواهر اللامادية انطباقها على الجواهر المادية أو الجسمانية؛ لأنه لا يلزمنا لكي نفهم أنها جواهر إلا أن ندرك أنها يمكن أن توجد دون اعتماد على أي شئ مخلوق (مبادئ الفلسفة فقرة ٥٢) ومن ثم فان التعريف الثاني أو ما سمى بالتعريف المنطقى ينطبق على جوهرين هما الفكر والامتداد. يقول ديكارت ،وفي استطاعتنا إذن أن نحصل على معنيين أو فكرتين واضحتين ومتميزتين. إحداهما فكرة جوهر مخلوق يفكر، والأخرى فكرة جوهر مخلوق ممتد، (مبادئ الفلسفة فقرة ٥٤)

ثمة أنواع ثلاثة من الجواهر إذن عند ديكارت هي الجوهر الإلهي والجوهر الروحي أو الفكرى والجوهر المادي وتتمايز هذه الجواهر بواسطة صفاتها، ففي كل جوهرعدد لا متناهى من الصفات، ومع ذلك فيجب أن نلاحظ في كل جوهر صفة مكونة لماهيته مقومة لطبيعته ، وصفة النفس هي الفكر ، كما أن الامتداد هو صفة الجسم ، (مبادئ الفاسفة فقرة ٥٣) أما الجوهر الالهي فهو لا متناهي أزلى لا يتغير، ويتصف بالقدرة والإحاطة بكل شي، كما يتصف بالخلق، فهو يخلق كل ما يوجد بما فيه الجوهر المادي والجوهر الروحي يقول رايت «الله هو خالق الجوهرين الآخرين بالمعنى المزدوج، ذلك أنه يأتي إلى الوجود من ناحية، ويساعدهما على الاستمرار في الوجود من ناحية أخرى، (أنظر -Wrighl: A his tory of modern philosophy, P 83 ). ولقد أثارت فكرة ديكارت هذه عن أنواع ثلاثة من الجواهر عاصفة من النقد: فالواقع أن تعريف ديكارت الأول للجوهر يتعارض مع تعريفه الثاني له : فبينما الأول منهما يذهب إلى أن الجوهر يتقوم بذاته وفي ذاته ومن ثم ينطبق على الله، يذهب التعريف الثاني إلى اعتبار النفس والبدن كجوهرين يفتقران إلى الله فكيف تقبل هذا ؟ نحن لا نقبل هذا الغموص واللاضطراب من رجل الوضوح والتميز، إذ كيف نقبل تعريفا يشير إلى فكرة عدم الافتقار ونقبل في نفس الوقت تعريفا آخر يشير إلى افتقار كل من الجوهرين إلى اللَّه، ولعل هذا هو ما جعل الكثير يعتقدون بأن ما هو جدير باسم الجوهر هو الله وحسب بقول Liard «الانسان جوهر مخلوق، ولكن القول الدقيق هو أن التعريف الديكارتي للجوهر يحمل في طياته معنى الله فقط، (أنظر : : Liard Descartes; Ch Iv P. 211) ولقد أدى هذا بدوره إلى نضوج مذهب وحدة الوجود عند اسبينوزا، وإلى أن يعتقد الكثيرون بأن فلسفة اسبينوزا كلها إنما ظهرت كنتيجة لتفكيره في فلسفة ديكارت، وفي تعريفيه للجوهر على وجه خاص. يقول دبريكو Debricon القد ذهب اسبينوزا بناءا على تأمله لفلسفة ديكارت، إلى أن التفكير المضبوط في فكرة الجوهر يقودنا إلى جوهر واحد قديم، أما الفكر والامتداد فيصبحان مجرد صفتين لهما أحوال متغيره، أي لا ينظر إليهما كنوعين من الجواهر، (أنظر P · النظر اليهما كنوعين من الجواهر، 49) وعلى هذا النحو نجد أن مذهب وحدة الوجود عند اسبينوزا ينشأ عنده سن محاولة إصلاحه لفكرة ديكارت عن وجود أنواع ثلاثة من الجواهر، مستندا في ذلك إلى تعريفين متعارضين. لتغاصيل أكثر عن تلك النقطة بمكن للقارئ أن يرجع إلى :

A - Hamlin; O. . Le Systéme de descartes, Paris 1921.

B - Gibson; A. B. The philosophy of Descartes, London 1921.

C - Kemp Smith;  $N\,$  . Descartes Philosophical Writings. London 1952.

D - Brunschvicq; L. René Descertes, Les Editions Rieder, Paris (المترجم)

الفعلية أو الجواهر أو المونادات، وبصفه بوجود يختلف تماما عن وجود النوعين الآخرين (١).

لقد رفض وايتهد كل النظريات التى تقوم على نوعين مختلفين أو أكثر من الكيانات الفعلية، بنفس الطريقة التى رفض بها المذهب الأحادى، لأنه رأى أن مثل هذه النظريات قد فشلت فى تحقيق معيار الترابط، وأنها قد وقعت فى أغلوطة والتموضح الزائف العينى، Fallacy of misplaced Concreteness هى الحقيقة ليست إلا ملامح حين وحدت بطريق الخطأ بين ملامح عامة هى الحقيقة ليست إلا ملامح خاصة أيا ما كان من عموميتها. فلقد وقع ديكارت مثلا فى تلك الأغلوطة أو ذلك الخطأ حينما نظر إلى الإمتداد والفكر كجوهرين وكنوعين متمازين من الكيانات الفعلية لهما ملامح أو خواص أو مبادئ جد مناينة (٢). وحين يوحد ديكارت بين هذه الملامح أو تلك المبادئ ويعتبرها بمثابة ملامح عامة للأجسام والعقول، فإنه يقع فى خطأ التوحيد. وكما قال وايتهد ولا يستطيع أحد أن يشك فى وجود أجسام وعقول، لكن المهم هو أن نحدد موضع هذه الأجسام وتلك العقول فى إطار نسق مترابط. أما ديكارت فراح يؤكد ـ متغافلا عن هذا و نان هناك جواهر فردية، وأن كل قطعة من المادة هى جوهر، وكل عقل هو جوهر، (٢).

ومعنى هذا أن ديكارت قد وقع فى خطأ التوحيد السابق ذكره، حين وحد بين الملامح التى تكون طبيعة أو ماهية الأجسام. وبين الملامح التى تكون طبيعة أو ماهية العقول، ونظر إلى نتاج توحيده هذا نظرة من يعتبرها ملامح ميتافيزيقية نهائية.

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ١٠٣.

<sup>(</sup>٢) أنظر تمييز ديكارت بين جوهرى الامتداد والفكر.

<sup>(</sup>٣) وايتهد: الدين في طور التكوين، ص ٢٩.

رأينا أن ديكارت كان يتبع منهج العقلية الخيالية Imaginative Ratoinalization وهذا لا بأس به، ولكن السؤال الآن هو: هل يمكن قبول فرض أو نظرية ديكارت ؟ الواقع أن فرض ديكارت لا يلبث أن ينهار ويسقط إذا ما اختبرنا قوته بمحك الترابط؛ ذلك لأن قبول ديكارت لنوعين من الجواهر (مادية وفكرية) يتضمن لا ترابطاً واضحاً، ونحن لا نجد في فلسفة ديكارت أي سبب أو علة برينا لماذا لا يوجد جوهر كلي واحد، يكون جسمياً مثلا، أو لماذا لا يوجد جوهر كلي واحد، يكون عقلباً أو فكرباً. كما أن ديكارت يقرر من ناحية أخرى أن الجوهر الفردي لا يفتقر في وجوده إلا لذاته. ويتصح من ذلك أن المذهب الديكارتي قيد تم تشييده على أساس من اللاترابط، رغم أن الوقائع الملاحظة تبدو مترابطة في اتحاد النفس بالبدن على سبيل المثال (١) .والواقع أن الربط بين الوقائع يمثل لغز الصعوبة التي تواجه الأنساق المينافيزيقية، التي تسلم بنوعين أو أكثر من الكيانات الفعلية. فبالنسبة إلى ديكارت مثلا نجده لا يستطيع أن يحل مشكلة اتحاد النفس بالبدن على أساس من مبادئه الفلسفية. ذلك لأنه ميز بوضوح بين نوعين من الكيانات الفعلية، بل وفصلهما تماماً، وحينما عاد ليوحد بينهما، لم يستطع لذلك سبيلا (\*).

<sup>(\*)</sup> Whitehead: Process and Reality, P. 8.

(\*) مسألة اتحاد النفس والبدن، مسألة من أعرص وأعقد مسائل الفلسغة الديكارية، إذ أننا نجد ديكاريت يعلن أن النفس ليست في جسدها كالنوتي في سفينته، ولكنها مختلطة سعه، ممتزجة به إلى حد يجعلها تكون معه شيئا واحدا. وفي هذا يقول يوسف كرم عن ديكاريت: •إن طبيعته علمته بأنه ليس حالا في جسمه حلول النوتي في السفينة، ولكنه متحد به اتحادا جوهريا يكون كلا واحد، (أنظر: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة الحديثة لفصل الثالث ص ٨٠) كما أن ديكارت انتهي في ردوده على اعتراضات أرنو إلى •أن النفس متحدة مع الجسد اتحاد جوهريا، (أنظر: Philosophical Writings, PP, 280 - 281 الاتحاد بين الجوهرين، فنجدها واضحة في التأمل السادس، وهي تدور حول وجود الفكر بالاتحاد بين الجوهرين، فنجدها واضحة في التأمل السادس، وهي تدور حول وجود الفكر بالإعتراف باتحاد النفس مع الجسد، (أنطر: ديكارت: التأملات نرجمة عثمان أمين - الإعتراف باتحاد النفس مع الجسد، (أنطر: ديكارت: التأملات نرجمة عثمان أمين - Reguis السادس فقرات ٢، ٣، ٤، ٥، ٢، ٢، ٥، ٤ ). وكان ديكارت قد رد على رجيوس Reguis

## إن نظرية وايتهد مبنية على أساس أن كل الكيانات الفعلية Actual Entites

 قائلا: إن النفس متحدة اتحادا جوهريا ووجوديا مع الجسد، وأن الإنسان من حيث هو مركب من نفس ومن جسد كائن بذاته لا بالعرض. (أنظر: Berhier; E.: Histoir de la Philosephie, Tome 11, Fac. 1 P. 84) كما أعلن ديكارت في خطاب 14 إلى الأميرة اليصابات في مايو ١٦٤٣ بأن النفس تفكر، وأنها من حيث اتحادها بالجسم فهي تعمل وتحس معه، كما تناول ديكارت في هذا الخطاب شرح نظريته للأميرة مبينا فيه كيف تستطيع النفس أن تحرك الجسد، ونراه يذهب في هذ إلى أنه توجد فينا أفكار ومعانى أولية نستطيع بفضلها وتحت ماهيتها أن نكون كل معارفنا الأخرى : ومن بين هذه المعانى لا يوجد فينا خاصا بالجسم غير معنى الامتداد، وخاصا بالنفس غير معنى الفكر أما عن النفس والجسم معا فإنه توجد فينا فكرة اتحادهما التي تتضمن فكرة القوة التي تعمل بها النفس في الجسم ويعمل بها الجسم في النفس. ولقد وجد ديكارت أن الغدة الصنوبرية هي مركز هذا الاتحاد، لأنها تعكس أعضاء الجسم الأخرى، وسريعة التأثر، ومزدوجة أي نفسية وجسمية. ومع أن ديكارت قد تنبذب في حلوله لهذه المسألة، إلا أنه يذكر عدة نصوص أخرى تدل على فشله النام في حل المسألة. فهو يذكر في خطاب وجهه إلى الأميرة اليصابات عام ١٦٤٣ ،أنه لابد من التمييز بين أفكار ثلاث رئيسية تملكها النفس بطبيعتها، فالنفس لديها فكرة عن ذاتها أو عن الجوهر المفكر، ولديها فكرة عن الأجسام أو عن الامتداد، ولديها أخيرا فكرة عن الانحاد بين الجوهرين (وهذا خروج عما قرره في نسقه الفلسفي من قبل من وجود جوهين هما الامتداد والفكر بالإضافة إلى الجوهر الالهي وحسب، وخروج عما قام به هونفسه من تمييز حاسم بين الجسم والنفس) وتتمايز ميادين الوجود والمعرفة بحسب اندراج كل منها تحت فكرة من هذه الأفكار الثلاث. فميدان الله مثلا يندرج تحت فكرة الجوهر المفكر (وهذا يتناقض مع قول ديكارتي آخر، يبين فيه أن ميدان الله يندرج تحت فكرة الجوهر الالهى لا الجوهر المفكر) وميدان العلوم الرياضية والطبيعية يرتبط بفكرة الامتداد، ويبقى أن يكرن الميدان الإنساني مندرجا تحت فكرة الاتحاد، (أنظر: نجيب بلدى: ديكارت، القسم الثاني، ص ١٢٨). بل إن ديكارت يذهب إلى حد التنبيه بأن مسألة التمييز تتناقض تماما مع مسألة الاتحاد، ويحذر من مراعاة المسألتين معا وفي آن واحد، يقول ديكارت ناصحا للأميرة اليصايات ، بألا تفكر في الاتحاد عندما تفكر في التمييز، وبألا تفكر في التمييز وبألا تراعيه عندما تراعى الاتحاد، لأن الضربين من التفكير يتعارضان تعارضا منطقيا وواقعيا، (أنظر: المرجع السابق ص ١٣٠) وأكثر من ذلك نجده يقرر في المقال عن المنهج بأن النفس موجودة حتى إذا لم يكن الجسم موجودا على الاطلاق. يقول ديكارت الولم يكن الجسم موجودا البتة لكانت النفس موجودة كما هي بتمامها، (أنظر: ديكارت: المقال عن المنهج، ترجمة الخضيري، القسم الرابع ٥٧ - ٥٨) وعلى هذا فرى أن ديكارت لم يعطنا حلا مقنعا بقدر ما أعطانا مشكلة عويصة ومسألة معقدة من كل الجوانب وحاولت الفلسفات اللاحقة له والمعاصرة أن تجد حلا

هى من نفس النوع، أى من نوع واحد، وأنه على الرغم من وجود درجات متفاوتة الأهمية واختلافات فى الوظائف إلا أن المبادئ التى تمثلها هذه وتلك من الكيانات الفعلية هى على نفس المستوى. وهذا يعنى وجود مجموعة واحدة فقط من العبادئ الكلية العامة تطبق على كل الكيانات أيا ما كانت، والله نفسه لا يمثل استثناء من تلك القاعدة إذا أردنا أن نحقق الترابط بالمعنى الكامل له. والواقع أن مذهب وايتهد لا يجعل الوجود الإلهى مختلفاً فى أساسه عن وجود الكيانات الفعلية الأخرى، وذلك فيما عدا أنه أولى إذ لو قررنا تمايزا أو إنفصالا لله لكان ذلك معناه أننا لم نحتفظ لنسقنا الذى يتكون من مجموعة واحدة من المبادئ الميتافيزيقية بأدنى نوع من الترابط، ولوقعنا فى مشكلة اللاترابط التعسفى، ومشكلة التوحيد الخاطئ بين ملامح الكيانات الفعلية، وأغلوطة التموضع الزائف العينى.

مرضيا لها. وفي هذا يقول هاملان القد حاولت كل مذاهب العلل الاتفاقية عند مالبرانش، والتوازى عند اسبينوزا، وسبق التوافق عند ليبنتز حل مشكلة العلاقة بين النفس والجسد، (أنظر: . Hamelin; O: La Systeme de Descartes ch XXIII, P. 374.).

#### - **\** -

## الوجود والصيرورة

أكد المبدأ الأنطولوچي على أن «الواقعة الحقيقية» تتمثل في الكيان الفعلى أي تتمثل في ذلك الموجود الذي يوجد بالمعنى الكامل للوجود، أي تتمثل في الكيان الفردي، ولما كانت الكيانات الفعلية تكون الأساس الذي يمكن أن تشتق منه أو تجرد عنه كل الكيانات الأخرى التي تؤلف مع الكيانات الفعلية كل ما يوجد أو يكون، فإنه يتضح أن مقولة الكيان الفعلي تحتل مكاناً رئيسياً بين بقية المقولات. وهذا يعني أن الكيانات الفعلية تكون الموضوع الأولى للمسألة الميتافيزيقية. كما يشير إلى أن الكشف عن طبيعة تلك الكيانات الفعلية يعتبر مطاباً رئيسياً من مطالب الميتافيزيقا. ولقد رأينا فيما سبق أن الكشف عن تلك الطبيعة قد تم الننبه إليه إبتداء من أرسطو على الأقل، وذلك حينما تساءل عما هو Οναια أو الجوهر، وكيف يمكن تحديد الملامح العامة الكاملة «لذاك الذي يوجد» والتي بدونها لا يمكن أن يكون ماهو.

in order to لقد تعارف الفلاسفة منذ عهد بارمنيدس على أنه لكى نكون be فإن الواقعة الحقيقية أو الكيان الفعلى يجب أن يكون على ما هو عليه.

وهذا يشير إلى أن الكيان الفعلى يجب أن يكون فى أحد معانيه الأساسية فردياً، وواحدا، وحاصلا على إكتفاء ذاتى Stef Sufficient واتحاد ذاتى. ولعل هذا هو ما عناه ديكارت حين ذكر فى تعريفه للجوهر ،أننا حينما نتصور الجوهر، إنما نتصوره موجودا غير مفتقر إلا إلى ذاته فى وجوده... (١).

ولقد تعارف الفلاسفة أيضاً على أن الكيان الفعلى أو الجوهر، لكى يكون ماهو عليه حتى يوجد أو يكون، يجب أن يكون لا متغيرا ـ بمعنى ما، ومن هنا فإننا يجب أن نعد اللاتغير خاصية أساسية للكيان الفعلى، وذلك لبعض الاعتبارات.

ولقد ترتب على بروز عامل التغير، ظهور عدة صعوبات في الميدان الميتافيزيقي؛ فأثيرت عدة مشاكل، وقدمت عدة حلول، واختلف الفلاسفة فيما بينهم أيما اختلاف. ولقد زاد من حدة هذا الخلاف ما أرتآه البعض من ضرورة وجوب اتفاق التغير مع اللاتغير بطريقة ما، أي ضرورة تكيف الجوهر أو الكيان الفعلى لكل من اللاتغير والتغير في نفس الوقت، رغم وجود هوة كبيرة بينهما.

وإذ لم نلاحظ هذين الموقفين، الذي ينكر أحدهما التغير بينما ينكر ثانيهما اللاتغير، فإننا نجد أمامنا على التو إتجاها يحاول أن يقدم لنا تصوراً للكيان الفعلى بإعتباره خالياً من التغير، أي تصوراً للكيان الفعلى باعتبار أنه أبدى، أما التغير فلا يكون - طبقاً لهذا الإتجاه إلا خاصية عالم آخر، أو مملكة أخرى، أقل حقيقية من العالم الأبدى؛ أي يكون خاصية لعالم الظواهر أو المظاهر. إن النظريات التي تتبع ذلك الخط، يكون الوجود Being فيها على طرف النقيض مع الصيرورة Becoming ، أي يتسم الجوهر أو الكيان الفعلى بوجود أبدى غير متغير. بينما تنتظم الصيرورة في مملكة أخرى أو عالم آخر أدنى

<sup>(</sup>١) ديكارت : مبادئ الفلسغة - ترجمة عثمان أمين - فقرة ٥.

#### من عالم الكيان الفعلى (\*).

\_\_\_\_\_

(\*) يشير وايتهد هذا إل نظرية افلاطون التي قسمت العالم الى عالمين : عالم المثل وعالم الأشباح. والوجود الحق عند أفلاطون هو وجود المثل، فهو وجود أبدى غير متغير، أما الصيرورة والسيلان والتغير المتصل، فترتبط بعالم الأشباح. ولعل أفلاطون قد جمع بذلك بين ما آرتاه بار منيدس من ثبات وبين ما أرتآه هيرافليطس من تغير وسيلان مستمر فلقد رأى بارمنيدس ( ٥٤٠ - ؟ ق. م) ،أن الوجود موجود، ولا يمكن إلا أن يكون موجودا، أما اللاوجود ، فلا يدرك إذ أنه مستحيل لا يتحقق أبدا، ولا يعبر عنه بالقول فلم يبق غير طريق واحد هو أن نضع الوجود، وأن نقول أنه موجوده. والفكر قائم على الوجود، ولولا الوجود لما وجد الفكر، لأن شيئا لا بوجد، وإن يوجد ما خلا الوجود. ولما كان الوجود هكذا، فهو قديم بالضرورة، إذ يمتنع أن يحدث من اللاوجود، ويمتنع أن برجح حدوثه مرجح في وقت دون آخر، فليس الوجود ماض ولا مستقبل، ولكنه في حاضر لا يزول. وعلى ذلك ميمنع الكون، ولا يتصور الفساد، وينتفي التغير، والوجود والواحد متكافئان، فيلزم أن الوجود واحد فقط متجانس، «مملوء كله وجودا، ويازم أنه ثابت ساكن في حدوده «مقيم كله في نفسه، إذ ليس خارج الوجود ما منه يتحرك، وما إليه يسير. وهو كامل متناه أي مبين لا ينقصه شئ. وهو نام التناهي.. وهو واحد.. ومن هنا أنكر بارمنيدس الكثرة والتغير واعتبرهما وهما وظنا (أنظر: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية - الطبعة الضامسة ص ص ٢٨ - ٢٩) أما هيراقليطس (٥٤٠ - ٥٤٧ ق. م) فلقد رأى أن الأشياء في تغير متصل، . فهذا هو قوله الأكبر وملخص مذهبه. وهو يمثل له بصورتين، الواحدة بجريان الماء فيقول ،أنت لا تنزل النهر الواحد مرتين، فإن مياها جديدة تجرى من حولك أبدا، والصورة الأخرى اضطرام النار، وهي أحب لديه من الأولى لأن النار أسرع حركة وأدل على التغير. ولولا التغير لم يكن شير، فإن الاستقرار موت وعدم، والتغير صراع بين الأصداد ليحل بعضها محل بعض والشقاق أبو الأشياء وملكهاه . . والتغير يجرى أبدا في طريقين متعارضين : طريق إلى أسفل، وطريق إلى أعلا، مع بقاء كمية المادة الأولى أو النار واحدة، ومن تقابل هذين التيارين يتولد النبات والحيوان على وجه الأرض. غير أن النار تخاص شيئا فشيئا مما تحولت اليه، فيأتي وقت لا يبقى فيه سوى النار، وهذا هو الدور النام أو السنة الكبرى، تتكرر إلى غير نهاية بموجب قانون ذاتي ضروري (لوغوس) (أنظر المرجع السابق ص ص١٧ - ١٨) ولقد استطاع أفلاطون أن يوفق بين هذين الفيلسوفين المتعارضين، فوضع الثبات في عالم المثل، ووضع التغير والسيلان المستمر في عالم الأشباح. لمزيد من الاطلاع حول هذه النقطة يمكن للباحث أن يرجع إلى:

- 1 Burnet: Early Greek Philosophy.
- 2 Comperz : The Greek Thinkers.

إن الجوهر أو الكيان الفعلى عند أفلاطون يوجد وجوداً أبوياً مؤسساً مع غيره من الجواهر أو الكيانات الفعلية أو المثل عالما متمايزا تماماً عن عالم مملكة الصيرورة ويرى وايتهد أن هذا التصور الأفلاطوني يتعارض مع المبدأ الأنطولوجي من جهة، ويعارض النظرية الأرسطية من جهه أحرى، فإذا لم يكن أمامنا إلا عالم واحد، فمن التناقض أن نقول بعالم آخر، ينفصل تماما عن العالم الأول وإلا ما وجد. وهذا التناقض لا يتلاشى إذا وافقنا مع افلاطون بأن عالم الظواهر أو الأشباح يستمد وجوده ويشتقه من عالم المثل الى من العالم الحقيقي الأول. ذلك لأنه إذا كان العالمان موجودين، فإن عالما منهما لا يستطيع أن يكون بمفرده والحقيقة الحقيقية، أو الكيانات الفعلية (\*). والواقع أن

<sup>3 -</sup> Zeller: Outlines of the history of Greek philosophy.

<sup>4 -</sup> Wheel wright: Heraclitus.

<sup>5 -</sup> Faller, B.A.G.: History of Greek Philosophy. New York 1931.

<sup>6 -</sup> Benn, A.W: The Greek Philosophers.

<sup>7 -</sup> Robin; L.: La Pensée grecque 1923.

٨ - محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى (الجزء الأول).

٩ - أميرة حلمي مطر: الفلسفة عند اليونان.

١٠ - عبد الرحمن بدوى : ربيع الفكر اليوناني ـ القاهرة ـ ١٩٦٩.

١١ – الأهواني : فجر الفلسفة اليونانية.

۱۲ – البير ريفو : الفلسفة اليونانية ـ أصولها وتطورهما. ترجمة عبد الحليم محمود. أبو بكر زكري ـ القاهرة ۱۹۰۸ . (المترجم)

<sup>(\*)</sup> أنتقد أرسطو (٣٨٤ – ٣٢٢ ق.م) من قبل فكرة وجود عالم مثالى مفارق لعالمنا هذا الذي نعيش فيه، ورأى أن الجواهر أو (المثل) لا توجد إلا في عالمنا هذا وأنه لا وجود لعالم آخر على الاطلاق توجد فيه بمفرده مثل هذه الجواهر أو الكيانات الفعلية. واستند أرسطو في نقده على حجج كثيرة نقتصر هنا على حجج أربع منه الأولى أنه يمتنع قيام مثل للجواهر المحسوسة، فإن المادة جزء منها، ولا يوجد الإنسان مثلا إلا في لحم وعظم، فاذا فرصننا المثل مفارقة، كانت معارضة لطبيعة الاشياء التي هي مثلها، وإذا فرضناها متحققة في مادة، صارت متشخصة جزئية وفاتنا المقصود منها وهوأن تكون مجردة ضرورية. الحجة الثانية؛ أن من المعانى الكلية ما ليس يدل على جوهر، فلا يمكن أن يقابله مثان وذلك مثل

الصيغة الدقيقة المبدأ الأنطولوچى تتضمن رفض مذهب درجات الوجود أو تشعيبه أو تفريعه. فمثل هذا التشعيب وذاك التفريع لا يتوافقان مع محك أو معيار الترابط، ولقد نتج عن غموض المصطلح Being على نحو ما بينا سابقاً.

لقد حاولت المذاهب الواحدية أن تتفادى ذلك التشعيب أو التقسيم، حين تمسكت بمبدأ أحادى واحد يكون أبديا، ولكن إفصاء هذه المذاهب المتغير والصيرورة عن الكيان الفعلى أو الجوهر، إنما جعلها تخالف بوضوح المبدأ الأنطولوچي أو تخرفه: فإذا إستبعدنا مذهب بارمنيدس الأحادى، استطعنا أن نقرر أن سائر المذاهب الأحادية لم تعتبر الصيرورة على أنها لا وجود أو لا شيئية، أنهم قرروا على العكس من ذلك أن الصيرورة موجودة، ولكنها ليست

<sup>-</sup> الماهيات الرياضية والأجناس والعوارض والإضافات، فإن الشكل الرياضي حد المقدار ومتحقق في مادة طبعا، فحكمة حكم الجوهر المحسوس في الحجة السابقة وحكم العرض الذي لا يتقوم بذاته، والجنس؛ كالحي والنبات والحيوان والمثلث لا يتقوم بنفسه بل بانواعه، والعرض متقوم بالضرورة، والإضافة علاقة بين طرفين ليس لها وجود ذاتي - فاذا كانت كل هذه المعانى ذهنية صرفة، فما الذي يمنع أن توجد المعانى جميعا في العقل دون أن بقابلها مثل. الحجة الثالثة، إذا كان كل ما هو مشترك بين اشياء عدة يرفع الى مقام المثال، فإن ماهو مشترك بين إنسان المحسوس ومثال الانسان يعتبر إنسانا ثالثا، وماهو مشترك بين هذا الانسان الثالث ومثال الانسان والإنسان المحسوس يعتبر انسانا رابعا، وهكذا إلى غير نهاية. الحجة الرابعة. ليست النظرية مجدية شيئا فلم يبين أفلاطون نوع العلاقة بين المثل والجزئيات، وكيفية مشاركة هذه في تلك، فلا يظهر أن للمثل أثرا في احداث المحسوسات، ولا في استبقائها في الرجود، ولا يظهر أن للمثل أثرا في علمنا بالمحسوسات، فانها مفارقة لها يعيدة عنها، فالقول بأنها مثلها وأن المحسوسات مشاركة فعها استعارة شعرية لا طائل تحتها، وكل ما فعله أفلاطون أنه أقام عالما خياليا فيه من المسميات بقدر ما في العالم الحقيقي. فكان الأول بمثابة الطانة، للثاني عديمة الفائدة (أنظر: يوسف كرم: تاريخ الغاسفة اليونانية ص ص ١٧٤ - ١٧٥) ويتضح من ذلك أن وجود عالمين، يستتبع أن تكون الجواهر أو الكيانات الفعلية، من فعلهما معا، أما وقد اتضح من نقد أرسطو لأفلاطون أن هذا محال ـ فلا يبقى إذن الا أن نسلم بأن الكيانات الفعلية أو الجواهر هي فعل عالم واحد أو توجد في عالم واحد فقط، هو عالمنا الذي نحياه. (المترجم).

موجودة وجوداً خاصاً بالكيان الفعلى الأحادى أو الجوهر الواحد، ولا هى على مستواه. فليس ثمة وجود فعلى آخر فى مثل هذه المذاهب تكون له خاصية المبدأ العام عدا الجوهر الأوحد، وهو غير متغير، ولا صيرورى فى طبيعته.

وعلى الجانب الآخر، يوجد القسم الآخر من المذاهب التى رأت عدم قيام تعارض كامل بين الوجود وبين الصيرورة، وأنه يمكن التوفيق أو الربط بينهما في صميم «الحقيقة الحقيقية، أو الجوهر أوالكيان الفعلى. ويمكن أن نجد بداية واضحة لمثل هذه المذاهب عند أرسطو القائل «بأن أعظم دلالة مميزة للجوهر، تتبدى في أن الجوهر رغم بقائه واحداً من حيث العدد وكونه هو ما هو، فهو قادر على قبول الكيفيات المتضادة (۱). وهذا يعنى أن الكيان الفعلى يمكن تصوره بإعتبار أنه محتفظ بثباته في طبيعته الجوهرية، رغم تعرضه لتغيرات الصفات والعلاقات.

والواقع أن الوفاق بين الثبات والتغير، أو بين الوجود والصيرورة يجب أن نبحث عنه في ضوء التمييز بين الملامح الجوهرية والعرضية؛ ذلك أن الكيان الفعلى يجب أن يكون ثابتاً في طبيعته الجوهرية، فإذا لم يكن هو ما هو، وإذا لم يكن واحدا، فلا يمكن أن يحتفظ بفرديته وذاتيته. ومعنى هذا أن الملامح الجوهرية تتمثل في تلك التي لا يمكن بدونها أن يكون الشئ ماهو. أما التغير فهو ليس من الملامح الجوهرية للكيان الفعلى، إنه عرض للكيان الفعلى، لكنه لا يؤثر على ذاتية وفردية هذا الكيان، ومعنى هذا أن الكيان الفعلى يدوم ويبقى خلال الزمان. يقول برود Broad وإن فكرة الجوهر تتضمن بقاء أو دوام شئ خلال الزمان، (٢). ونضيف نحن أنه يبقى ويدوم ويظل محتفظا بذاتيته وفرديته رغم تعاقب التغيرات العرضية.

<sup>(</sup>١) أرسطو المقولات من ٤ إلى ١٠ ترجمة ١. ام. ادجل.

<sup>(</sup>٢) برود : العقل ومكانه في الطبيعة، ص ٣٤.

إن خبراتنا اليومية ترينا بوضوح أن ثمة أشياء تدوم رغم أنها تتغير، وثمة أشياء تبقى على ما هى عليه على الرغم مما يطرأ عليها من تغيرات: فنفس الشخص الذى كان مريضاً بالأمس هو ذاته الذى أصبح سليما اليوم، ونفس الشجرة التى كانت خضراء فى الربيع هى ذاتها التى تصبح عارية عن الأوراق وبنية فى الشتاء، وهى التى كانت منتصبة قائمة فى الصباح، ثم كسرت فى المساء، ونفس الإنسان الذى كان طفلا، هو الآن شابا، وقد تكسر ساقه، أو يتغير لونه، أو يتساقط شعره، ومع ذلك فهويته باقية، وذاتيته قائمة، رغم وقوع كل تلك التغيرات.

ويرى وايتهد أن اللغة - وهى من صنع الإنسان - تشير إلى أشياء باقية أو دائمة، كما أن المنطق الأرسطى التقليدى يقدم لنا البناء الصورى للغة التى نستعملها فى كل يوم، وذلك على هيئة قضية حملية لها صورة الموضوع - المحمول، بالإضافة إلى أن سيطرة المنطق التقليدى الأرسطى لقرون طويلة، أثرت بدورها على الفكر الميتافيزيقى، فذاعت فكرة المقولات التى تعتبر إشتقاقا طبيعيا من مصطلحات المنطق، (١). فهذه المقولات ليست إلا مقولات الجوهر ومحمولاته أو صفاته أو كيفاته أو علاقاته (\*).

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٤١ ـ

<sup>(\*)</sup> المقولة معنى كلى، ولقد وضع أرسطو لذا سلسلة من المقولات عددها عشر مقولات تعبر عن مقولة الجوهر ومحمولاته أو كيفياته أو صفاته أو علاقاته وهذه المقولات هي :

۱ – الجوهر Substance ؛ وهو ما يتقوم بذاته، بينما يتقوم سائر ما عداه عليه، ويتصف بالثبات خلال التغير، ولقد ميز أرسطو بين نوعين من الجوهر. الجواهر الأولى مثل سقراط، أرسطو. الخ وهي متحلقة بالأفراد، والجواهر الثانية وهي تتركب من الأولى وتتمثل في النوع أو الجنس مثل إنسان وحيوان.

Y - الكمية Quantity ؛ وهي تلك التي تخصع القياس ولها حجم ومقدار مثل ثلاث باردات، وعشر برئقالات.

٣ - الكيفية Quality ؛ وتتعلق بصفات الشئ مثل أحمر أو حلو.

٤ - الإضافة Relation ؛ مثل الضعف والنصف.

٥ - الفعل Activity ؛ مثل ضارب وقاطع وكاتب.

إن النقطة الأولى التى يود وايتهد أن يؤكد عليها هى : أن فكرة كيان فعلى كموضوع ثابت التغير، هى فكره إستطعنا أن نصل إليها بواسطة التعميم مما نلاحظه فى حياننا اليومية، من ثبات وبقاء ودوام أشياء رغم تعرضها للتغيرات. بمعنى آخر إن تعميمنا الخيالى قد أوصلنا إلى تصور شئ ما، يكون هو ما هو عليه، أى يكون ثابتاً ودائماً مهما تعرض لتغيرات عرضية. وما هذا الشئ الثابت فى حقيقته، الذى يتعرض لتغيرات وعلاقات عديدة، سوى الجوهر Substance أو الكيان الفعلى Actual Entity ولعل هذا هو ما عبر عنه أرسطو حين قال ابأن أعظم دلالة مميزة للجوهر، تتبدى فى أن الجوهر رغم بقائه واحدا من حيث العدد، وكونه هوماهو، هو قادر على قبول الكيفيات رغم بقائه واحدا من حيث العدد، وكونه هوماهو، هو قادر على قبول الكيفيات المتضادة، والواقع أنه يمكن تصور هذا الشئ الثابت بيسر على أنه مادة أو مادى.

أما النقطة الثانية التى يريد وايتهد أن يؤكد عليها فهى: أن القصية المنطقية ذات صورة الموضوع - المحمول، والتى إشنقت من الحياة اليومية، هى نفسها التى تبدو فى الفكر الميتافيزيقى . بمعنى أن الميتافيزيقيا كثيراً ما أشارت صراحة، أو تضمنت ضمناً : «أن الواقعة الميتافيزيقية النهائية كثيراً ما عبر عنها بأنها الجوهر الذى يحوى صفة، (١) . وهذا يعنى أن الواقعة الميتافيزيقية النهائية قد تلمسها المنطق من حياتنا اليومية وأعطاها صورة

٦ -- الانفعال Pastivity ؛ مثل مضروب ومقطوع ومكتوب.

٧ -- المكان Place ؛ وهو ما يكون فيه الشئ (الأين).

٨ - الزمان Time ؛ وهو المنى الذي تحدث فيه الأشياء .

<sup>9 --</sup> الوضع Position ؛ مثل جالس أو واقف.

١٠ - الحال State ؛ وهو الحال الذي عليه الفرد مثل مريض أو نائم أو ضاحك (أنظر.
 على عبد المعطى مدمد. المنطق ومناهج البحث العلمى في العلوم الرياضية والطبيعية ـ
 الفصل السادس) (المترجم).

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٢٢٠.

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الموضوع - المحمول: الموضوع ثابت، والمحمول متغير، ثم إعتقنتها الميتافيزيقا تحت تأثير المنطق، فأضحت القضية المنطقية ذات صورة الموضوع - المحمول، فكرة ميتافيزيقية تربط بين الجوهر والصفة، أو بين الكيان الفعلى كأساس ثابت للتغير، وبين تغيرانه وعلاقاته العرضية، التي لا تقضى على وحدته أو هويته أو فرديته أو ثباته.

## نقد والتهد لتصور الكيان الفعلى كذاتية دائمة

ذهب وايتهد إلى أن الأغراض اليومية العادية، تبين لنا أن الأشياء التى نهتم بها، يمكن تصورها وهذا تصور صحيح وسليم من هذه الجهة على أنها كيانات: دائمة الذاتية . يقول وايتهد وإن الفكرة البسيطة عن جوهر دائم يساند أو يعزز الكيفيات باستمرار، من ناحية جوهرية أو عرضية، تعبر عن تجريد نافع للأغراض اليومية في الحياة، (١) . ولكن ما قلناه الآن يتعلق بتصور مجرد عن الكيانات الفعلية، ولا يتعلق بالكيانات الفعلية ذاتها . وهذا يعنى أن هذه الكيانات ليست كيانات فعلية Actual Entites تعبر عن الوجود بالمعنى الكامل، ولكنها كيانات مجردة أو مشتقة من الكيانات الفعلية، ومن ثم فوجودها ليس وجودا بالمعنى الكامل للوجود .

لقد رأينا أن ميتافيزيقا الجوهر - الصفة، قد نبعث عن تأثرها بمنطق القضية ذات صورة الموضوع - المحمول، وأن هذه الميتافيزيقا وذلك المنطق

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ١٠٩.

إنما يعتبران الجوهر أو الموضوع بمثابة كيان دائم أو كيان فعلى ثابت رغم ما يتخلله من تغيرات ووايتهد لا يوافق على ذلك فهو يرى أن القضية ذات صورة الموضوع - المحمول تتعلق بتجريدات رفيعة، (١) . أي أنها تتعلق بكيانات لبست فعلية، إنها تتعلق بكيانات هي تجريدات أو إشتقاقات من الكبانات الفعلية ذاتها، ويرى وايتهد أيضا أن الصعوبات الرئيسية التي قامت في ثنايا الفكر الفلسفي، خلال تاريخه الطويل، إنما ترجع بالدرجة الأولى إلى محاولتنا تصور الكيانات الفعلية على أنها دائمة وتعزز الكيفيات وتسندها باستمرار؛ ذلك لأن مثل هذا النوع من التفكير يجعلنا نتصور ملامح عامة لكيانات ليست فعلية، على أنها ملامح عامة لكيانات فعلية، أو نتصور كيانا على أنه فعلى، في حين أنه لا يعدو أكثر من تجريد أو إشتقاق من كيان فعلي، أو نتصور الكيان الفعلى أو الجوهر على أنه تعميم من الملامح العامة لكيانات ليست فعلية Actual . لهذا كله ذهب وابتهد إلى أن تصور كيان دائم هو تصور خاطئ من الناحية الميتافيزيقية وهذا الخطأ لا ينجم عن إستخدام كلمة جوهر أو كلمة كيان فعلى ولكنه ينجم عن إستخدام فكرة كيان فعلى يتسم بكيفيات جوهرية، ويبقى واحداً من حيث العدد، ويكون هو ما هو، رغم ما يطرأ عليه من تغيير ات في العلاقات والكيفيات العرضية،  $({}^{(1)})$ .

وعلينا الآن أن نفحص الأسباب التي رفض وايتهد على أساسها تصور الكيان الفعلى ككيان دائم أو باعتباره ذاتية دائمة تبقى خلال التغير. لقد نجم هذا التصور كما رأينا عن محاولة التوفيق بين الثبات وبين التغير. ومن الضرورى أن نذكر هنا أننا نعنى بالتغير الإنتقال أو التقدم أو المرور من مجموعة من الظروف أو الأحوال إلى مجموعة أخرى، أو في كلمة واحدة أننا نعنى بلتغير العملية Process، ومن ثم نستطيع أن نقرر أن المشكلة المطروحة قد قامت عن طريق ما نخبره ثابتاً ويكون موضوعا للتغير؛ فنحن نتصور

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، س ١٩٢.

<sup>(</sup>۲) نفس المرجع، ص ص ۱۰۹ – ۱۱۰

العالم في حياتنا اليومية وفي خبراتنا العادية على أنه في سيلان Flux دائم أو في عملية تغير متصل، والنظريات التي يرفضها وايتهد تحاول أن تبين «أنه يمكن تحليل العملية Process أو التغير إلى تكوينات من الوقائع النهائية عارية تماما عن العملية أو التغير، (١). وبمعنى آخر تحاول تحليل عملية التغير تحليلا بالغا حتى نصل إلى كيانات نعتبرها موضوعات ثابتة للتغير، ولكنها هي ذاتها لا تتغير.

ولقد ذهب وايتهد إلى أن التحليل للعملية أو للتغير هو تحليل زائف وخادع. والخطأ أو الزيف يتمثل هنا فى محاولة إيجادنا لكيان فعلى أو جوهر يوجد Exist ويكون فى نفس الوقت ثابتاً ودائم اللا تغير أو بمعنى آخر يكون عاريا أو خالياً من العملية أو التغير. لقد اهتم ديكارت بتلك الصعوبة ورأى أنها تنتج عن تصور غير كاف للديمومة أو الدوام فلقد كتب ديكارت يقول: وفى الحقيقة، إنه لمن الواضح تماما، ومن البين لكل من أهتم بانتباه إلى طبيعة الديمومة أن حفظ الجوهر (فى الوجود) فى كل لحظة من ديمومته، يتطلب نفس القوة ونفس الفعل الضروريان لخلقه، إذا افترضنا أن ذلك الجوهر لم يأت بعد إلى الوجود ومن ثم فإن النور الفطرى يرشدنا بوضوح إلى أن الحفظ والخلق لا يختلفان قط إلا فى حالنا الفكرى (لا فى الحقيقة) (٢).

ويتضح من هذا أن المذهب الديكارتى يرى أن وجود الكيان الفعلى هو وجود لحظى instantaneous وهذا الوجود اللحظى ليس خاليا من الإنتقال أو العملية المتضمنه في الديمومة وحسب، بل إنه خال أيضا من أي عملية أو تغير أيا كانت. أنه وجود ثابت أو غير متغير بالمعنى الدقيق للكلمة.

إن النقطة الأساسية في التحليل الديكارتي تمثلت في أن الديمومة لا يتم تصورها باعتبارها مكونة من ذاتيات كيانات فعلية دائمة؛ وذلك لأن كل كيان

<sup>(</sup>١) وايتهد : أنماط الفكر، ص ١٣١.

<sup>(</sup>٢) ديكارت: التأمل الثالث، ترجمة جي قتش.

لحظى مخلوق يكون مميزا من حيث العدد فى دورة التتابع أو التعاقب الديمومى ومن ثم ينتج أن ليس ثمة كيان فعلى واحد من حيث العدد، يكون هو ماهو، ويكون دائما.

إن النتيجة الواضحة التى يمكن أن نستخلصها من مذهب ديكارت هى أننا حينما نتحدث عن أو نتصور ،كيانا دائما، فإننا لن نكون فى تصور أو حديث يتعلق بكيان فعلى؛ ذلك لأن الكيانات الفعلية ما هى إلا الجواهر اللحظية المخلوقة. إننا حينما نتصور ،كيانا دائما، فإننا إنما نتصور فى الحقيقة المسار الكلى للتعاقب ككيان واحد ، ويتبع ذلك أن ،الكيان الدائم هو تجريد مشتق من الجواهر المخلوقة، ولكنه ليس فى ذاته جوهرا أو كيانا فعلياً، ويجب أن نلاحظ أنه على الرغم من أن ديكارت لم ينتبه إلى ما تضمنه تحليله السابق، إلا أنه لم يعالج مطلقا ،الكيان الدائم، كجوهر فعلى، ومن ثم فهو لم يتورط فى مغالطة ،التموضع الزائف للعيني، فى هذه النقطة.

وثمة نقطة هامة أخرى نجدها فى التحليل الديكارتى وهى أن الجواهر اللحظية، بما أنها خالية أو عارية عن العملية أو التغير وبالتالى عن النشاط أو الفاعلية فهى لا يمكن أن تكون سبب أو علة العملية التى تتكون من الإنتقال خلال الجواهر المتعاقبة. إن العملية التى تؤلف الدوام يجب أن تكون نتاج أو حصيلة نشاط كيان آخر له قوة وفاعلية الخلق. ومن هنا يكون أى وجود للجواهر اللحظية معتمدا على أو مفتقرا لعقل ذلك الكيان الآخر.

وبناءا على هذا نستطيع أن نصل إلى النتيجة التالية؛ وهي على ما نعتقد أهم وأعظم نتيجة يمكن أن نستخلصها من التحليل الديكارتي وهي : أنه ليس ثمة وجود على الإطلاق، بدون فاعلية، وليس ثمة فاعلية بدون عملية Process أو تغير، لأن الفاعلية تتضمن الإنتقال، الذي هو في ذاته ،عملية، بل وأكثر من ذلك فالكائن الموجود يجب أن يوجد بفضل فعاليته الخاصة، فإذا لم يتحقق هذا، فإن ديكارت، يرتد على الفور، إلى خالق محدد يصفه بعملية خلق الفاعلية في كل كائن.

أما نقطة الضعف عند ديكارت فهى تتمثل فى وقوعه فى «مغالطة التموضع الزائف للعينى حينما عالج الجواهر المادية والفكرية على أنها جواهر حقبقية ، رغم أنه كان قد ذكر أن الله هو الجوهر الحقيقى الوحيد، وأنه الموجود الكامل وأنه يوجد بالمعنى الكامل والفعلى للوجود، بينما يفتقر سائر ماعداه عليه، وأن الله يخلق هذه الجواهر ولا يكتفى بذلك، بل إنه يتدخل فى كل لحظة ، لكى يحفظ هذه الجواهر ويقيمها فى الوجود، ولكى يرفعها من العدم ، وهذا أساس نظريته عن الخلق المستمر ، ثمة تفاوت إذن بين جوهر خالق وجواهر مخلوقة ، بين جوهر يستمد وجوده من ذاته ، وبين جواهر تستمد وجودها من خارجها ، بين جوهر يوجد بالمعنى الكامل للوجود ، وجواهر لا توجد بالمعنى الكامل للوجود ، وجواهر لا توجد بالمعنى الكامل له . ومن هنا فإن ديكارت حينما عالج الكيانات الأخرى عدا الكيان الإلهى ـ أى حينما عالج الجواهر الأخرى ما عدا الجوهر الإلهى (الإمتداد والفكر) فإنه وقع فريسة لمغالطة «التموضع الزائف للعينى» ، ذلك لأن تلك الكيانات الأخرى ليست فعلية المعاطة ، ووجودها ليس وجودا بالمعنى الكامل للوجود ، أى ليس كوجود الكيانات الفعلية .

إن الصعوبة الرئيسية المتضمنة في المذهب الذي يرى أن العملية Process يمكن أن تحال إلى تكوينات من وقائع نهائية عارية تماما عن تلك العملية أو التغير، تتركز فيما إذا كانت تلك الوقائع النهائية أي تلك الكيانات الفعلية يمكن أن توجد حقا وهي عارية تماما عن العملية أو التغير، أم أن الأمر غير هذا ؟

لقد رأى وايتهد أن الوجود الفعلى أى وجود الكيان الفعلى لا يمكن أن يكون لحظيا أو دواما ثابتا فإن هذين التصورين (لحظى - دوام ثابت) يشيران إلى الإقصاء أو الإبعاد التام لعملية التغير عن طبيعة الكيان الفعلى الفردى Individual وإذا إعتبرنا أن الكيانات الفعلية عارية عن العملية، فإن على العملية إذن أن تلجأ لبعض كيانات من نوع يختلف أساساً عن الكيانات الفعلية (كما فعل ذلك ديكارت) -

إن الأمر الدقيق هو: أننا إذا سلمنا بأن الكيانات الفعلية الفردية ثابتة غير متغيرة، فإننا لن نجد وصفا لتناسق وترابط عملية التغير، وبالمثل إذا سلمنا بأن عملية التغير عارية عن الكيانات الفعلية الفردية، أى كانت مجرد عملية أو مجرد إتصال صيرورى فسيكون من المستحيل أن نحصل على أى كيان فعلى فردى. وفي هذا يقول وايتهد الايمكن أن نحقق أدنى توافق أو تكيف بين الفكرتين الخاطئتين: العملية العارية عن الكيانات الفعلية الفردية، والكيانات الفعلية الفردية العارية عن العملية، فإذا بدأت بفكرة منهما، فستفقد الأخرى باعتبارها هراء لا معنى له، (١).

<sup>(</sup>١) وايتهد: أنماط الفكر، ص ١٣٢.

# الفصل الخامس مقولة العملية

- ١٠ ~ مقولة العفلية.
- ١١ ذرية الصيرورة.
- ١٢ النظرية الحقبية لما هو فعلى.
- ١٣ صيرورة وفساد الكيانات الفعلية : توفيق وايتهد بين التغير والفساد.



## مقولة العملية

رفض وايته د بوضوح، الخطوط الفكرية الكلاسيكية، التي حاولت التوفيق بين الثبات والتغير: وكانت كل الفلسفات التي حاولت تلك المحاولة، قد ذهبت إلى اعتبار أن الكيان الفعلى ثابت أساساً أي لا متغير، أو موضوع ثابت التغير على نحو أدق، بينما رأى وايتهد أنه من الهام بالنسبة للمذهب الميتافيزيقي القائم على فلسفة عضوية Organic مترابطة ومتناسقة ،أن يتخلى تماماً عن فكرة الكيان الفعلى كموضوع ثابت للتغير، (١). الواقع أن مذهب وايتهد يرى أن الطريق الوحيد الذي يمكننا من تحقيق التوافق السليم، والذي يراعي الترابط والتناسق بين الثبات أو اللاتغير وبين التغيرأو بين الوجود وبين العملية الترابط والتناش في تصور العملية باعتبارها خاصية أساسية لطبيعة الكيان الفعلى.

ومن الأهمية بمكان كبير، أن نضع في ذهننا، ونحن نعالج هذه المشكلة، أن المبدأ الأنطولوچي، إنما يشير بتركيز خاص إلى الوجود، وإلى الوجود

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٣٩.

بالمعنى الكامل والفعلى له، أى يشير إلى وجود الكيانات الفعلية العينية، فإذا ما أدركنا هذا، فهمنا أن وايتهد حينما يقول «بأن وجود الكيان الفعلى يجب أن يتضمن العملية Process ، يعنى في نفس الوقت أن كل المعانى الأخرى للوجود - إلى جوار المعنى الكامل والفعلى له - يجب أن تتضمن العملية أيضاً. وذلك لأن نفس المبدأ الأنطولوجي يقرر أن كل صور الوجود الأخرى مشتقة من أو مجردة من الوجود الفعلى للكيان الفعلى . وهذا يعنى من ناحية أخرى أن «الوجود» لا يمكن أن يجرد أو أن يشتق من العملية ولكنه يعنى بالضبط «أن فكرة العملية تفترض الوجود، كما أن الوجود يفترض العملية (١) .

وحينما نقرر أن الوجود والعملية يفترضان بعضهما البعض؛ فإن هذا يعنى أن فكرة العملية أو التغير إذا ما قبلناها، فيجب أن يكون هناك موجود أى كيان فعلى فى العملية : ذلك لأن قبول العملية يتطلب معرفة وجودها، بما أنها ليست كيانا فعليا، فيجب أن يكون وجودها مشتقا من الوجود الفعلى للكيان الفعلى، كما يقرر ذلك المبدأ الأنطولوچى. وعلى هذا النحو تفترض العملية وجود الكيانات الفعلية، أى تفترض وجود كيانات توجد بالمعنى الكامل للوجود. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن الوجود الفعلى بدوره يفترض العملية؛ فإذا لم تكن العملية، متضمنة أساساً فى وجود كيان فعلى، فمن المستحيل أن نقبل العملية، في أى صورة أخرى، تكون متصفة بالترابط والتناسق.

إن الكيان الفعلى لا يمكن أن يوجد ككيان لا متغير تماماً، وكخال من العملية، أى لا يمكن أن يكون أبديا Eternal ؛ فعملية التغير أصلية فى وجوده والواقع أن تصور اوجود أبدى، Eternal Existence لا يمكن أن يطبق على كيان فعلى، وإلا لوقعنا فى التناقض، وسوف نرى فيما بعد أن الوجود الأبدى يمكن أن يطبق فقط على نوع من الكيانات التى هى ليست فعلية not actual .

<sup>(</sup>١) وايتهد: أنماط الفكر، ص ١٣١.

ولقد صاغ وايتهد أحد المبادئ، أسماه بمبدأ العملية ولقد صاغ وايتهد أحد المبادئ، أسماه بمبدأ العملية المبدأ أن وجود الكيان الفعلى يقوم على صيروته (١). The Actual أن وجوده يقوم وعنى بهذا المبدأ أن وجوده يقوم Entity's Being is constituted by its Becoming على عمليته Process ويظهر من هذا أن مصطلح Becoming ومصطلح Process متساويان، ولكن يجب أن نلاحظ أنهما ليسا مترادفان؛ إن المساواة بينهما هنا تقوم من حيث أن الصيرورة وBecoming، تعنى ويصير إلى، أو يأتي إلى الوجود Coming into Existence or coming into Being ونحن يأتي إلى الوجود وسب المبدأ الأنطولوچي وصيرورة الوجود الفعلي أي الإتيان نعني بالصيرورة حسب المبدأ الأنطولوچي وصيرورة الوجود الفعلي أي الإتيان بالكيان الفعلي إلى الوجود. أما العملية فهي تعني في معناها الرئيسي أن عملية صيرورة الكيان الفعلي : أي وجوده تقوم بواسطة العملية أو الصيرورة وكل المعاني الأخرى للعملية يمكن أن تشتق من هذا المعني الرئيسي لها، أي تشتق أو تجرد من المعني الرئيسي للعملية باعتبارها متضمنة في صيرورة أو وجود الكيان الفعلي.

ويرى وايتهد أن الخطأ الفكرى كثيرا ما ينتج عن الخلط بين المعنى الرئيسى والعملية، وبين المعانى المشتقة لها. ويذهب بناءا على هذا إلى أنه يجب حين الإشارة إلى صيرورة كيان فعلى ألا نفهم مصطلح والعملية، في أى من معانيه المشتقة. ومن هنا فإن عملية صيرورة الكيان الفعلى ليست مجرد عملية سلبية ينتقل فيها هذا الكيان من ظرف إلى آخر وحسب، إذ الانتقال يتطلب بعض القدرة التي تؤثر في الانتقال ذاته. لكننا يجب أن نضع في يتطلب بعض القدرة المؤثرة لا توجد خارج الكيان الفعلى، وإلا لوقعنا في أغلوطة اللاترابط، إذ أن معنى تخارج القدرة عن الكيان الفعلى، أنها مضافة إليه إضافة خارجية، وأننا نتعسف في بيان لا ترابطيتها، أي لا نذكر أي سبب أو علة، تكون القدرة بمقتضاها خارج الكيان الفعلى، وتكون في نفس الوقت

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٣١.

لازمة وأساسية لتفسير انتقال الكيان الفعلى أى تفسير تغيره وعمليته. ومن هنا فإن وايتهد يقرر أن تلك القدرة التى تؤثر فى الانتقال أو العملية متضمنة بل هى فى صميم وجود الكيان الفعلى افليس ثمة قدرة خالية تماما وعارية عن الحادثات الفعلية (الكيانات الفعلية)، إن الوجود الفعلى يتضمن تلك القدرة، (١).

ومن ثم فإن العملية المكونة للصيرورة ولوجود الكيان الفعلى هى عملية فاعلية : أى عملية تتضمن الفعل. وعلى هذا النحو يتضمن الوجود الفعلى لكل من القدرة والفعل أو بمعنى أدق إن الوجود الفعلى يتكون بواسطة فعل وقدرة الكيانات الفعلية.

يمكننا أن ندرك الآن أن وايتهد كان موقفا في اختياره للمصطلح المتحدمه. فهو قد استخدم هذا المصطلح لكى يدل به على المعنى الدقيق الذي استخدمه. كلمة Actual (فعلى) مشتقة من الكلمة اللاتينية Actual (فعلى). ومن هنا نستطيع أن نفهم أن ماهو فعلى عند وايتهد هو فاعل يقوم بفعل، بمعنى آخر إن الفعل والقدرة هي التي نؤلف الوجود بالمعنى الكامل للكلمة.

<sup>(</sup>١) وايتهد: مغامرات الأفكار، ص ٣٧٩.

## ذرية الصيرورة

إن رفض وايتهد التصور الكيان الفعلى كموضوع ثابت التغير، كان رفضاً متفقا مع أسس نظريته. ونستطيع الآن أن نتقدم خطوة أخرى فى فهم نظرية وايتهد فنجده يقول: «إن الكيان الفعلى هو عملية ولا يمكن أن نصفه فى ضوء مور فولوچيا (\*) المادة، (۱). وهذا يعنى أن الكيان الفعلى لا يمكن تصوره كنوع من المادة التى توجد وجودا مسبقا عن العملية ، فعملية الصيرورة تؤلف وجود الكيان الفعلى، وليس ثمة وجود بمعزل عن عملية الصيررة، وبالمثل فإن الكيان الفعلى لا يمكن تصوره على أنه يأتى إلى الوجود بواسطة العملية، وأننا نحصل على كيان كامل قادر على أنه موجود كامل؛ لأن هذا يقودنا إلى تصور مضمر للكيان الفعلى فى ضوء مور فولوچيا المادة، إن نظرية وايتهد ترى أن الكيان الفعلى يكون أو يوجد فقط فى الصيرورة.

<sup>(\*)</sup> المورفولوچيا فرع من علم الأحياء يبحث في شكل الحيوانات والنبات وبنينها، أو هو دراسة لبنية الأشياء وشكلها أو تشكلها بصورة استانيكية.

<sup>(</sup>١) وإيتهد : العماية والواقع، ص ٥٠.

ولقد أثيرت حول هذه النقطة الكثير من الانتقادات؛ فإذا تصورنا العملية على هذا النحو أى باعتبارها أساسية للكيان الفعلى، أفلا يعنى هذا أننا ننكر فكرة الثبات كخاصية للكيان الفعلى ؟ وإذا كان الأمر كذلك ألا نقع فى نفس الصعوبات ونفس نقاط الضعف التى وقعت فيها تلك النظريات التى رفضها وايتهد نفسه ؟ وبمعنى آخر أليس إعتبارنا للكيان الفعلى كعملية تغير، يعنى أن ذلك الإعتبار لا يتوافق نسقيا وترابطيا مع عامل الثبات أو اللاتغير على الإطلاق ؟ وإننا إذا أنكرنا فكرة الثبات أو اللاتغير، ألا يعنى هذا أننا أنكرنا أيضا أفكار : الفردية والوحدة والإكتفاء الذاتى والذاتية ؟ إن عملية الصيرورة أيضا أفكار : الفردية والوحدة والإكتفاء الذاتى والذاتية والرحدة والإكتفاء الذاتى . وبمعنى آخر كيف يمكن أن تكون هناك فردية لها وحدتها وذاتيتها إذا لم يكن هناك إلا صيرورة متصلة ؟ وكيف يمكن أن تكون هناك وحدة كاملة لم يكن هناك إلا صيرورة متصلة ؟ وكيف يمكن أن تكون نهاية ناك العملية ؟ وألا لأى كيان فعلى فى مثل ناك الصيرورة ؟ ومتي تكون نهاية ناك العملية ؟ وألا

إن وايتهد يسلم بصحة تلك الانتقادات كلها، ويعتقد بصدق تلك الاعتراضات ومع ذلك نجده يقرر أن صحة وصدق تلك الاعتراضات والانتقادات مرتبطة بتصورنا للعملية على أنها عملية متصلة من نوع السيلان الهيراقليطى. وإن اعتبار العملية على أنها متصلة لا يمثل مذهبه. بل إنه يقرر على العكس من هذا أن تصور «عملية متصلة، هو تصور خاطئ سواء أكان هذا التصور يشير إلى عملية صيرورية متصلة، أو يشير إلى أى نوع من الإنتقال المتصل (كانتقال الزمان خلال آنات لا متناهية متصلة) وسبب خطأ هذا التصور هو أن «العملية المتصلة» تتضمن فكرتين لا فكرة واحدة: الفكرة الأولى هي فكرة الإتصال والفكرة الثانية هي فكرة العملية Process (أو الصيرورة Becoming)، وحينما نربط بين هاتين الفكرتين في تصور واحد، فإن هذا التصور يربكنا ويتأدى بنا إلى الخلط والخطأ. إن ما نقرره الآن عن خطأ هذا التصور الذي يجمع بين تلك الفكرتين، إنما أصبح أمرا واضحا منذ

وقت زينون الإيلى. يقول وايتهد ،إن ذلك أصبح واضحا من وقت تطبيق زينون لمنهجه؛ فإذا كانت الصيرورة عملية متصلة، فإنها تشير إلى الإحلال المستمر والمتصل لجزء أو فعل من الصيرورة محل الآخر. وطبقا لهذا فلو نظرنا في أي جزئين لو كانا B, A ، فإن B حسب هذا التصور لابد أن تحل محل A . ولكن الأمر ليس على هذا النحو من البساطة الذي نشاهد فيه B تحل محل A ، إذ أن B ذاتها تكون في عملية صيرورة، ومعنى هذا أن جزءاً متقدما من B هو الذي يحل أولا محل A ، وذلك قبل أن يحل جزء آخر من B محل جزء آخر من A ، لكن إذا نظرنا في هذا الجزء المتقدم من B ، فإننا سنجده منسما إلى مالا نهاية، وكذلك الأمر بالنسبة لأول جزء من A يحل محله أول جزء من B . إنه ينقسم أيضا إلى مالا نهاية . ومعنى هذا أننا نجد أنفسنا أمام صعوبة عاتية (فلا انتقال ولا حركة) . ومن ثم فإن الإحلال لا يمكن أن يكون تبديا متصلا أو مستمرا للمتصل Continuum ، (۱) . وهكذا يبدو من تطبيق زينون (\*) . أن تصور العملية باعتبارها ،صيرورة متصلة ، أو عملية متصلة هو زينون (\*) . أن تصور العملية باعتبارها ،صيرورة متصلة ، أو عملية متصلة هو

<sup>(</sup>١) أنظر :

أ – وايتهد : العملية والواقع، ص ٩٤.

ب - وأيتهد : العلم والعالم الحديث ص ص ١٥٧ - ١٦٠ .

<sup>(\*)</sup> أراد زينون ( 29 - 20 ق.م) أن يدافع عن مذهب الوجود الواحد الثابت الساكن الذى نادى به أستاذه بارمديدس؛ قدافع عنه بمنهج يسمى منهج الخلف، وهو يعقوم على إثبات عدم صحة التعدد والحركة، ومادام قد ثبت عدم صحتهما، فإن هذا يعنى عنده صحة الوحدة والثبات. أما حجج زينون ضد التعدد فهى:

١ - الحجة الأولى خاصة بالمقدار، وفيها يقول زينون أنه إذا كان الوجود متعدداً، فمعنى هذا أنه مكون من وحدات وهذه الوحدات بدورها إما أنها وحدات نهائية أو أنها تنحل إلى وحدات نهائية. وهذه الوحدات النهائية لا تنقسم . والآن؛ فإن مالا يقسم ليس له مقدار، وعلى هذا فإن كان ليس له مقدار فإنه إذا أصنيف إليه شئ أو نقص منه فإنه لا يؤثر شيئا، والشئ الذى إذا أصنيف أو إذا انتزع لا يؤثر، هو لا شئ. ومعنى هذا فى النهاية أنه إذا كان هذا الوجود متعددا فهو مكون من وحدات هى لا شئ، فالوجود إذن سيكون متناهيا فى الصغر. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، إذا قلنا أن للوجود مقدارا فمعنى هذا أنه لايد لنا أن نصيف أو نسب إلى الوحدات مقدارا ؟ فإذا كان لكل وحدة مقدار؛ فإن الوحدة الواحدة الواحدة مقدار؛ فإن الوحدة الواحدة المناهدة المناه

\_\_\_\_

تتميز من الرحدة الأخرى بوجود شئ مميز، وإلا لكان الائتان شيئا واحدا وهذا الشئ المميز هو مقدار، ما دمنا قد قلنا أنه لكى يكون وجود فلابد أن يكون ثمت مقدار وعلى هذا فإنه يكون بين الوحدة والوحدة وحدة ثالثة، وهذه الوحدة الثالثة ذات المقدار بينها وبين كل من الوحدنين الآخريتين مقدار كذلك، وهكذا إلى مالا نهاية.. ومعنى هذا أن الوجود سيكون كبيرا كبرا لا متناهيا ومن هنا نرى أننا إذا قلنا بأن الوجود متعدد، فإننا ننتهى إلى نتيجتين متناقضتين، وإذا كان الحال كذلك، فالمقدمة الأولى باطلة، فالوجود إذن ليس متعددا بل هو واحد.

Y – الحجة الثانية تقوم على العدد. وهنا يقول زينون إنه إذا كان الوجود متعددا، فمعنى هذا أنه لا محدود عددا ومحدود عددا في آن واحد؛ فهو محدود عددا لأنه مهما يكن به من مقدار، فلن يكون أكثر مما هو به، فهو إذا محدود. وهو أيضا لا محدود من ناحية العدد، لأنه لكى تقف بين الوحدة والوحدة، فلابد من أن نتصور وحدة ثالثة وهكذا بإستمرار إلى مالا نهاية وعلى هذا فإنه غير محدود من ناحية العدد وهكذا ننتهى، كما أنتهينا في الحجة الأولى، إلى نتيجتين متناقضتين. وهذا يؤخذ ببطلان المقدمة وعلى هذا فالوجود واحد.

٣ – الحجة الثالثة تقوم على المكان. يقول زينون أنه إذا كان كل ماهو موجود فهو فى مكان، فإن هذا المكان الجديد سيكون على ماهر ممكن الجديد سيكون بدوره موجودا فى مكان. وهذا المكان الجديد سيكون بدوره موجودا فى مكان. وهكذا إلى مالا نهاية. ولما كان ذلك غير ممكن التصور، فالمقدمة إذن باطلة، ومعنى هذا فإن الوجود وإحد،

٤ - تقوم الحجة الرابعة على فكرة التأثير الكلى: ويضرب مثلا لذلك، فيقول: أننا إذا أتينا بكليلة من القمح ثم بذرناها، فإنها ستحدث صوبًا، ولكن إذا أخذنا الحبة الواحدة من القمح ويذربًاها وجدنا أنها لا تحدث صوبًا. فكيف تسنى إذن أن ينتج شئ كلى، هو الصوت هنا، من أشياء لا وجود لها ؟ معنى هذا أنه إذا كانت الأشياء متعددة فلا يمكن أن تنتج شيئا، مادامت الوحدات المتركبة منها لا تنتج وحدها شيئا. وعلى هذا فالوجود، مادام ينتج شيئا، فإنه ليس متعددا، وإذن فالوجود وإحد، أما حجج زينون ضد الحركة فهى:

١ – تقوم الحجة الأولى على القسمة الثنائية، وتتلخص في أنه لكى يمر جسم من مكان إلى مكان، فلابد أن يمر بكل الأجزاء الموجودة بين كل من المكانين، وعلى هذا النحو فإن قام جسم من .(أ) لكى يصل إلى (ب) فإنه لابد له، لكى يصل إلى هدفه وهو (ب) أن يمر أولا بالمنتصف، وليكن (ج) لكن قبل أن يصل إلى (ج) لابد أيضا أن يكون قد مر بمنتصف المنتصف (وليكن د) ولكن يجب أيضا قبل أن يمر بالنقطة (د) أن يمر بالمنتصف.. وهكذا إلى مالا نهاية. فإذا كان التقسيم لا متناهيا، فإنه لا يمكن أن يصل إلى النقطة المطلوبة وهي (ب) إلا إذا مر بما لا نهاية له من النقاط. ولما كان من

جزء من A، ولكن بما أن B ذاتها هي عملية متصلة لذا فإن الجزء الأول من B يحل قبل الجزء الثالث.. وهكذا لل يحل قبل الجزء الثالث.. وهكذا إلى مالا نهاية. ومن هذا فإن أى جزء يتكشف لنا من B يفترض وجود جزء آخر، وهذا الجزء الآخر يسبقه جزء آخر وهكذا إلى مالانهاية. ونفس الأمر ينطبق أيضا على A.

ويؤكد وايتهد أن ذلك التراجع الفاسد أو الباطل إلى مالاتهاية يشير إلى وجود شئ خاطئ في تصور «اتصال الصيرورة». وأن هذا الخطأ إنما ينجم في الحقيقة عن الربط بين فكرة «الاتصال» وفكرة «الصيرورة». فنحن إذا ربطنا بينهما في «صيرورة متصلة» أو في «اتصال في الصيرورة» فإن الناتج سيكون تراجعاً أو ارتدادا باطلا أو فاسدا. ومن ثم فلايد من عدم الربط بينهما، وهذا

غير الممكن أن يقطع شئ ما لا نهاية له من النقط في زمن متناه ، فمعنى هذا أنه لا يمكن مطلقا أن يصل الشئ إلى هدفه ، أى أنه لا يمكن للحركة في المكان أن تكون ، فعلى أساس المقدمة الأولى الحركة إذا غير ممكنة .

٧ - يقول زينون إن أسرع العدائين لا يمكن أن يلحق بأشد الأشياء بطءاً، إذا كان هذا الشئ سابقا له بأى مقدار من المسافة. فإذا تصورنا مثلاً أن أخيل، وهو العداء السريم، موجود ما، وأن هذاك سلحفاة تسبقه بمسافة - فإنه إذا بدأ الاثنان فى الحركة فى ساعة واحدة، فإن أخيل لن يلحق بالسلحفاة، وذلك لأنه لكى يلحق بها، لابد له أولا أن يقطع المسافة بينه وبين السلحفاة، وقبل أن يقطع هذه المسافة عليه أن يقطع نصف هذه المسافة أولا ثم وبين السلحفاة، وقبل أن يقطع هذه المسافة أولا ثم إن سفيا النصف) وهكذا بإستمرار. ومادام المكان منقسما إلى مالا نهاية له من الأقسام فلن يستطيع أخيل إذن أن يلحق بالسلحفاة .. والحجتان السابقتان تقومان على أن المكان منقسم إلى مالانهاية له من الأقسام وهناك حجة أخرى تسمى بحجة السهم، فلو تصورنا أن سهما انطلق من نقطة ما لكى يصل إلى نقطة أخرى، فإن هذا السهم لن يتحرك، وذلك لأنه من المعروف أن الشئ فى الآن، ولما كان السهم فى انطلاقه يوجد دائما فى آن، ولما كان وجوده فى الآن وجودا ساكنا، فإنه سيكون ساكنا باستمرار. ومعنى هذا أن السهم لا يتحرك، أى أنه فى الآن عبد الرحمن بدوى: ربيع الفكر اليونانى - الطبعة الرابعة - ص مى ١٢٧ - فى ذلك : عبد الرحمن بدوى: ربيع الفكر اليونانى - الطبعة الرابعة - ص مى ١٢٧ - فى ذلك : عبد الرحمن بدوى: ربيع الفكر اليونانى - الطبعة الرابعة - ص مى ١٢٧ -

يؤدى بالتالى إلى أنه ليس ثمة صيرورة متصلة. وكما قال وايتهد فى تعقيبه الختامى على تلك النقطة ،أننا إذا قبلنا وجود شئ يصير، فانه لمن السهل علينا أن نبرهن بمنهج زينون أنه لا يوجد اتصال للصيرورة، (١).

لقد استنتج وايتهد من هذا كله نتيجة مزدوجة :

الأولسى: وهي التي تهمنا الآن - تتعلق بمشكلة الاتصال.

والشانية : وهي التي سوف نعالجها في القسم التالي وتتعلق أساسا بالصيرورة أو بالعملية بالمعنى الأساسي لها.

والواقع أبنا لا نملك وصفا واضحا عن عامل الاتصال، إلا أننا نعام أن العالم يقدم لنا نفسه (من بعض النواحي) على أنه واتصال ممتده Extensive وإن هذا الاتصال قد يشير إلى الديمومة Duration أو الدوام Endurance ، وفي هذا الصدد يشير وايتهد إلى أن والاتصال الممتد للعالم الفيزيقي غالبا ما يكون بحيث يعنى أن هناك اتصالا في الصيرورة، (١) . ولقد رأينا أن ديكارت لم يوافق على هذا، فلقد ذهب إلى أن الاتصال الممتد يتكون من عاملين مختلفين هما المكان والزمان، وأن الكيانات الفعلية تمتد عنده مكانيا (في نوع منها على الأقل وتحت فعل جوهر الامتداد المؤسس للعالم كملاء مكانى ممتد) ولكنها لا تمتد زمانيا؛ إذ الامتداد الزماني يمكن تحليله إلى تعاقب لحظى مميز للكيانات المخلوقة الممتدة مكانيا. فعالم ديكارت إذن كم حوهر متصل مكانيا (في نوع منها غير متصل زمانيا المخلوقة الممتدة مكانيا. لأن كل جوهر

<sup>(</sup>١) وايتهد: العماية والواقع، ص ٤٨.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع ، ص ٤٨ .

<sup>(\*)</sup> ذهب ديكارت إلى أن الفكرة الواضحة المتميزة التى يمكن أن تكون لذا عن العالم المادى هي فكرة «الإمتداد» ومعها فكرة «الحركة» التى هي عبارة عن تعاقب الأمكنة التي يشغلها جسم واحد في الامتداد؛ إذ لا نتصور الحركة من غير امتداد والعالم عند ديكارت ملاء كامل. وحركات الأجسام فيه دائرية بالحلقات المغلقة، ذلك لأن الجسم الذي ينتقل من مكانه لا يمكنه أن يخترق طريقا في العلاء إلا إذا دفع أمامه أجساما أخرى، وهذه الأجسام بدورها تدفع هي أيضا أجساما غيرها وهكذا، بحيث ترتد العركة إلى النقطة التي

مخلوق أو كيان فعلى مخلوق لا يمكن أن يكون متصلا زمانيا، أى أن يكون أبديا.

أما رأى وايتهد فهو أن الكيان الفعلى يجب أن يتضمن فى ذاته ،عملية الصيرورة، وأن الكيانات الفعلية وحدات حقبية للصيرورة، يوجد فى كل حقبة منها عملية صيرورية كاملة، إلا أن كل وحدة حقبية للصيرورة إنما يتوقف نجاحها على وحدات حقبية أخرى.. ومن ثم فكل كيان يصير، يكون وحدة ميرورية يمكن تمييزها عن الوحدات الحقبية الأخرى.

وهذا يعنى أن ليس ثمة عملية صيرورية واحدة متصلة، فالاتصال هنا تتخلله وحدات صيرورية كاملة ومميزة، ويتكون عنها. أو كما ذكر وايتهد هناك صيرورة للاتصال الاتصال Becomig of continuity، (أى أن الاتصال يصير بواسطة تعاقب وحدات حقبية صيرورية) ولكن ليس هناك اتصالا للصيرورة (١).

إن اعملية الصيرورة عند وايتهد هي صيرورة الكيانات الفعلية الفردية التي تصير في وحدات حقبية صيرورية اوتعاقب تلك الكيانات هو ما يكون والاتصال الممتد اللعالم، أو كما يقول وايتهد: «إن الحادثات الفعلية (الكيانات الفعلية) هي المخلوقات التي تصير، وهذه يتكون عنها باستمرار العالم الممتد (٢). لكن من المهم أن نلاحظ أن العالم المتصل الامتداد، ليس هو

بدأت منها (أنظر: عثمان أمين - ديكارت - الطبعة الخامسة ١٩٦٥ - ص ص ٢٢٣ - ٢٢٦) ويتضح من ذلك أن عالم ديكارت متصل مكانيا، فهو ملاء كامل، والحركة فيه دائرية ومتصلة، أما من حيث الزمان فواضح أنه لا اتصال زماني، لأن الجوهر المخلوق بعيش في وحدة غير متصلة، أو لفترة محددة فقط، وأنظر أيضا:

A - Bordas - Dumoulin : Le Cartéianisme ou la Véritable rénovation des Science, 2. Vols Paris 1842.

B - Louis Dimier; Dascartes, Paris 1918.

C - Keeling: S.V.: Descartes, London 1934.

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٤٨.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، نفس الموضع.

بذاته كيانا فعليا أو جوهرا، كما أن «الاتصال الممتد، ليس خاصية ميتافيزيقية للكيان الفعلى أو الجوهر، إن هذا العالم وذاك الاتصال إنما يتكونان من تعاقب الكيانات الفعلية أو الجواهر، كما أن الامتداد المتصل ليس إلا خاصية لكيان مجرد وليس لكيان فعلى.

والتفسير السابق يقودنا إلى اعتبار أن «الحقيقة الميتافيزيقية القصوى إنما تتمثل فيما هو ذرى؛ فالمخلوقات ذاتها ذرية، (١). وهذا يعنى أننا إذا سلمنا بالمذهب الذى يرى بأن ما هو فعلى صيروى، وإذا علمنا أنه ليس ثمة عملية ممتدة ومتصلة للصيرورة، فإن ما هو فعلى يجب أن يكون ذريا Atomic يقوم في وحدات حقبية صيرورية، كما أن تعاقب الكيانات الفعلية الذرية، ينجم عنه ما يسمى بالاتصال الممتد للعالم.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، نفس الموضع.

## - ۱۲ -النظرية الحقبية لما هو فعلى

علينا أن نفحص الآن النتيجة الثانية التى استنتجها وايتهد من تطبيق منهج زينون، والتى تتعلق كما رأينا بالصيرورة أو العملية بالمعنى الأساسى لها. ويقرر وايتهد فى هذا الصدد أنه تطبيقا لمنهج زينون تأدى به الأمر إلى أنه ليس هناك عملية متصلة للصيرورة تعبر عن فكرة تسلسل لا ينقطع أو تعلق اتصاليته. ولقد رأينا أننا قد تمكننا من مواجهة مشكلة اتصال الصيرورة هذه عن طريق رفضنا لأن يكون الاتصال خاصية ميتافيزيقية للكيان الفعلى. ورؤيتنا للاتصال على أنه مجرد تأليف لتعاقب كيانات فعلية ذرية تكون هى بمثابة عمليات صيرورية فى حد ذاتها. وهذا يعنى أن التعاقب لا نعلق ولا تنقطع هو الذى يكون متصللاً أو يكون بمثابة سلسلة متصلة لا نعلق ولا تنقطع استمراريتها، لكن هذا التعاقب لا يمكن أن يؤلف فى ذاته صيرورة أى كيان فعلى؛ إذ أن هذاك حقبات صيرورية ـ لا صيرورة متصلة ـ للكيانات الفعلية التى تتساند باستمرار وباتصال.

ولكن السوال الذى يجب أن يثار الآن هو: ألا يكون وايتهد بنظريته عن العمليات الذرية للصيرورة، والتى تحل محل بعضها باستمرار ـ داخل دورتها الصيرورية وبالنسبة إلى ما قبلها وبعدها من حقبات ـ لم يفعل أكثر من تجنب مشكلة الصيرورة الواحدة المتصلة بدلا من أن يحلها؛ وألا يمكن أن ينسحب نقاش زينون بنفس القوة على عمليات الصيرورة المكونة للكيانات الفعلية وبنفس الطريقة التى طبقها زينون على عملية اتصال الصيرورة؛ أى إذا كان الكيان الفعلى هو عملية صيرورية، ألا نواجه فى هذه الحالة بصعوبة التراجع أو الارتداد الفاسد أو الباطل، كما كان الأمر بالنسبة لاتصال الصيرورة ؟ وألا يتضمن ذلك أن الجزء الأخير من أى عملية ذرية صيرورية يحل محل الجزء المبكر فيها مع ما يرتبط بذلك من أننا لن نستطيع أن نحصل على البداية. ومن ثم لا يكون ثمة شئ يصير أو يأتى ويؤثر على الانتقال في عملية الصيرورة ؟

لقد اعترف وايتهد بأن نقاش زيتون قد أشار إلى مثل تلك العمليات الفردية أو الذرية أو الحقبية للصيرورة ولكن هذا النقاش ذاته قد تضمن للأسف أمرأ يعتبر كارثة فكرية فى حد ذاته؛ وهذا الأمر يتعلق بتصور زينون لتلك العمليات باعتبار كل عملية منها تعبر عن إحلال متصل لفعل أو جزء محل فعل أو آخر من الصيرورة ومن ثم ينطبق على كل عملية صيرورية من تلك العمليات، ما سبق وأن انطبق على عملية الصيرورة باعتبارها عملية واحدة متصلة باستمرار . وفى هذا يقول وايتهد وإن نقاش زينون، رغم أنه مفيد، إلا أنه أظهر تناقضاً بين المقدمتين التاليتين :

١ -- أن في الصيرورة شيئاً يصير أو يأتي.

٢ – وأن كل فعل صيرورى يمكن تقسيمه إلى أقسام مبكرة ومتأخرة. وهذه بدورها تكون أفعالا للصيرورة، (١). لا شك أن وايتهد استفاد من نقاش زينون

<sup>(</sup>١) وايتهد، العملية والواقع، ص ٩٤.

فى هدم أو إنكار اتصال الصيرورة، وكان عليه بعد ذلك - أى بعد ما قرره بناءا على موقفه هذا من وجود عمليات صيرورية حقبية، لا عملية صيرورية واحدة - أن يحاول القضاء على التناقض الذى ظهر فى نقاش زينون نفسه، نتيجة لتسليمه بمقدمتين متناقضتين، وهنا نجد وايتهد يعلن بقوة أن هذا التناقض يمكن أن يرتفع تماماً إذا ما سلمنا بالمقدمة الأولى، ورفضنا المقدمة الثانية، كأنها لم تكن، وبديهى أن رفضنا للمقدمة الثانية سوف يعنى حينئذ: أن هناك صيرورة هى صيرورة الكائن الفعلى (وهذا هو بالضبط ما يجب أن نسلم به كما رأينا فى القسم السابق) لكننا لا يمكن أن نعتبر تلك العملية الذرية للصيرورة على أنها إحلال متصل للأفعال أو الأجزاء الصيرورية.

ويمضى وايتهد فى تحليله فيذكر، أن الفرض الذرى ليس هو المسلول عن تلك الصعوبة، ولكن تلك الصعوبة نجمت أساساً عن فكرة الإتصال الذى يتخلل الكيان الفعلى الذرى، وأن هذه الصعوبة يمكن حلها إذا سلمنا ،بأن فى كل فعل للصيررة توجد صيرورة لشئ يتسم بالإمتداد الزمانى، لكن الفعل ذاته ليس ممتداً، أى لا ينقسم إلى أفعال صيرورية سابقة ولاحقة تتوافق مع القسمة الممتدة للشئ الذى يصير، (١).

إن وايتهد يرى باختصار اأن كل مخلوق معتد، ولكن أفعال العخلوق الصيرورية ليست معتدة، (١). فالكيان الفعلى معتد لأن صيرورته تتضعن كما زمانيا معتداً معتداً extended temporal quantum فعملية الصيرورة تتضعن إنتقالا، والإنتقال يتضعن إعتداداً زمانيا، لكن ألا يشير الإعتداد إلى القسعة ؟ يجيب وايتهد هنا إذا كان الشئ قابلا للقسعة، فلا يعنى هذا أن من الصرورى أن نقسمه وهذا يعنى أن فعل العملية يمكن أن يكون كلا غير منقسم. وأن ما هو فعلى يمكن أن يأتى كوحدة كلية غير منقسمة (رغم تعكننا من قسمته بسبب كونه معتداً)، ولعل هذا هو ما عناه وايتهد حينما قال اإن الإمتداد

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٩٦.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، نفس الموصع.

يصير، لكن الصيرورة ذاتها غير معددة (۱). وهذا يعنى أن الكيان الفعلى الذرى ممتد بفضل عمليته الصيرورية، ولكن عملية الصيرورة ذاتها هى كل حقبى واحد، ومن ثم لا تنقسم إلى أفعال صيرورية سابقة ولاحقة تحل محل بعضها البعض في إتصال وباستمرار.

ومن ثم فلقد انتهى وايتهد إلى أننا إذا قبلنا تصور العملية أو الصيرورة، فيجب أن ثعتبر أولا أن كل ما هو فعلى هو حقبى، فهذا هو المطلب الأساسى الذي يمكننا من مواجهة الصعوبة التي طرحها زينون،

<sup>(</sup>۱) نض أهرجع، س٤٨.

### -14-

### صيرورة وفساد الكيانات الفعلية : توفيق وايتهد بين التغير والثبات

لقد مكنت النظرية الصيرورية الحقبية للكيانات الفعلية - مكنت - وايتهد من أن يحل بطريقة متناسقة ومترابطة مشكلة الثبات والتغير أو مشكلة الوجود والصيرورة . إقد كان الإتجاه الكلاسيكي القديم يميل إلى إنكار تغير الجوهر أو الكيان الفعلي، وذلك بسبب صعوبة التوفيق بين هذا التغير وبين أفكار الفردية والوحدة والذاتية والاكتفاء الذاتي. ولقد أدى هذا إلى تمسك هذا الإتجاه بالثبات أو اللاتغير واعتباره خاصية أساسية للجوهر أو للكيان الفعلي، وساد بين الفلاسفة فكرة أن الجوهر لكي يكون أو يوجد، فيجب أن يكون على ماهو عليه، أي يكون ثابتاً، ولكي يتغير فإن هذا يعني توقفه عن أن يوجد أو أن يكون على ماهو عليه؛ إذ أن تغيره بعد اشارة واضحة لصيرورته إلى شئ يكون على ماهو الخر، ومن هنا قرروا أن ذاتية الكيان الفعلي تتطلب ثباته، ومن ثم فيجب إبعاد التغير عنه، واعتبار أن هذا التغير لا يمثل خاصية أساسية للكيان الفعلي أو الجوهر (١) .

<sup>(1)</sup> نفس المرجع، نفس الموضع.

ويرى وايتهد خلافا لهذا الرأى الكلاسيكى، أننا يمكن أن نعتبر التغير خاصية أساسية للكيان الفعلى، بشرط أن نحدد ما نقصده بالضبط بكلمة تغير، وألا ننزلق فى غموض ومتاهات تلك الكلمة، فإذا ما تم لنا ذلك فيجب أن نضع فى إعتبارنا أن صورة التغير التى يمكن أن نقبلها كخاصية ميتافيزيقية للكيان الفعلى، يجب أن تتوافق، وأن تستمد ضروريتها من أفكار الفردية، والوحدة، والذاتية، والإكتفاء الذاتى، والثبات أو اللاتغير.

إن كلمة تغير تعنى في معناها العام: التبدل والتحول والانتقال أو المرور من حالة أوظرف إلى حالة أو ظرف آخر يختلف عن الأول. وهناك أنواع مختلفة من التغير تعتمد على ما يشير إليه الوجود؛ فنوع التغير المتضمن في فعل أو عملية الصيرورة، يختلف تماماً عن نوع التغير الذي يتكون عن الإنتقال من كيان فعلى إلى كيان فعلى آخر. أن نوع التغير الذي يمكن أن نقبله كخاصية ميتافيزيقية قصوى للجوهر أو للكيان الفعلى هو ذلك النوع المتمثل في والعملية والمكون والمكون والمكون والمكون والمنان الفعلى أن فكرة يصير أو يأتي إلى الوجود شئ أو كيان فعلى. ولقد رأينا فيما سبق أن فكرة العملية وفكرة الوجود يتضمنان بعضهما البعض، كما بينا أنه لا يمكن أن نجد عملية مجردة عن أو خالية من الفرديات أو الذاتيات وهذا هو مالخصه وايتهد عملية ما العملية والفردية يتطلبان بعضهما البعض، (١).

ويجب أن نتصور الوحدة الفردية للعملية، والتي تمثل صيرورة الكيان الفعلى ككل حقبى؛ فما هو فعلى يصير أو يأتى ككل، ويكون أو يوجد ككل صيرورى وما هو اكل غير منقسم، هى الفردية، وما هو اكل، هو ما يكون على ما يكون عليه.. وهوالذاتية.. والوحدة.. والموجود الحاصل على إكتفاء ذاتى، وما يتصور ككل وكوحدة حقبية هو الثبات أو اللاتغير. وهذا يعنى أن

<sup>(</sup>١) وايتهد : أنماط الفكر، ص ١٣٣.

ماهو فعلى يصير أو يأتى إلى الوجود ككل حقبى، ويتغير بمعنى العملية المتضمنة فى صيرورته، وعند نهاية أو اكتمال عمليته الصيرورية، يتوقف عن أن يوجد بالضرورة.. أى يفسد. ومن ثم فإن مذهب وايتهد يرى أن والكيانات الفعلية تفسد ولكنها لا تتغير، إنها تكون ما تكون عليه، (١).

إن التغير الذى ينكره وايتهد هنا كخاصية ميتافيزيقية لماهو فعلى هو التغير بالمعنى الثانى المذكور آنفاً، أى ذلك الذى يشير إلى الإنتقال من كيان فعلى إلى كيان فعلى آخر، إنه التغير الذى يؤلف الحركة أو الدوام، إنه التغير الذى لا يتوافق مع : الفردية والذاتية والذى نستبعده ولا نعتبره كخاصية ميتافيزيقية حينما نقرر أن الكيان الفعلى ثابت أو لا متغير.

وعلى هذا النحو يمكن إشباع مطلب الثبات أو اللاتغير كخاصية ميتافيزيقية بواسطة نظرية الصيرورة الحقبية Epochal becoming وفساد ماهو فعلى، ومن خلال إنكار وايتهد التغير بالمعنى الثانى يقول وايتهد ،إن الكيان الفعلى لا يتحرك أبداً، إنه يكون حيث يكون، وما يكون، (٢). لقد تمكن وايتهد حينما أقام التمييزاتُ الدقيقة بين المعانى المختلفة للتغير وللثبات من أن يقبل فى نظريته، وبتوافق تام، كلا من التغير واللاتغير كخاصيتين ميتافيزيقيتين نهائيتين للكيانات الفعلية، فالكيان الفعلى عنده ثابت ولكنه غير دائم، وهو متغير بمعنى الصيرورة ولكنه غير متحرك، (٢).

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٤٨.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ١٠١.

<sup>(</sup>٣) وايتهد: أنماط الفكر، ص ٧٣.



# الفصل السادس مقولة النهائي

١٤ - مقولة النهائي : (الخالقية).

١٥ – معية نمو الكيانات الفعلية.



#### مقولة النهائي؛ «الخالقية»

رأينا أن العملية وليس الثبات المتضمن في مادة دائمة استانيكية Static هي الخاصية الميتافيزيقية الرئيسية الكيان الفعلى.. وأن تلك العملية نتكون من أفعال صيرورية Acts of Becoing تصير وفقها الكيانات الفعلية الفردية، أي تأتى إلى الوجود. كما رأينا أن العملية بالمعنى المشتق والتي تعنى إحلال دور صعيروري محل آخر إنما مبعثها تصورنا لفساد الكيانات الفعلية الفردية، معنى هذا أننا نجد أنفسنا أمام نوعين من العملية: والعملية الماكروسكوبية Macroscopic Process والعملية الميكرسكوبية الماكروسكوبية تتمثل العملية الماكروسكوبية في الانتقال من كيان فعلى محقق إلى كيان فعلى محقق آخر، أما العملية المكيرسكوبية فتتمثل في الفعل الرامي إلى تحقيق كيان فعلى، (۱). وسوف نأخذ بعين الاعتبار هذين المعنيين للعملية. لكن لما كانت العملية الميكروسكوبية أساسية ومشيرة إلى خاصية رئيسية من الخواص الميتافزيقية، فإننا يجب حين الفحص عن طبيعة الكيان الفعلى من حيث هو الميتافزيقية، أن نركز على هذا النوع تركيزاً كبيراً.

<sup>(</sup>١) وإينهد: العملية الواقع، ص ٣٠٤.

إن العماية الميكروسكوبية هي فعل صيروري للكيان الفعلي، ومعنى هذا أن كل كيان فعلى يصير، أو يأتي إلى الوجود، بواسطة فاعليته الخاصة، أي خلق نفسه خلقاً ذاتياً Self - Greation ، فوايتهد إذن من أنصار مذهب الخلق الذاتي. هذا ولقد رأينا من قبل، ونحن نناقش مذهب ديكارت، في هذه النقطة، أن الكيان الفعلى (أو الجوهر المخلوق عند يكارت) يوجد بفضل فاعليته الخاصة، ومن ثم فهو يكون علة ذاته من ناحية، وكيانا فعليا صحيحاً من جهة أخرى، والصحة هنا تعني عدم افتقار الجوهر أو الكيان الفعلي إلى علة خارجية تأتيه من كيان فعلى آخر أو جوهر مخلوق آخر، ويرى وايتهد أننا لا نجد هذا الأمر عند دبكارت فحسب، إذ أننا نجد وأن كل فلسفة تعترف يصورة أو بأخرى بتلك العملية الذاتية على أنها واقعة فعلية نهائية، (١). وهذا الأمر واضح تماما في النظريات الواحدية، وفي أغلب النظريات التعددية أبضاء حبث نجد هذه الأخيرة تحتفظ بالعلية الذاتية ضمنا أو صراحة، وتعتبرها كواقعة فعلية نهائية، لكنها وقعت في مشكلة «اللاترابط، وفي أغلوطة التموضع الزائف للعيني، حين اعتبرت كيانات أخرى على أنها كيانات فعلية، وكان الطريق الوحيد أمام تلك النظريات التعددية، والذي كان عليها أن تتبعه، كي تتفادي تلك الصعوبات، هو أن تنسب العلية الذاتية إلى كل الكيانات الفعلية. ولعل هذا هو الذي عناه وايتهد حين قال: أن العملية وهي الخاصية الميتافيزيقية العامة لكل الكيانات الفعلية هي في أساسها فعل خلق ذاتي.

تصور وايتهد إذن تعددية الكيانات الفعلية على نحو يكون فيه وجود كل كيان فعلى منها اكعملية صيرورية، تتحقق بفضل الفاعلية الذاتية الخاصة بكل كيان فعلى؛ فكل كيان فعلى فردى يوجد اكفعل صيرورى، وكل فعل صيرورى يصير أو يأتى إلى الوجود بكيان فعلى فردى. هذا يعنى أن كل

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٢٠٩.

كيان فعلى إنما يوجد بفضل فاعليته الكائنة فيه، وتلك الفاعلية الخاصة بكل كيان فعلى، تكون عامة وتنطبق على الجميع. وعلى هذا النحو يصير كل كيان فعلى فرديا، بفضل فاعليته الخاصة، والتي هي عامة بالنسبة إلى كل كيان فعلى، بمعنى أن الفاعلية تكون عامة بالنسبة إلى جميع الكيانات الفعلية، وتكون خاصة بالنسبة إلى كل كيان فعلى فردى.

إن هذا يتضمن، أنه خارج فاعلية الكيانات الفردية الفعلية لا توجد أى فاعلية. فإذا أردنا فهما أكبر لهذا الذي نقوله فيمكن لنا أن ننظر في النظرية المادية مثلا، وحين يتم ذلك فإننا سنرى أن النظرية المادية تقرر عدم وجود مادة منفصلة عن الكيانات الفعلية الفردية؛ فكل كيان مادى يوجد كمادة عامة مخصصة في جزئي منفرد، بمعنى أن المادة تكون - من وجهة نظر النظرية المادية - عامة بالنسبة إلى ما هو فعلى من أفراد وجزئيات. ومهما يكن من الاختلافات التي يمكن أن تقوم بين هذه الأفراد أو تلك الجزئيات، فإنها تتفق جميعاً في خاصيتها الوجودية العامة من حيث هي مادية. أما إذا نظرنا في نظرية أرسطو وفيما يتوافق معها من نظريات، فإنها ترى أن المادة لم تعد نظرية ألسطو وفيما يتوافق معها من نظريات، فإنها ترى أن المادة لم تعد أصبحت مادة قابلة لصورة Form، أو على حد تعبير أرسطو هبولي تقبل التشكل في مالا حصر له من الصور (\*).

<sup>(\*)</sup> ذكر أرسطو أن الوجود الطبيعى هو الذى يتعلق بالمادة فى الحقيقة وفى الذهن. فإننا مهما نحاول فان نستطيع أن نتصور الإنسان إلا فى لحم وعظم، وهكذا سائر الموجودات الطبيعية فى المادة التى تلائمها (يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية، ص ١٣٣). ولأجل تفسير الأجسام الطبيعة وتغيراتها يجب القول بأن المبادئ، ثلاثة فقط، ويتبين ذلك من النظر فى التغير، فإنه يقتضى أولا موضوعا يتم فيه، وثانيا كون هذا الموضوع غير معين فى نفسه، وإلا لم يكن أن يصير شيئاً آخر، وثالثا ما يعين الموضوع بعد اللاتعيين: فالأول هو الهبولى أو المادة الأولى، والثانى العدم، والثالث الصورة فقبل التغير الشئ المتغير واحد بالعدد، ولكنه يحتوى على مبدأين: أحدهما يبقى بالرغم من التغير، والآخر بحل ضده مجله، ولابد من مبدأ ثالث لإمكان التغير، هنو عدم الضد لقبول الصد الآخر بحل ضده مجله، ولابد من مبدأ ثالث لامكان التغير، هنو عدم الضد لقبول الصد الآخر

لقد قرر أرسطو على عكس أفلاطون - أن تلك الصورة لا يمكن أن تكون كيانا فعليا أو جوهرا أو Οναια . أنها ليست إلا صورة لكيان فعلى (\*).

رأى أرسطو إذن - بتعبير آخر أن الهيولى أو المادة هى النهائى الكانسة الذي يقبل الصور، أي هي تلك التي تأخذ أشكالا مختلفة، ينجم عنها في النهاية الجوهر الفردي individual Ovαια (\*\*).

وهي مبادئ بمعنى الكامة، أي أنها أولية لا مكونة من أشياء أخرى، وأنها متصادة لا مكونة بعضها من بعض، إلا أن الهيولي والصورة مبدأ الماهية، أما العدم فمبدأ بالعرض، أي أنه نقطة نهاية صورة وبداية صورة، وليس شيئا تالثا محويا في الجسم، لأن الكائن إنما يكون بإرتفاع العدم لا بوجوده. ولما كانت الهيولي موضوعا غير معين في نفسه، فهي ليست ماهية ولا كمية ولا كيفية ولا شيئا داخلا في المقولات التي هي أقسام الوجود، ولكنها قوة صرفة لا تدرك في ذاتها، إنما نضطر لوضعها، وندركها كما ندرك الخط شيئا بغير صورة، وأما الصورة فهي كمال أول لهذا الموضوع، أو فعل أول لهذه القوة، أي أنها ما يعطى الوجود بالفعل في ماهية معينة.. ولا توجد الهيولي مفارقة، ولكنها دائما متحدة بصورة (أنظر: المرجع السابق ١٣٦٦) ثم قد تعدم صورتها الأولى لكي تتخذ صورة ثانية تعدمها لتأخذ صورة ثالثة وهكذا وهذا هو ما عناه وايتهد بقوله أن الهيولي تقبل التشكل في مالا حصر له من الصور (المترجم).

(\*) يذهب أرسطو إلى أن الصورة الطبيعية لا تكون مفارقة للمادة أو الهيولى وهي في حد ذاتها ليست جوهرا، إنما الجوهرية باتحاد الصورة والهيولى، وقد قلنا الصورة الطبيعية ولم تقل الصورة بمعناها العام ولأن هناك صورة مفارقة أصلا، هي الله والعقول محركة الكواكب (لكن) ما خلا هذه الصور، فليست المعقولات قائمة بأنفسها كما ذهب إليه أفلاطون، ولكنها حالة في المادة حلول الفعل في القوة. وليست المادة متشبهة بالمقولات، أو مشاركة فيها من بعيد وبالعرض، ولكنها مقومة بها، (أنظر: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية. ص ١٣٦) وما دام الأمر كذلك فالصور عدا صور الله والعقل محركة الكواكب ليست جواهر بذاتها وإنما مجرد صور للجواهر أو صور لمادة أو هيولى، إذا اتحدت بها لنجت الجواهر الطبيعية. (المترجم).

(\*\*) الجوهر الفردى، يتكون عند أرسطو من التحاد هذين المبدأين (الهيولى والصورة) التحادا جوهريا، (فباتحادهما الجوهري) يتكون كائن واحد، من حيث أن كلا منهما ناقص في ذاته مفتقر للآخر، متمم له. فهما يتميزان بالفكر، ولا ينفصلان في الحقيقة، فلا توجد الهيولى مفارقة، لكنها دائما متحدة بصورة، وكذلك لا تقوم الصورة الطبيعية مفارقة لمادة، اللهم إلا النفس الإنسانية قبل إتصالها بالبدن، وبعد إنفصالها عنه بالموت، (أنظر: المرجم

وما دام أن المادة هي الأساس الذي يتشكل عنه كل جوهر أو كيان فعلى، فهي إذن عامة ونهائية Ultimate ولا توجد قط إلا في تفردات عينية فاذا انتقلنا الآن إلى مذهب وايتهد نجده يقرر بأن الفاعلية تكون عامة، كالمادة عند الماديين، لكنها تتخصص في كيانات فردية فعلية، كما تتخص المادة في جزئيات مادية. هذا والمبدأ الأنطولوچي يتوافق تماما مع هذا التقرير. لقد أصر وايتهد على أن «النهائي» لا يوجد إلا في أمثلة فردية، وبين أن هذا يمثل أهمية عظمي بالنسبة إلى كل نظرية فلسفية، وأن أي فكر فلسفي يجب أن يشير ضمنا أو صراحة إلى مقولة النهائي Ultimate يقول وايتهد: «يوجد في كل نظرية فلسفية «نهائي» يكون فعليا بالنسبة لأعراضه أو حوادثه. وتكون له القدرة فقط على التجسد في أعراضه أو حوادثه، وحينما ينفصل عن أعراضه أو حوادثه لا يكون فعليا،

ورغم ما قاناه سابقا عن مقولة «النهائى Ultimate» إلا أن ثمة صعوبة تواجهنا ونحن بصدد محاولة الوصول إلى تصور واضح ومتوافق عن هذه المقولة؛ ذلك أن العمليات غالبا ما تبدو على أنها فعليات وحسب، ويمكن أن نضيف إليها ـ علاوة على كونها فعليات ـ بعض الخواص العامة المميزة لها، وذلك هو بالضبط الأمر حينما تسيطر أحوال الفكر المادية؛ وما ينتج عنها من

السابق، نفس الصفحة، لمعرفة أوسع بمذهب أرسطو يمكن للقارئ أن يرجع إلى.

A - Hamlin; O.: Le Systeme d'Aristote 1920.

B - Rose, W. D.: Aristotle. 1923.

C - Sobin; L: Aristote, 1944.

D - Ravaisson; F. : Essai Sur la Metaphysique d' Aristote, 1920. وأنظر ترجمة تريكو لمؤلفات أرسطو.

<sup>1 -</sup> Metaphysique 1932.

<sup>2 -</sup> De l'Ame, 1934.

<sup>3 -</sup> De la Génération et de la Corruption, 1935.(المترجم)

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٩.

تصور افرديات دائمة enduring individuals، نبقى رغم ما يطرأ عليها مر تغيرات عرضية. ها هنا نفشل هى تقديم نفسير مناسب يفرر ال الفرديات تكون عبارة عن تخصيصات النهائى، رغم أننا نعرف أن النهائى، متضمن فى تصور العالم المادى material world وأن الفعليات المؤلفة للعالم يمكن بالتالى أن تتصور على أنها أمثلة فردية لما هو مادى،

وثمة صعوبة أخرى تظهر حينما نذهب مع بعض الفلسفات إلى تصور النهائي، على أنه فعلى Actual هي ذاته، أو أنه أكثر واقعية من تجسيداته الفردية أو كياناته الفعلية، كما دهبت إلى ذلك النظريات الواحدية

وقد لاحظ وايتهد أن النظريات الواحدية تقع في مغالطة النموضع الزائف المعيني، حينما ننظر إلى التجريد Abstraction باعتبار أنه كيان فعلى، يقول وايتهد: «إن الأنساق الواحدية؛ تنظر إلى النهائي باعتباره حقيقة ساميه عليا، تعلو على أي حدث أو عرض من حوادث أو أعراض النهائي، كمايلاحظ أن الفلسفة الواحدية monistic philosophy ، ولتكن قلسفة اسبينوزا مثلا . حين تتصور الأفراد أو الجزئيات باعتبارها أحوالا modes للجوهر الحقيقي الاوحد(\*) . فإنها إنما تصصح - من وجهة نظرها - الخطأ الدى وقعت هيه

<sup>(\*)</sup> ذهب اسبينوزا إلى أن ما يتقوم بغيره أى ما كانت حقيقته عير متقومه بذاتها وتعتمد على الجوهر Modes of Substance وغفل وايتهد هنا على الجوهر الأوحد تسمى بأحوال الجوهر Two Attributes متميرتين وأن الأحوال عن أن اسبينوزا يتحدث أيضا عن صفتين Two Attributes متميرتين وأن الأحوال تندرج تحتهما. والواقع أن الصفة عند اسبينوزا هى مما يتصوره العقل من الجوهر الاوحد على أنه مكون لماهيته (أنظر Houghding, P. 60 على أنه مكون لماهيته (أنظر Houghding, P. 60) والصفات لا متناهية ولا يمكننا أن نحصرها او بعدها، ومع ذلك فهناك صفتان يتصورهما العقل بوضوح من بين الصفات اللامتناهية الأحرى، هما صفتا الامتناد والفكر، وكلا من هاتين الصفتين خاصية حقيقية لما تمثله، فتمثل صفة الإمتداد كل المتداد والفكر، وكلا من هاتين الصفتين خاصية حقيقية لما تمثله، فتمثل صفة الإمتداد كل ماهو جسمى ومادى وعالم الأشكال أو العالم الذي تتصف أجزاؤه بالصلابه ويكون في حركة وسكون، وتمثل صفة الفكر العالم الحي : عالم الحياة والمشاعر والأفكار ، كل منهما لا ننتج عن الأخرى رغم وجوه علاقات مختلفة بينهما : فالامتداد ليس هو الفكر . كما أن الفكر ليس هو الامتداد، وهما يرتبطان بالجوهر فلا يوجد جسم إلا وهو حال للجوهر حد ح

النظريات التعددية والمتعلق بعدم إدراكها أو تعرفها على «النهائي» ولكنها حينما فعلت ذلك طمست أو أنكرت أن يكون للكيانات الفعلية ـ عدا الجوهر الحقيقي الأوحد ـ أي وجود فعلى .

أكد وايتهد على ضرورة التعرف على «النهائي» من جهة - وهذا هو ما توصلت إليه النظريات الأحادية أو الواحدية - بدن أن تنكر فعلية تخصص هذا والنهائي، في كيانات فعلية متعددة - وهذا مالم توافق عليه النظريات الواحدية - ويمعني آخر يرى وايتهد أنه لا يمكن تصور «النهائي» على أنه كيان فعلى في ذاته، وإنما يمكن تصوره باعتباره الأساس العام لفاعلية الخلق الذاتي لكل كيان فعلى فردى. وهذا يعنى أن «النهائي» لا يعدو كونه أكثر من فاعلية علمة مجردة أو مستقاة بالنجريد من الفعليات اللحظية والفردية للكيانات المعلية.

صغة الامتداد، كما لا يوجد فكر إلا وهو حال الجوهر تحت صغة الفكر، ومع ذلك فصغتا الإمتداد والفكر لا يتقوم بهما الجوهر، إذ الجوهر واحد، ولا توجد صغة إلا وهى صغة له، كما لا يوجد جوهر إلا وله صفات، ومع ذلك فهو كلى بجميع صفاته أيا ما كانت هذه الصفات وأيا ما كان من أختلافها (أنظر: Joachim H: A Study of the Eithes) الصفات وأيا ما كان من أختلافها (أنظر: of Spinoxa, Oxford 1901P. 21 etc.) والصفات ترد بالتالي إلى الجوهر الأوحد الذي يوجد وحده بالمعلى الكامل الوجود ويفتقر سائر ما عداه من صفات وأحوال إليه. (المترجم).

تعميم عال ترتكز على كيانات فعلية، وليس لها صفة مميزة في ذاتها، لأن كل الصفات تكون مرتبطة بوجودات فردية (١).

لقد أحلت فلسفة وايتهد مصطلح والخالقية، محل المادة الأرسطية وكنهائى، علماً بأن وايتهد يستخدم هذا المصطلح - كما قرر ذلك هو وبالمعنى الذى يعطيه القاموس لفعل Creare وهو Being Forth (يحدث - يولد - يشمر)، beget (ينجب - يولد - يسبب) أو Produce (ينتج)، (١) ورغم وجود بعض التشابه بين المصطلحين (خالقية ومادة) فهناك اختلافات هامة بينهما وقتصور والخالقية، يتفق مع تصور المادة من حيث أن كلا منهما لا يوجد إلا في كيانات فردية عديدة وكنه يختلف عنها من حيث أن والخالقية، فاعلية خالقة وfficacy وأن والنهائى، أيضا فاعلية لها تأثيرها وfficacy على تشكله بصور مختلفة في جزئيات فردية أو كيانات فعلية ، في حين أن على تشكله بصور مختلفة في جزئيات فردية أو كيانات فعلية ، في حين أن الأرسطية في صور مختلفة لا تنسب إلى والنهائى، ولكن تنسب إلى المورة (\*) ولقد لاحظ جيلسون هذا حين قال وأنه لمن الواضح، إنه إذا كان المورة (\*) ولقد لاحظ جيلسون هذا حين قال وأنه لمن الواضح، إنه إذا كان المورة (\*) ولقد لاحظ جيلسون هذا حين قال وأنه لمن الواضح، إنه إذا كان المورة (\*) ولقد لاحظ جيلسون هذا حين قال وأنه لمن الواضح، إنه إذا كان المورة وإنما يتصل بالمادة وإنما يتصل بالصورة وفال هذا هدورة فالصورة وانما وقعلا هذا هدورة فعلا الذي هذا هدورة وانما يتصل بالمورة وإنما يتصل بالصورة وأنه المورة فالمورة فالمورة وإنما وقعلا المورة وإنما يتصل بالمادة وإنما وقعلا والمورة وانما وقعلا والمورة وانما وقعلا والمورة وانما وقعلا وقعل والمورة وانما وقعلا والمورة وانما وقعلا والمورة وانما وقعل لا وتصل بالمادة وإنما وقعلا والمورة وانما وقعلا والمورة وانما وقعلا والمورة وانما وقعلا والمورة وانما وتصل والمورة وانما وقعلا والمورة وانما وقعلا والمورة وانما وقعلا والمورة وانما وقعلا والمورة وانما وتصل والمورة وانما وقعلا والمورة وانما وقعلا والمورة وانما وتصل والمورة وانما والمورة وانما والمورة وانما والمورة وانما والمورة وانما والمورة وانما والمورة وانم

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ص ٢٦ - ٤٣.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٢٠٣٠.

<sup>(\*)</sup> ذكرنا من قبل أن الصورة كمال أول للهبولي، أو فعل أول لهذه القوة، أي أنها ما يعطى الهيولي الوجود بالفعل في ماهية معينة، فهي معقولة لأنها فعل، بل هي ما تفعل من الشئ. ويضيف الآن أن الطبيعة هي الصورة، الصورة طبيعة الشئ مادام الشئ، فإنه يبقى هو، ويفعل كل ما يفعل بصورته، أما الهيولي فليست طبيعة، لأنها بالقوة، وماهو بالقوة لا يقال له مصلوع ولا طبيعي حتى يخرج إلى الفعل، أي يتخذ صورة وماهية (أنطر يوسف كرم: تاريخ الفلسقة اليونانية، ص ص ١٣٧ – ١٣٨) ويذكر أرسطو أيضا عن النفس الإنسانية باعتبارها صورة للجسم أن النفس الجسم الحي بمثابة الصورة والطبيعة لغير الحي، أي أنها مبدأ الأفعال الحيوية على اختلافها، كما يعرف أرسطو النفس (وهي صورة الجسم، بأنها ،كمال أول لجسم طبيعي آلي، وهو يعني بقوله يعرف أرسطو النفس صورة الجسم الجوهرية وفعله الأول.. ويعرفها تعريفا آخر فيقول أنها ،مابها نحيا ونحس وننتقل في المكان ونعقل أولا، (أنظر يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٥٦) يتضح من هذه الأقوال أن الصورة الأرسطية نلعب دورا هاما في تحديد وتعيين وتشكيل الهيولي، نعم إن الهيولي ضرورية وهامة، إلا أن الصورة باعتبارها فعل أسمى من الهيولي باعتبارها قوة.

هى الفعل الذى يكون الجوهر به هو ماهو.. فليس ثمة واقع أسمى من الصورة، ولا حتى الوجود ذاته. لا يوجد شئ فوق الوجود، وفى الوجود لا يوجد شئ فوق الصورة، وهذا يعنى أن صورة موجود ما هى فعله الذى بدونه لا يوجد أى فعل آخره (١).

رفض وايتهد هذه الفكرة الرئيسية، نعم إن وايتهد يتفق مع أرسطو افى أن الفعل هو خاصية عامة لما هو فعلى، (٢). ولكن إذا كان هذا الفعل الذى يكون به الشئ ما يكون عليه هو الصورة Form ؛ فإن الصورة يمكن أن تعد ضمنيا اكنهائى، لكننا نعلم أن الصورة لا يمكن أن تحقق مطالب النهائى، ولقد عرف أرسطو ذلك بنفسه حينما وضع اصطلاح اصورة، وتمسك بتوحيد الصورة بالوجود (٢).

ولقد خلص وايتهد من هذا إلى نتيجة هامة وهى أن الفعل Act الذى يكون به الشئ ماهو، هو نفسه النهائى، أى أن النهائى، ليس شيئاً آخر غير الفعل اللازم والكافى فى تحقيق مطالب النهائى،؛ أى تحقيق مطالب ذاك that الذى يكون فعلياً actual بفضل حوادثه، أو بفضل كياناته الفعلية، أو ذاك that الذى يكون عنه تفرد الكيانات الفعلية. إن مذهب وايتهد يسلم بأن كل كيان فعلى هو فعل صيروري، وأن وجود الكيان الفعلى هو صيرورته، ومن هنا؛ فبينما وحد أرسطو بين الصورة والوجود، وحد وايتهد بين الوجود والفعل؛ فالكيان الفعلى عنده كيان فاعل.

ومن ثم فإن وايتهد يرى أن العالم يصنع من كيانات فعلية، وهذه الكيانات كيانات فاعلة، ونقوم بعمليات فاعلية، وبمعزل عن تلك الكيانات الفعلية الفردية لا يوجد ثمة شئ فعلى، فالعالم إذن عند وايتهد عبارة عن عملية فاعلية خلاقة، كما أن المادة الدائمة تشكل العالم في التصور المادي. هذه

<sup>(</sup>١) جيلسون : الوجود وبعض الفلاسفة، ص ٤٧.

<sup>(</sup>٢) أُونز، چي : مذهب الوجود في مينافيزيقا أرسطو، فصل ١٤.

<sup>(</sup>٣) جيلسون : مرجع سابق ، من ص ٤٣ - ١٤٠ .

الفاعلية الخلاقة، أو الخالقية، تكون كلية ونهائية بنفس المعنى الذى تكون عليه المادة كلية ونهائية في التصور المادى. إن الفاعلية الخلاقة تمثل الخاصية العامة الكلية لكل الكيانات الفعلية.

ونخلص من ذلك إلى أن والخالقية، ونهائية، بمعنى: أولا أنها تعتبر بمثابة خاصية ميتافيزيقية عامة لكل ماهو فعلى. وثانيا: أن كل ماهو فعلى يكون فردياً ولحظياً ومثالا من أمثلة والخالقية،

أن تصور والنهائي، الذي يكون فعلياً بفضل حوادثه أو أعراضه، هو تصور ضروري، ومطلب أولى وأساسي لتصور العالم ككل مترابط: ذلك لأنه يمكن النظر إلى الفعليات الفردية، وهي منفصلة، على أنها ممكنة وعرضية، ومن ثم لا يمكن أن تمدنا بأساس يبين ترابطها في كل أو عالم واحد ولعل هذا هو الذي قاد أرسطو إلى القول بمحرك لا يتحرك unmoved over (\*). وقاد غيره إلى القول بإله خالق متسامي Transendent creator وقاد آخرين إلى القول بالمطلق Absolute إن وايتهد برفض كل تلك النظريات التي تنادي بأساس بالمطلق العالم، فهذا يؤدي طبقاً لفلسفة وايتهد إلى اللاترابط التعسفي متسام مفارق للعالم، فهذا يؤدي طبقاً لفلسفة وايتهد إلى اللاترابط التعسفي الذي سبق له وأن رفضه. إن وايتهد يوافق على الخط الفلسفي الأحادي بشرط أن يحقق ترابط النسق الميتافيزيقي؛ وهذا يتم في نظره إذا تمكنا من أن ننسب أساس العالم إلى والنهائي، على أن نتصور وهذا النهائي، بنحو مترابط أساس العالم إلى والنهائي، على أن نتصور وهذا النهائي، بنحو مترابط

<sup>(\*)</sup> ذهب أرسطو إلى أن كل ماهو متحرك فهو متحرك بشئ آخر، ولا يمكن أن نستمر فى هذا إلى مالانهاية، فيجب أن نقف إذن عند محرك أول لا يتحرك، هو العلة الأولى الغير متحركة لحركة العالم. ويختلف تصور المحرك الأول عن تصور كل المحركات التى تحدث فى عالمنا فالمحرك الأول فعل محض لا تخالطه قوة، وفعل التحريك هو ماهيته، ومع ذلك فهو لا يتحرك كسائر ماعداه، والمحرك أول أزلى، وهو خارج العالم، وليس جسميا، وهو مبدأ الحركة، أو هو المبدأ المتعلقة به السماء والطبيعة، وأنه بحرك العالم كمعقول ومعشوق؛ هو معقول لأنه فعل محض، وفعله التعقل، والتعقل فيه عين المعقول، كمعقول ذاته لا شئ آخر، فليس من المقبول أن يعقل ماهو أقل من ذاته، هو معشوق لأنه علة الخير فى العالم، ومن ثم نتجه إليه الموجودات وتعشقه. والخلاصة أن تصور محرك أول لا يتحرك هو تصور لإله لا يوجد فى العالم، وإنما يوجد خارجه، ويختلف مع موجودات العالم جملة وتفصيلا، وهذا هو ما يرفضه وايتهد: (أنظر يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية \_ فقرة وتفصيلا، وهذا هو ما يرفضه وايتهد: (أنظر يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية \_ فقرة

ومتناسق، يؤدى في النهاية إلى تصور فعليته. وبغضل تصور فعلية كياناته أو حادثاته. ولقد استطاع وايتهد أن يحقق ذلك عن طريق تصوره والمنهائي، وكخالقية، لا يكون فيها هذا والنهائي، متساميا وفعلياً بذاته، ولكنه يوجد وجوداً لحظياً متجسداً في الفعليات الفردية. ويرى وايتهد أننا نستطيع أن نبقى ـ بذلك ـ على سلامة وصحة تصورنا لترابط العالم، وأن نحتفظ بصحة تصورنا لعالم يظهر بالتدريج تكون صفته والنهائية، ليست إلا فاعليته في الخلق الذاتي.

وطبقاً لهذا يمكن أن نتصور الكيانات الفعلية الفردية على أنها مخلوقات الخالقية الكاية. على أن نضع في إعتبارنا أنها ليست مخلوقات الخالقية بمعنى خالقية خالق، أي بمعنى أن الخالقية هي كيان فعلى يخلق المخلوقات ويكون متساميا في نفس الوقت وإنما هي كذلك بمعنى أن النهائي، أو الخالقية، تخصص ذاتها في المخلوقات الفردية، سوف نفصل ذلك فيما بعد ولكننا نريد أن نؤكد الآن أن الله ليس خالقاً متسامياً ولكنه المخلوق الأول للخالقية، أي أن الله هو الموجود اللحظى الأول للخالقية.

ويرى وايتهد أن تصور كهذا ينقذ وجود العالم دون ما حاجة إلى تصور خالق متسامى يكون السبب فى وجوده؛ فالخالقية فى نسقه الغلسفى تكون هى الأساس النهائي لوجود العالم بحيث يوجد العالم بفضل صفته النهائية كغاعلية خالقة. لقد رأينا أن الوجود يتكون من فاعلية الصيرورة، ومن ثم فوجود العالم يمكن تصوره على أنه يتكون من الطبيعة النهائية لفاعلية الخلق الذاتى الدائم.

إن الخالقية عند وايتهد لا تتصور ،ككيان بالمعنى الذى تكون فيه الحادثات الفعلية والموضوعات الأبدية (الصور) كيانات، (١). إن وايتهد لا يذكر الخالقية، أى مقولة النهائى ،ضمن مقولات الوجود، إن الخالقية عنده هى:

<sup>(</sup>١) وايتهد : العلم والعالم الحديث، ص ٢٢٠.

والخاصية الميتافيزيقية العامة التي تتعلق بكل الحادثات، ولكل حادثة جزئية أو فردية، فليس ثمة شئ يمكن أن نقارنه بها، إنها مثل الجوهر اللامتناهي الأوحد عند اسبينوزا، ولكن دون أن نتصوره على أنه كيان فعلى أو جوهر (١).

<sup>(</sup>١) نقس المرجع؛ نفس الموضع.

#### معية نمو الكيانات الفعلية

أن ما ذكرناه سابقا يشير إلى أن والعالم الفعلى هو عملية، وتلك العملية هى صيرورة الكيانات الفعلية، وأن هذه الكيانات الفعلية مخلوقات للخالقية (١). وكلمة خالقية تعبر كما يقول وايتهد عن وفكرة أن كل كيان فعلى يمثل عملية منبثقة عن جدة novelty، تسمى بالعملية الميكروسكوبية بمعنى أنه يصير أو يأتى إلى الوجود، (٢). لكن هناك إلى جانب ذلك وعملية ماكروسكوبية تعبر عن والانتقال من كيان فعلى محقق إلى كيان فعلى محقق آخره.

ولقد تناولنا العملية الماكروسكوبية حتى الآن باعتبارها مجرد ظاهرة تحل فيها كيانات فعلية محل كيانات فعلية أخرى فسدت. لكننا يجب ألا نتصور الكيانات الفعلية كفرديات كلية مستقلة ومنفصلة فيما بينها، ولا تفعل أكثر من أن يحل بعضها محل البعض الآخر، فكل كيان فعلى في الواقع ماهو إلا مخلوق للخالقية ينبع عنها دوما خلق جديد. ولقد عبر وايتهد عن ذلك بقوله

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٣٠.

<sup>(</sup>٢) وايتهد: مغامرات الأفكار، ص٣٠٣.

• هناك إيقاع rhythm للعملية ينتج الخلق بفضله كنبض طبيعى، كل نبضة منها تكون وحدة طبيعية من الواقعة التاريخية، وبهذه الطريقة يمكننا أن نميز بغموض، وسط العالم اللانهائي المترابط وحدات محدودة من الوقائع، (١).

هناك إذن إيقاعات داخل العملية الكلية الخالقة، أي داخل عملية تحقيق ماهو فعلى، أو عملية الصيرورة المنتقلة من كيانات فعلية محققة إلى كيانات فعلية محققة أخرى. وعملية الانتقال هذه هي ما وصفها لوك يقوله وإنها عملية الفساد الدائم، الناجمة عن ناحية معينة من فكرة الزمان؛ (٢). ولكن لما كانت الكيانات الفعلية - في مذهب وايتهد - تتصور على أنها تخصصات متعاقبة فردية للخالقية الكلية ،فإن عملية الإنتقال يمكن أن تكون ـ من جهة أخرى غير تلك الذي ذكرها لوك - مروراً من فعليات محققة إلى فعليات محققة أخرى، أو على حد تعبير وايتهد: •إن الإنتقال بكون - من جهة أخرى -نشوء الحاضر في انطباقه أو تكيفه مع قوة الماضي، (٢). وهذا يعني أن الكبان الفعلى الحاضر، الذي يكون في عملية نشوء، أو في عملية صيرورة، أو تواجد، يكون في نفس الوقت خلقاً جديداً من مكونات تألفت من فعليات سابقة. والواقع أن وايتهد يستخدم كلمة Conformity عن عمد ليدل بها على أن الكيان الفعلى الحاضر في صيرورة، يكون مخلوقاً جديداً، أو ذاتي الخلق، لكن المخلوق الجديد هذا، لا يمكن أن ينبع عن لاشئ، فإن مثل هذا التصور (الخلق عن لاشئ) يمثل خرقاً للمبدأ الأنطولوجي، إن المخلوق الجديد بكون متوافقاً مع فعلياته السابقة. وبمعنى آخر إن المخلوق الجديد يكون محتاجاً إلى معطيات Data سابقة وأن هذه المعطيات السابقة بالنسبة إلى الكيان الفعلى الذي يكون في حالة صيرورةأو تواجد، تتمثل في الفعليات التي صارت أو أتت فعلا إلى الوجود من قبل. ومن ثم ينتج أن الفعليات السابقة تؤلف

<sup>(</sup>١) وايتهد: أنماط الفكر، ص ١٢٠.

<sup>(</sup>٢) وايتهد : العملية والواقع، ص ٢٩٨.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، ص ٢٩٨.

معطيات ومكونات الكيان الفعلى الجديد وأن هذا الكيان الفعلى الجديد، يكون جديد النشأة، ولكنه يتطابق Conforms مع الماضى بمعنى أن مكوناته تكون مشتقة من فعليات سابقة.

ويضيف وايتهد إلى ذلك أن الكيان الفعلى الجديد، الذى يكون فى حالة صيرورة أو تواجد، ينمو مع المعطيات السابقة فى وحدة جديدة، وهو يستخدم كلمة التنامى معا أو النمو معا Concrescence، لكى يشير إلى هذا المعنى. ويفسر ذلك بقوله إن كلمة ،Concrescence، مشتقة من الفعل اللاتينى الشهير الذى يعنى النمو أو التنامى معا ،growing together، ويضيف إلى ذلك قوله أن استخدام تلك الكلمة له ميزة أخرى تتمثل فى أن اسم الفاعل أو إسم المفعول أو الاسم ،العينى، يستخدم بوضوح فى التعبير عن الواقعة الميافيزيقية الكاملة.

يرى وايتهد ،أن النظرة إلى الكيان الفعلى فى فرديته المنعزلة تؤدى إلى تصور الإنتقال على أنه انتقال بين حدين مثاليين : الحد الأول يتمثل فى مرور أو مكونات ذلك الكيان الفعلى المختلفة المنفصلة ، والحد الثانى يتمثل فى مرور أو إنتقال نفس المكونات فى معية عينية Concrete togetherness (٢) . ويعنى وايتهد ،بمختلفة ومنفصلة ، أى بالاختلاف المنفصل أن الفعليات السابقة ذاتها ، هى فرديات منفصلة ومختلفة ، وأنها باعتبارها معطيات Data لكيان فعلى جديد تصير (أو تنتقل إلى الوجود) كمكونات المعية عينية هى نفسها الكيان الفعلى الجديد . وهذا يعنى أن المخلوق الجديد هو عينى أى فعلى بفضل معيته أو بفضل عملية معية النمو ، فعينيته أو فعليته تتكون عن فعله من أجل تحقيق وحدة جديدة . ونحن نستطيع أن نميز فى إيقاع عملية الخلق الكلية بين وجهين ، هما النوع الميكروسكوبى والنوع الماكروسكوبى : النوع الأول يتمثل فى التدفق المتأصل الطبيعى فى تكوين الموجود الجزئى ، وهذا ما يسميه وايتهد

<sup>(</sup>١) وايتهد: مغامرات الأفكار، ص٣٠٣.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، نفس الموضع.

بمعية النمو، والنوع الثانى يتمثل فى التدفق الناتج عن تكرار العملية وانتقالها من عملية منتهية بكمال موجود جزئى ما أو بتمامه ومن ثم فساده إلى عملية أخرى يكون فيها هذا الموجود الذى كمل أو تم ثم فسد بمثابة عنصر أصلى أو معطى لموجود جزئى آخر، وهكذا.. ويسمى وايتهد هذا النوع باسم الانتقال؛ Transition (١).

(١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٢٩٨.

## الفصل السابع مقولة الموضوع الأبدى

١٦ - الموضوعات الأبدية أو صور التحديد.

١٧ – القوة والفعل.



### - ١٦ -الموضوعات الأبدية أو صور التحديد

يتألف العالم على دو ما بينا من عملية ذات وجهين، تكون فيها الكيانات الفعليه في حالة البيضات فرديه individual Pulsations، أو في معية نمو فردى، وخارج هذا لبس ثمة فعليه لأية كيانات أخرى، بمعنى أن الكيانات الأخرى كلها لا نعدو ال تكون إما عناصر لعمليات معية النمو، وإما اشتقاقاً أو نجريدا عن الكيانات الفعلية الفردية. وما سبق لا يمثل إلا صيغة أخرى للمبدأ الأنطلوچي في صوء مقولة العملية. يقول وايتهد: وإن طبيعة أي نمط من أن الماط الوجود (أي طبيعة أي كيان) لا يمكن أن تفسر إلا من حيث تضمنها الفاعلية خلاقه محتوى بالضروره على عوامل ثلاثة هي: المعطيات، والعملية، والتعاقب الموجود في صميم المعطيات افعولمل الفاعلية الخلاقة تتمثل إذن في المعطيات والعملية والتعاقب الموجود عي صميم المعطيات، ويضيف وايتهد إلى قوله هذا أن بديل ما المعطيات والعملية والتعاقب، (١). ويضيف وايتهد إلى قوله هذا أن بديل ما سبق يتمثل في رد العالم إلى مطلق واحد توتولوچي عقيم ، (٢).

<sup>(</sup>١) وايتهد الماط الفكر، ص ص ١٢٦ - ١٢٧

<sup>(</sup>٢) يفس المرجع ص ١٢٧

ولقد رأينا من قبل أن معطيات أى كيان فعلى فى عملية معية النمو، نتمثل فى فعليات سابقة تم تواجدها من قبل. لكن قبل أن نعرف كيفية ،نمو المعطيات السابقة معا ،لكى تؤلف كيانا فعليا جديدا، يجب علينا أن نفحص أولا نمطا آخر من الكيانات لم يسبق لنا ذكره.

فنحن حينما نقول بأن كل كيان فعلى هو فردية متخصصة تخصصاً جزئياً من الخالقية الفاعلية، فإننا نعنى بهذا أن فردية كل كيان فعلى تتكون بالخالقية التى تتخذ صورة جزئية Aparticular form. وهنا يتشابه وايتهد تماما مع مذهب أرسطو في هذا الصدد: فكما أنه لاوجود لمادة بحتة عند أرسطو (\*). فلا وجد لفاعلية بحتة عند وايتهد: إن الفاعلية البحتة عند هذا الأخير لا تعدو أن تكون مجرد تجريد أو اشتقاق من الكيانات الفعلية، أما ما يوجد حقا فهى الأفعال الفردية العينية، وهذه الأخيرة ما هى إلا الكيانات الفعلية للعينية ذاتها.

لكن الفعل الفردى (ومن ثم الكيان الفعلى) له صورة جزئية تخصه، كما أن (الجوهر) Ovcaca الأرسطى صورته الجزئية (\*\*). ومن هنا ذهب وايتهد إلى أن الفعل، لكى يكون فعلا، يجب أن تكون له صورته المحددة أو سمته

<sup>(\*)</sup> ذكرنا من قبل أن يبولى لا توجد مفارقة، لكنها نوجد دائما وهى متحدة بصورة ومن هنا فلا وجود لمادة بحد عند أرسطو. (المترجم).

<sup>(\*\*)</sup> يتكون الجوهر من هيولى ومن صورة، ومن ثم فكل جوهر جزئى له صورته الجزئية التى تخصه والجوهر يقال عند أرسطو بمعنى أول وبمعنى ثان : الأول هو الجوهر الجزئية التى تخصه والجوهر يقال عند أرسطو بمعنى أول وبمعنى ثان : الأول هو الجوهر الجزئى الموجود فى الواقع مثل سقراط ومحمد .. الخ والثانى هو النوع أو الجنس، أى ما يعبر عن ماهية الجوهر بالمعنى الأول، يندرج تحت هذا الجوهر وهو مثل إنسان وحيوان والجوهر بالمعنى الأول مقدم فى الجوهرية على الجوهر بالمعنى الثانى، أى أن الجزئى مقدم على الكلى، لأنه هو الذى يوجد حقا ويقبل العوارض، بينما الكلى لا يوجد من حيث هو كذلك إلا فى الذهن .. ويدل ذلك على الانجاه الواقعى عند أرسطو، ومعارضته للترتيب الأفلاطونى النازل من المثل أو المعقولات العليا باعتبارها الموجودات الحقة ، إلى الجزئيات المعتبرة أشباحا . الجوهر الجزئى إذن هو الجوهر بالمعنى الدقيق للكلمة ، ولكل جوهر جزئى صورته الجزئية الني تخصه . (المترجم) .

المعينة، فبفضل صورة الفعل يكون تحديده أو تعينه، وبدون تلك الصورة لا يمكن أن يوجد فعل فردى، ولا كيان فردى بالتالى. ومن ثم ينتج أن وصورة التحديد، تعتبر عنصرا أساسيا وجوهريا وضروريا لكل ماهو فعلى (أى للكيانات الفعلية)، فلكى يوجد كيان فعلى فردى ما، فيجب أن تأخذ فاعليته صورة محددة، كما أن وجود الكيان الفعلى يتطلب تحديد هذا الوجود بواسطة نمط جزئى من (الكيان) الذى هو صورته،

صور التحديدات إذن كيانات، وهي موجودة، لكن وجودها ليس وجودا فعليا كوجود الكيانات الفعلية، إنها توجد فقط كصور تحديدية للكيانات الفعلية، وحالتها الوجودية تتمثل في كونها ،عناصر، للكيانات الفعلية.

وبالرغم من أن وايتهد ومن قبله أرسطو قد أقرا أساسية وضرورية اصور التحديد، بالنسبة إلى الكيانات الفعلية، إلا أنهما رأيا ضرورة تمييز اصور التحديد، هذه كنمط متمايز عن نمط الكيانات الفعلية؛ ذلك لأنه على الرغم من أن المصور التحديد، هذه لا توجد إلا من حيث كونها محددة ومعينة للكيانات الفعلية، فإنها ليست مجرد صور الفعليات الفردية، تحدد البعض فقط بينما لا يكون لها أدنى علاقة بالبعض الآخر؛ فكيانات فعلية مختلفة يمكن أن تأخذ نفس الصورة . هذا يعنى أن اصورة التحديد، ذات طابع كلى، وأنها تتسم بالقدرة على تشكيل العديد من الفعليات المختلفة ، أى أنها تعبر عن نمط متميز من الكيانات يوضع في معنى متقابل (\*). مع الكيانات الفعلية.

<sup>(\*)</sup> التقابل لا يعنى الترادف أو النساوى أو التوازى، لكن المعنى الدقيق للتقابل هو أن اللفظين المتقابلين لفظان متنافيان بمعنى ما من معانى التنافى، كأن يكون بينهما تناقض أو تضاد أو تضايف. التناقض Contradiction هو تقابل السلب والايجاب ولا يجعل بين الحدين وسطا (أنظر: The elements of Logic, P.) واللفظان المتناقضان لا يصدقان معا ولا يكذبان معا (أنظر Keynes: Formal فيكون بين لفظين بينهما غاية العاد أو الخلاف مثل أبيض وأسود اللفظان المتضادان لا يصدقان معا على شئ واحد، لكن يمكن أن يوجد بينهما وسط واذلك فهما قد يكذبان معا. والدع الثالث من التقابل بين الحدود هو تقابل التضايف

ولقد أكد وايتهد على وجود نمط من الكيانات يقابل نمط الكيانات الفعلية، فهو يقول: «يجب أن نعترف بأننا لا يمكن أن نتحاشى افتراض وجود مملكة الصور realm of forms بمعنى أو آخر، يكون منبثقا عن التجريد الذى نقوم به من دوائر انتقال أو فقدان أو اكتساب الكيانات الفعلية، (١). ويقول أيضا بصورة أوضح وأقطع: «إن (صورة التحديد) تماثل الصور الأفلاطونية أو المثل الأفلاطونية أو كليات العصور الوسطى Mediaval Universals، (١). لكنه رأى أنه نظرا للغموض الذى واكب تصورات: الصور الأفلاطونية، أو المثل الأفلاطونية، أو كليات العصور الوسطى، ونظرا لبعض أوجه الإختلاف القائمة بين هذه التصورات وبين تصوره الخاص عن «الموضوعات الأبدية» فإنه يفضل استخدام هذا المصطلح الأخير كبديل أو مرادف، الصور التحديد،

مصور التحديد، إذن كيانات، ونضيف الآن إلى ذلك كونها ،أبدية، eternal ، تتضح أبديتها إذا ما وضعنا في مقابلها ،الكيانات الفعلية، التي لا تتسم في وجودها أو في طبيعة هذا الوجود بأنها أبدية؛ فلقد رأينا من قبل أن وجود الكيانات الفعلية يتكون بواسطة عملية الصيرورة أو الإتيان إلى الوجود، فوجودها بمعناه الواقعي هو ،فعلها، وطبيعة وجودها يتمثل أيضاً في ،فعلها،

<sup>=</sup> Relativity ، والتضايف هو علاقة وجود بين بحيث لا يوجد أحدهما بدون الآخر، أو لا يمكن فهم معنى أحدهما إلا بالنسبة إلى معنى الآخر كالأبوة والبنوة والكثرة والقلة والأنوثة والذكورة وهكذا. الأسماء المتضايقة هى الأسماء النسبية تقابلها الأسماء المطلقة -Abso الله التى يمكن تعقلها بدون أن تشير إلى غيرها، وقد رأى فريق كبير من المناطقة أن الأسماء كلها نسبية وليس ثمة اسم مطلق، فكل شئ تكون له علاقات مع شئ آخر (أنظر: Jevons: Elementary Lessons of Logic تشابه أو لا تشابه أو علاقة تعدى أو عدم تعدى (أنظر: على عبد المعطى محمد: المنطق ومناهج البحث العلمى في العلوم الرياضية والطبيعية ص ۸۶ – ۸۵) (المترجم).

<sup>(</sup>١) وايتهد: أنماط الفكر، ص ٩٣.

<sup>(</sup>٢) وايتهد: العملية والواقع، ص ٥٤.

مفالفعل، هو الممكن النهائى لوجودها، يشير إلى التغير لا إلى الثبات، وينتج عن ذلك أن وجود الكيانات الفعلية، أو تواجدها الجديد المتتابع، يتضمن تغيرها ضرورة، أى يتضمن إنتقالها الصيرورى وأن هذا يعنى - فى حد ذاته - أن هذه الكيانات الفعلية تأتى إلى الوجود Come into existence كمخلوقات جديدة.

أما ،الصور Forms؛ فهى على عكس الكيانات الفعلية، ليست مخلوقات جديدة فرجودها من حيث طبيعته لا يتكون من عملية صيرورية؛ إذ الصيرورة والعملية، والإنتقال، ليست بذات علاقة مع طبيعة هذا الوجود. وهذا هو ما عناه وايتهد بقوله. إنها كيانات أبدية eternal كما أن وجود الصور ذاته بمعناه الواقعى لا يتضمن العملية، إذ هو الذى يحدد عملية فعل الكيانات الفعلية، وهو يأتى إلى الوجود بمعنى تشكيل الفعليات التى تصير، أو الآنية إلى الوجود، لا بمعنى أنه فى ذاته مخلوق جديد. إن الكيان الفعلى يصير حين يتم تحديده، لكن الصورة لا تصير بواسطة تحديدها؛ لأنها ـ من حيث هى كذلك ـ أبدية لكن الصورة لا تصير بواسطة تحديدها؛ لأنها ـ من حيث هى كذلك ـ أبدية والاتالى تحديده، وليس أكثر من هذا .

ويستخدم وايتهد مصطلح الولوج ingression، لكى يفسر به عملية إتيان الكيانات الفعلية إلى الوجود بمعنى تشكلها في صور؛ فالصور تلج الكيانات الفعلية الجديدة، ومن ثمة تحددها. يقول وايتهد «إن الفعليات الممكنة لعملية العالم، يمكن تصورها، في مثل هذه الفلسفة، على أنها تمدنا بأمثلة واضحة لكيفية ولوج أو مشاركة أشياء أخرى (كيانات أخرى) تشكل تحديد أي وجود فعلى. وهذا يعنى أن الأشياء الزمانية يتم تحديدها بواسطة ولوج أو مشاركة أشياء أبدية، (١).

وولوج ingression الصور، قد يعنى من بعض نواحيه، أن هذه الصور تكون سابقة على الفعليات التي تلجها أو تدخلها، وهذا حقيقي، إلا أنه من غير

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٥٤.

المقبول أن نفترض سبق هذه الصور كموجودات أبدية فعلية قائمة بذاتها؛ لأن ذلك سيتضمن بالضرورة أن علينا أن نعالج الوجود الأبدى، للصور باعتبار أنه نوع من الكيانات الفعلية، في حين أن المبدأ الانطولوچي يقرر بوضوح أن هذه الصور لا يمكن أن توجد وجوداً فعلياً في ذاتها، ولا يمكن أن توجد في عالم مفارق كعالم المثل الافلاطونية.. إنها لا توجد قط إلا كعنصر جوهرى داخل في تكوين الكيانات الفعلية. ومن ثم فيجب أن ندرك بوضوح أن الصور التي تلج أو تدخل الفعليات الحاضرة، تكون موجودة في الفعليات الماضية، طالما أنها لا توجد في عالم آخر غير عالم الكيانات الفعلية ذاته. إن الصور عطاء، وهي باعتبارها موجودة في فعليات سابقة، لا تمثل إلا موضوعات مائرة.

Objects Objects

إن الصور الأبدية لا توجد إلا كعناصر جوهرية ضرورية لتكوين بعض الكيانات الفعلية أو بعضها الآخر، وأن طبيعتها تحتم عليها الولوج في بعض الفعليات، ولكن ليس ثمة شئ في طبيعتها يجعلها تحدد أو تختار أو تحتم أي كيان فعلى تدخل عليه أو تلجه، بل على العكس من هذا، فهى ذات طبيعة محايدة أو حيادية العساسة إلى الكيانات الفعلية الجزئية التي تلجها الموضوعات الأبدية إذن عناصر جوهرية ضرورية للكيانات الفعلية وبواسطتها يمكن تحديد كل ما هوفعلى. وكما سنرى فيما بعد فإن وأي كيان لا يتضمن تصوره إشارة ضرورية لأي كيانات فعلية محددة وعينية في العالم الزماني، هو... موضوع أبدى، (1). إن الفقرة السابقة تقدم علاوة على ما تضمنته تعريف وايتهد الدقيق لمصطلح والموضوع الأبدى،

الصور إذن، في طبيعتها الأصلية، لا زمانية أي أبدية، وهي عطاء يقدم إلى الفعليات الصائرة أو الآتية إلى الوجود، فيشكلها ويمنحها تحديدها، ويعينها في كيانات فعلية مكتملة العناصر.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٦٠.

### - 17 -

## القوةوالفعل

علينا أن نبحث الآن في علاقة الموضوعات الأبدية بالكيانات الفعلية بصورة أكثر تفصيلا؛ ذلك لأن تلك العلاقة كما فسرناها في ضوء والعطاء givenness ليست علاقة بسيطة وإنما هي علاقة معقدة. ولقد رأينا من قبل أن طبيعة الموضوعات الأبدية هي طبيعة محايدة أو حيادية بالنسبة إلى ولوجها أو دخولها في الفعليات الجزئية لتشكلها وتحددها. ويمكننا الآن أن نفسر ذلك بقولنا وإن الصور الأبدية أو الموضوعات الأبدية هي في ذاتها قوة بحتة لتحديد الفعليات، كما أن طبيعة الصور الأبدية كقوة بحتة إنما يمكن تفسيرها في ضوء العطاء يقول وايتهد: وإن الموضوع الأبدي قوة للفعليات، ولكنه في ذاته. حيادي أو محايد، في ولوجه في أي كيان فعلي جزئي في عالمنا الزماني هذا. وأن القوة ملازمة للعطاء؛ إذ أن العطاء يعني أن ما يعطى أو يمنح يمكن ألا يعطى أو يُمنح يمكن أن يعطى أو

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٦٠.

ولقد عرف التراث الفلسفى منذ القدم تصور القوة فى مقابل تصور الفعل، كما شعر هذا التراث بحاجته إلى تحديد مكانة هذا التصور، واعتباره كفكرة ميتافيزيقية هامة (\*). يقول وايتهد: «إن فكرة القوة فكرة رئيسية فى فهم الوجود، وهى أساسية طالما أننا قبلنا فكرة العملية؛ ذلك لأننا إذا فسرنا العالم فى ضوء كيانات فعلية استاتيكية، فإننا لا نكون بحاجة إلى فكرة القوة، إذ سيبقى كل شئ على ماهو عليه، ولن يكون التعاقب أكثر من مظهر ناتج عن ضيق أفق إدراكنا. وعلى العكس من ذلك، فإذا بدأنا بفكرة العملية كفكرة رئيسية، فإن فعليات الماضى، وستمنح خواصها من فعليات الماضى، وستمنح خواصها لفعليات الماضى، وبمعنى آخر ستكون الفعليات الحاضرة تحققا

<sup>(\*)</sup> ينقسم الوجود عند أرسطو إلى ماهو بالقوة وإلى ما هو بالفعل والقوة فعلية وإنفعالية؛ القوة الفعلية هي قدرة شئ على إحداث تغير في شئ آخر، أو في نفسه من حيث هو آخر، أي من حيث هو حاصل على مبدأ فاعل ومبدأ منفعل .. والقوة الإنفعالية هي قدرة المنفعل على الانتقال من حال إلى حال بتأثير موجود آخر، أو بتأثيره هو من حيث هو آخر. الطبيعة أيضا مبدأ حركة ، لكن لا في موجود آخر ، بل في نفس الموجود من حيث هوهو ، فهي قوة بمعثى واسع. والقوة منها ما في المادة، ومنها ما في النفس الناطقة، فهي إذن نطقية وغير نطقية .. والقوة النطقية قوة الأضداد تفعل أحدهما أو الآخر، أما غير النطقية فمحدودة بالطبع إلى معاول احد، مثل الحرارة فهي قوة النسخين ليس غير، في حين أن الطب قوة المرض والصحة جميعا والسبب في ذلك أن العلم علة الاشياء في العقل، ونفس العلة تفسر الشئ وعدمه . . والقوة قريبة وبعيدة : القريبة هي التي لا تفتقر لغير فعل واحد للخروج إلى الفعل، والبعيدة هي التي تفتقر إلى تهيئة، مثل البذرة فهي نبات بالقوة القريبة متى تهيأت لأن تكرن نباتا والفعل متقدم بالطبع على القرة، لأنه يدخل في حدها، إذ أن القوة الفعلية إنما هي قوة لأنها تستطيع أن تفعل مثل قوة البناء، هي في الذي يستطيع البناء، وقوة الإبصار هي في الذي يستطيع الإبصار وهكذا الحال في القوة الإنفعالية، بحيث أن معرفة الفعل سابقة بالضرورة على معرفة القوة، مثل أن معرفة شجرة الزيتون سابقة على معرفة قوة البذرة على إنتاجها .. كما أن الفعل متقدم تقدما زمانيا على القوة .. والقوة ليست شيئا معينا وإنما هي قوة الصدين.. ويخرج الشئ من القوة إلى الفعل بتأثير شئ هو الفاعل (أنظر : يوسف كرم : تاريخ الفاسفة اليونانية ص ص ١٧٦ - ١٧٧) وهكذا كانت فكرة القوة فكرة ميتافيزيقية هامة يمتد وجودها في التراجع إلى أرسطو. (المترجم).

مباشرا لقوة سابقة، ومستودعا لقوة ستتحقق بالفعل في المستقبل، (١).

وهذا يعنى أننا حينما نتصور العالم كعملية وكتغير وكنمو وكتقدم، فإن مثل هذا التصور، يجب أن يتضمن أيضا فكرة «القوة»؛ فالعالم المتغير والنامى المتقدم والخاضع لعملية الصيرورة، يحمل فيه الغد ـ أشياء وصورا لا توجد فيه اليوم، وما يكون غير فعلى فيه اليوم، سيكون فعليا في الغد، أما الآن فهو مجرد قوة Potentiality أو إمكانية. هذا يعنى على حد تعبير وايتهد «أنه بمعزل عن «القوة» وعن «العطاء» لا يمكن أن توجد سلسلة مترابطة من الأشياء الفعلية في عملية تواجد أو صيرورة الكيانات الفعلية الجديدة. والتصور البديل لهذا هو تصور عالم أحادى استاتيكي، لا تتحقق فيه أية قوة أو إمكانية تحققا فعلياً، ومن ثم فتصور «القوة» يكون تصورا لا معنى له في مثل هذه النظرة ومن ثم فتصور «القوة» يكون تصورا لا معنى له في مثل هذه النظرة

و القوة و العطاء فكرتان مجردتان ومن ثم فيجب أن يشيرا طبقاً للمبدأ الأنطولوچى إلى فعليات؛ فالقوة هى قوة شئ فعلى، والعطاء عطاء شئ فعلى، وليس ثمة قوة تكون مجرد قوة ، أو مجرد كيان هو قوة دائمة لكيان فعلى؛ إذ (الكيان) هو قوة كيان فعلى، والكيان الفعلى الفردى زمانى غير أبدى، وسوف نناقش ذلك قيما بعد، أما الآن فسوف نركز على فكرة العلاقة بين القوة، Potentiality وبين الجدة، المحاودة،

يسارع وايتهد فيؤكد أنه ليس ثمة شئ جديد ويكون فعليا، مالم توجد «كيانات، هي قوة بحتة. يقول وايتهد «إنه لمن الواضح أن فكرة «القوة» وفكرة «العطاء» لا يعنيان شيئا بمعزل عن كثرة الكيانات التي هي قوة بحتة، والكيانات الأخيرة هي (الموضوعات الأبدية) (٢). ما يريد أن يقوله وايتهد هنا هو أن المبدأ الأنطولوچي يقرر أن شيئا جديدا لا يأتي إلى الوجود من

<sup>(</sup>١) وايتهد: أنماط الفكر، ص ١٣٦.

<sup>(</sup>٢) وايتهد : العملية والواقع، ص ٦٢.

 <sup>(</sup>٣) نفس المرجع، نفس المرمنيع-

خواء، وإنما يمكن أن يأتى إلى الوجود عن قوة غير محققة Unrealized وهذه القوة غير المحققة يجب أن تتكون من كيانات Entities . أما كلمة غير محقق Unrealized فهى تشير بوضوح إلى تقابل القوة مع الفعل؛ فالفعل محقق والقوة غير محققة. وعلى هذا النحو يمكن أن نقرر أن فكرة والجدة، لا معنى لها إلا إذا كانت ثمة كيانات هى وقوة بحتة، وهذه الأخيرة هى والموضوعات الأبدية.

فكرة «القوة» تتعارض أو تتقابل كما قلنا مع فكرة «الفعل»، ولهذا فإن وابتهد يقرر وجود نمطين من الكيانات المتقابلة :

١ - الكيانات الفعلية
 ٢ - الموضوعات الأبدية.

يكون الأول ماهو فعلى، بينما يكون الثانى ما هو مجرد قوة بحتة. ولكن يجب أن نضع فى اعتبارنا أنه على الرغم من أنهما نمطان متقابلان أو متعارضان، فهما يترابطان ويعتمدان على بعضهما البعض، ولا يوجد الواحدمنهما منفصلا أو مستقلا عن الآخر؛ وفالفعل والقوة يتطلبان بعضهما البعض الآخر فى أدوار تبادلية فى المثال example والسمة Character وهذا يعنى أن وماهو فعلى يعتبر مثالا لما هو ممكن، وماهو ممكن يعتبر سمة لماهو فعلى، (٢).

ومعنى هذا أن وايتهد لم يقبل ما ذهب إليه أفلاطون من وجود مملكة أو عالم للموضوعات الأبدية، تكون فيه هذه الموضوعات بمثابة فعليات، توجد وجودا مستقلا ومنفصلا عن الكيانات الفعلية (\*). وأنه يوافق تماما على رفض أرسطو للعالم المثالي الافلاطوني.

<sup>(</sup>١) وايتهد : أنماط الفكر، ص ٩٧ .

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٩٦.

<sup>(\*)</sup> ذهب أفلاطون إلى وجود عالم أبدى خالد أسماه عالم المثل يقابل عالمنا الذى نعيش فيه والذى أسماه عالم الأشباح. وعالم المثل عنده عالم معقول هو مثال العالم المحسوس وأصله، يدرك بالعقل الصرف، والماهيات متحققة فيه بالذات على نحو تحققها في المعقل،

علينا الآن أن نحدد بدقة أكبر العلاقة بين هذين النمطين من الكيانات، أى بين نمطين متعارضين ومتقابلين من ناحية وغير منفصلين أو مستقلين من ناحية أخرى. وهذه العلاقة يمكن أن تتضح تماما إذا نظرنا فى طبيعة الموضوعات الأبدية على أنها ،قوة بحتة، تعطى أو تمنح الكيانات الفعلية، ذلك أن القوة تتضمن العطاء أو المنح، أو تتضمن القدرة على العطاء، بمعنى أدق. وعطاؤها يتمثل فى عنصر التحديد أو التعيين الجوهرى والهام بالنسبة إلى الكيانات الفعلية، الذى تستقبله الفعليات كى توجد؛ وإلااما وجدت على الإطلاق. ومن ثم فالقوة تتضمن العطاء، والعطاء يشير إلى القبول، يضيف وايتهد إلى ذلك ،أن فكرة العطاء تحمل معها الإشارة إلى ما وراء مجرد المعطى مثار البحث، إنها تشير إلى قرار ينفصل وفقه ماتم منحه عن الحادثات التى لم يتم منحها بعده (١).

لكننا، يجب أن نلاحظ بوضوح، أن الصور أو الموضوعات الأبدية ليست إلا ،قوة بحنة، لا تكثرت بالفعليات الجزئية التى تلجها؛ فعطاؤها يتضمن وجوب ولوجها فى بعض Some الفعليات أو فى بعضها الآخر، ولكنه لا يتضمن إختيارا لأى كيان فعلى كى يوجد. وهذا يعنى أن القرار الذى تلج به الموضوعات أو الصور الأبدية كيانات معينة، لا يمكن أن يكون متواجدا فى صميم الصور أو الموضوعات الأبدية ذاتها؛ فالقرار فعل Act ، والفعل أو القدرة

مفارقة للمادة، بريئة عن الكون والفساد: الإنسان بالذات، والعدالة بالذات، والجمال والخير بالذات، الفرس بالذات وهلم جرا، فهى مبادئ وءمثل، الوجود المحسوس والمعرفة جميعا. والمثال هو الشئ بالذات (أى الكيان الفعلى بالذات) والجسم شبح للمثال، والمثال نموذج الجسم أو مثله الأعلى، متحققة فيه، كمالات النوع إلى أقصى حد، بينما هى لا تتحقق فى الأجسام إلا متفاوتة، بحيث إذا أردنا الكلم بدقة لم نسم النار المحسوسة نارا بل قانا إنها شئ شبيه بالنار بالذات (أنظر: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٧٣) ولما كانت تلك المثل توجد فى عالم خاص، لذا فهى توجد وجودا مستقلا ومنفصلا عن أشياء العالم الذى نعيش فيه. والمذهب الأفلاطونى يعتبر وجود المثل فى عالمها على أنه الوجود الحقيقي الوحيد، عكس وجود الأشياء فى عالم الأشباح. (المترجم).

عليه لا يتعلق إلا بالكيانات الفعلية ذاتها، فالمبدأ الأنطولوچى يبين على حد تعبير وايتهد أن أى قرار يجب أن يشير إلى كيان أو أكثر من الكيانات الفعلية، لأنه بمعزل عن الكيانات الفعلية لاشئ يوجد أو يكون.. إذ الباقى صمت تام، (١) . فالقرار إذن لا يتصل إلا بالكيانات الفعلية مثار النظر، أى تلك التي تكون في عملية معية نمو، أو في حالة تقبل للصور، .

الموضوعات الأبدية إذن ضرورية للكيانات الفعلية، والكيانات الفعلية ضرورية للموضوعات الأبدية تحدد كيانا فعليا عن الآخر، وتمنحه وحده - إن صح القول - عن طريق منحه صورته، لكن هذه الموضوعات الأبدية لا يمكن أن توجد أو تكون إلا إذا كانت هناك موجودات فعلية تشتق منها بالتجريد.

يضيف وايتهد إلى ما ذكره عن «القرار» أن «القرار لا يمكن أن يكون علة مساعدة للكيان الفعلى، فهو يؤسس فقط المعنى المحدد لماهو فعلى، (٢). وهذا يعنى «أن القرار يؤسس الطبيعة الأساسية للفعل، الذى تصير الفعليات وفقه، أو تأتى إلى الوجود بمقتضاه، ولما كان قرار (ولوج الموضوعات الأبدية) قرارا واحدا في صميمه، فإن هذا يعنى أن (ماهو فعلى) هو قرار محدد (٦).

لكننا يجب أن نلاحظ أن «القوة» ليست مقتصرة على الكيانات الأبدية؛ فكل الكيانات تكون في حالة قوة، بمعنى آخر فهناك إلى جانب «القوة البحتة» أو «الموضوعات الأبدية» قوة أخرى كامنة في داخل الكيانات الفعلية، وسوف نبحث ذلك في الفصل التالي، لكى نكون على بينة كاملة بنوع العلاقة القائمة بين القوة والفعل أو بين ما هو ممكن وبين ماهو فعلى.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، نفس الموضع.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، نفس الموصع.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، ص ٥٩.

# الفصل الثامن مقولة النسبية

١٨ - مقولة النسبية.

١٩ - القوة المجردة والقوة الواقعية.

٢٠ - انتقال الكيان الفعلى من ذات إلى موضوع.

٢١ – خلود الكيانات الفعلية كموضوعات.



#### - 11 -

### مقولة النسبية

لقد قرر المبدأ الأنطولوچي ـ كما رأينا ـ أن الكيانات القعلية هي وحدها التي توجد بالمعنى الكامل للوجود، أما ماعدا الفعلي من الكيانات فلا يوجد إلا وجودا مشتقا من الكيانات الفعلية . ونحن لا نستطيع ـ كما يقول وايتهد ـ أن نفسر وأي نمط من أنماط الوجود إلا إذا بينا تضمن هذا النمط أو ذاك ـ بصورة أو بأخرى للفاعلية الخلاقة، (١) . والواقع أن تصورنا للعالم كعملية وتغير وتقدم، إنما يعني أن الكيانات الفعلية هي كيانات فاعلة . ولقد رأينا أيضاً أن الكيان الفعلي لكي يوجد، فيجب أن يكون شيئا أو موجوداً معينا أو محددا، وأن فعله بمثابة قرار، وأن قراره يتضمن وجود معطيات Data تحدد سمة جزئية فيه، وأن العطاء يتضمن القبول؛ فالعطاء يمثل قوة أو إمكانية مقابلة للفعل، حين تلج الكيان الفعلي، يصير هذا الأخير، أو يأتي إلى الوجود بعد أن يكون قد قبل هذه القوة أو تلك الإمكانية .

<sup>(</sup>١) وايتهد: أنماط الفكر، ص ١٢٦.

ولقد ناقشنا في الفصل السابق نمطا من الكيانات الذي هو وقوة بحتة أو وموضوع أبدي ورأينا أنه على الرغم من وأبدية تلك والقوة البحتة من حيث طبيعتها إلا أنها لا يمكن أن توجد إلا إذا تضمنت كيانات فعلية جزئية وهذا يعنى أنها ليست مستقلة في الوجود كاستقلال المثل في العالم المثالي الأفلاطوني، أو في المملكة الأفلاطونية للصور ؛ ذلك لأننا إذا نظرنا إلى الكيان الفعلي من جهة معية نموه ، فإننا نرى أن عطاء الموضوعات الأبدية يتمثل الفعلي من جهة بمعنى أن الموضوعات الأبدية تعطى الكيان الفعلى ، الذي يكون في حالة إنيان إلى الوجود ، ما يحدد صورته من الفعليات السابقة ، والفعليات السابقة ، والفعليات السابقة ، والفعليات السابقة ، الذي والفعليات السابقة ، والفعليات السابقة ، والفعليات السابقة ، الذي والفعليات السابقة تلك توجد - في رأى وايتهد - في نفس العالم الفعلي ، الذي أفلاطون .

وينتج عن ذلك أن ما يعطى حقيقة لمعية نمو كيان فعلى، ليس هو «القوة البحتة»، وإنما فعليات سابقة ذات صورة محددة، تم تحديدها بواسطة موضوعات أبدية، ومعنى هذا أن «الكيانات الفعلية السابقة تعطى خلال توسط الموضوعات الأبدية إنا الموضوعات الأبدية إنما تعطى كمتضمنة في الكيانات الفعلية السابقة، ويتضح من هذا أن «معطيات» أي كيان فعلى تكون مركبة أو معقدة ومن الهام أن نحلل هنا هذا التركيب أو ذاك التعقيد.

إن الفعليات السابقة هي ومعطيات، لكيان فعلى يصير أو يأتي إلى الوجود، وكونها ومعطيات، يعنى أنها معطاة، ولقد رأينا فيما سبق العلاقة الوطيدة بين العطاء وبين القوة أو الإمكانية؛ ذلك لأن الفعليات السابقة تمثل مع الموضوعات الأبدية إمكانيات بالنسبة إلى الفعليات التي هي في حالة معية نمو. أي بالنسبة إلى الفعليات التي هي في حالة معية نمو هي وحدها الكيانات الفعليات الجديدة، إن الفعليات التي هي في حالة معية الفعليات السابقة فإنه حينما يتم أو يكتمل على النحو الذي يتم أو يكتمل به، فلا يبقى بعد ذلك فعليا، وإنما يتحول إلى معطيات الكيانات الفعلية اللاحقة، ومن يبقى بعد ذلك فعليا، وإنما يتحول إلى معطيات اللاحقة.

ويجب أن نلاحظ أن الفعل والقوة نسبيان؛ فالكيان الفعلى هو فعلى الآن، لكنه يصبح حينما يكتمل فعله قوة أو إمكانية لكيان فعلى جديد. كما يجب أن نلاحظ أن ماهو بالفعل يحدد ماهو بالقوة، وأن ماهو بالقوة يحدد ماهو بالفعل، لأنه يكون قوة لـ أو إمكانية لـ ،كيان فعلى، . كما نلاحظ أخيرا أن الكيان الفعلى، الذي يكون في حالة معية نمو هو كيان واحد.

والواقع أن تصور الفعل والقوة، إنما يعد بمثابة تطبيق مباشر المبدأ الأنطولوچي المفسر في ضوء مقولة العملية، ولقد رأى وايتهد هذا التطبيق كمبدأ أو مقولة ميتافيزيقية عامة أسماها بمبدأ النسبية Relativity ويقول وايتهد عن هذا المبدأ العام جدا ما يلي: «إن القوة أو الإمكانية كعنصر لازم لمعية نمو حقيقي.. هي خاصية ميتافيزيقية عامة، تنطبق على كل الكيانات الفعلية وغير الفعلية؛ فكل عنصر في (كليته) متضمن في كل معية نمو، وبمعنى آخر فإن طبيعة أي موجود هي كونه قوة أو إمكانية لموجود صيروري آخر، (۱).

وإذا ما قرأنا الفقرة السابقة بعناية، فإننا نلاحظ، أن مقولة النسبية تؤكد على ناحيتين : الأولى رئيسية والثانية، تطبيق لها. هاتان الناحيتان هما :

١ – تؤكد مقولة النسبية على أن كل كيان هو قوة أو إمكانية، وأن هذا يمثل خاصية ميتافيزيقية عامة. ، فمن طبيعة الموجود أن يكون قوة أو إمكانية لموجود صيرورى آخر، حسب تعبير وايتهد؛ أى أن ماهو بالقوة يكون كذلك بالنسبة إلى ماهو فعلى، ولعل السبب فى هذا يرجع إلى أن المبدأ الأنطولوچى يقرر أن الكيان إما أن يوجد من حيث أنه فعلى فى ذاته، وإما أن يوجد من حيث أنه فعلى فى ذاته، وإما أن يوجد من حيث أنه متضمن فى فاعلية بعض الكيانات الفعلية. يتبع ذلك أن الفئة الأخيرة من الكيانات يجب أن تكون بمثابة ، قوة أو إمكانية، للفعليات وأن هذا الوجوب يعتبر شرطا موجودا فى صميم كينونتها أو وجودها، بل يذكر وايتهد الوجوب يعتبر شرطا موجودا فى صميم كينونتها أو وجودها، بل يذكر وايتهد

<sup>(</sup>١) واينهد: العملية والواقع، ص ٣٠.

«أن القوة أو الإمكانية ترادف (الكيان) نماما» (١). ويمكن أن نحصل أيضاً على تصور الفئة الثانية من الكيانات (الكيانات الفعلية) من حيث أنها تصبح - في ضوء مقولة النسبية - قوة أو إمكانية بعد أن تكتمل فيها عملية فاعلية الخلق الذاتي.

٢ - كما تؤكد مقولة النسبية على أنه لما كان كل كيان هو قوة لكيان فعلى، فيتبع ذلك أن كل كيان فعلى، يجب أن يتقبل ماهو بالقوة في عالمه أو كليته، أي يتقبل ما يعطى له. فالقوة تتضمن العطاء والعطاء يتضمن القبول والاعتراض على هذا بالقول بأن العطاء لا يستلزم ضرورة القبول أو قد يكون هناك عطاء دون أن يكون هناك قبول هو إعتراض غير مقبول؛ ذلك لأنه إذا لم يكن هناك قبول فإن هذا قد يعني إما الرفض أو عدم وجود علاقة على الإطلاق بين العاطى والقابل، فإذا كان الأمر هو الرفض؛ فإن الكيانات الفعلية لكي ترفض، يجب أن تستقبل أولا ما ترفضه حتى تقرر ما يجعلها ترفضه، وإذا كان الأمر هو عدم وجود علاقة، فإن الكيان مثار البحث لن يكون في عالم الفعليات الجزئية، إنما سيكون في عالم آخر نحن نرفض تواجده تماما. وعلى هنا فإن التأكيد الثاني يتضمن وأن معطيات أي كيان نابض تتكون من محتويات تم اكتمالها سابقا في عالم يوجد من أجل هذا الكيان النابض وهو عالم ممتلئ بالتفاصيل، أو بالنبضات السابقة التي تحتوي أيضاً على صور مختلفة تكون منبئة في صميم طبيعتها؛ منها ماقد تحقق، ومنها ما ينتظر التحقيق. ومن ثم فإن المعطيات Data تتكون مما كان، ومما هو كائن، ومما سوف يكون. هذا الأمر يمكن التسليم به في ضوء قبولنا لتصور تاريخي أو زماني للفعليات، (٢).

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٥٨.

<sup>(</sup>٢) وايتهد: أنماط التفكير، ص ١٢١.

## القوة المجردة والقوة الواقعية

تحدث وايتهد فى نهاية الفقرة السابقة عن اختلاف الصور المنبثة فى طبيعة الأشياء سواء تلك التى تحققت، أو تلك التى لم تتحقق بعد. الواقع أن هذا التمييز بين الصور المتحققة وبين الصور التى لم تتحقق؛ أى تلك التى مازالت مجرد قوة أو إمكانية، قد يبدو متناقضا مع ما قلناه سابقا عن عطاء، الموضوعات الأبدية من حيث كونه متضمناً فى كيانات فعلية سابقة ولكننا سنتبين بعد دراسة تفصيلية لطبيعة الصور الأبدية أن ليس ثمة تناقض فى هذا الصدد.

الواقع أن مناقشتنا السابقة قد تضمنت - ضمن ما تضمنته - تمييزا آخر يجب أن نقف عنده تفصيلا، وهو التمييز القائم بين القوة المجردة البحتة أو القوة العامة General Potentiality وبين ما يمكن أن يسمى بالقوة المشروطة . Conditioned Potentiality

إن فكرة القوة تبدو غامضة من بعض الوجوه؛ فهى يمكن أن تكون مجردة تجريدا بحتا وعاما بحيث تشير إلى كل إمكان أو إحتمال بغض النظر عن الأحوال الجزئية التي تحدث فعلا، إلا أنها باعتبارها شئ Somthing فيجب

أن تأتلف في نمط ما من «الكيان»، وعلى ذلك تصبح هذه القوة المجردة البحتة «تجمعا من الإمكانيات أو الإحتمالات المتسقة تناوبيا والمدعمة بكثرة من الموضوعات الأبدية» (۱). وهذا يعنى أن هذه الكيانات هي الصور الأبدية منظورا إليها كتجريدات كاملة تم تجريدها من ولوجها الجزئي في الفعليات ومطابقتها أيضاً أو موافقتها لتلك الفعليات.. فإذا نظرنا إليها هذه النظرة فيتبع ذلك «أن الموضوع الأبدى لا يمكن أن يفسر إلا في ضوء قوته أو إمكانيته على الولوج في صيرورة الكيانات الفعلية، كما أن تحليله يبوح بموضوعات أبدية أخرى.. إنه قوة بحتة، ومصطلح (ولوج) ingression يشير إلى حالة جزئية نتحقق فيها إمكانية موضوع أبدى بالنسبة إلى كيان فعلى جزئي، مساهما بذلك في تحديد هذا الكيان الفعلي، (۲).

هكذا يبدو أن قوة الموضوع الأبدى من حيث هو فى ذاته، هى قوة ولوج عامة مجردة بحته. وكما أكد وايتهد فى الفقرة السابقة فإن «الولوج» يشير إلى حالة جزئية تتحقق فيها إمكانية أو قوة موضوع أبدى فى كيان فعلى جزئى، ويجب أن يكون هناك «ولوج» لكى يوجد كيان فعلى ما، وهذا الولوج يتم فى أحوال جزئية، كما يجب أن يتحقق هذا الولوج فى أحوال جزئية مختلفة، ولتفسير ذلك ينبغى أن نعالج المعنى الثانى للقوة أو الإمكان.

إن القوة أو الإمكانية التى تؤلف «المعطيات» الأولى لكيان فعلى جديد» ليست قوة مجردة بحنة ـ كالنوع الأول من القوة ـ لكنها قوة مشروطة ، بمعنى أن قوة أو إمكانية تحقيق كيان فعلى جزئى بواسطة فعليات ما تكون مشروطة بما «أعطى لها» وما يعطى لها يكون فعليات سابقة تؤثر فى نوعية القرار المتحقق. ومن ثم فعلى النقيض من القوة العامة المكونة من الموضوعات الأبدية المجردة والبحتة ، توجد قوة أو إمكانية مشروطة هى فى الواقع القوة الواقعية لأنها تتكون من موضوعات

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٣٠.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٣١.

أبدية تحققت بفضل فعليات سابقة ، أي من موضوعات أبدية تحققت من قبل بالفعل.

فكرة القوة إذن فكرة مزدوجة، ويمكن أن نفسر ازدواجيتها بطريقة أخرى؛ فالقوة أو الإمكانية تتضمن اللاتحديد أو اللاتعيين؛ ذلك لأن الكيان الممكن يكون غير محدد لأنه لا يتضمن فعليات جزئية، والتحديد أو التعيين يتأثر بفعل قرار كيان فعلى، واللاتحديد أو اللاتعيين هو الماهية الأصلية لماهو بالقوة في تعارضه أو تناقضه مع ماهو بالفعل. يقول وايتهد في هذا الصدد ،إن اللاتحدد الذي يرد إلى التحدد أو الذي يصير تحديدا في معية النمو الواقعية، هو ما نعنيه بالقوة، إنه لا تحدد مشروط. ومن ثم يجوز لنا أن نطلق عليه أنه قوة أو إمكانية واقعية، (١).

القوة إذن تعنى اللاتحدد، الذي يصير تحديدا في معية النمو الواقعية؛ ذلك لأن القوة لا توجد حقيقة وهي منفصلة عن الفعل، وهذه صيغة أخرى لما قلناه سابقا من أن القوة تتضمن العطاء، والعطاء يتضمن القبول، فحينما ننظر في واقعة معينة فإن القوة ،توجد متضمنة في الفعليات وتعطى كمتضمنه في فعليات سابقة، ومن هنا يكون الا تحدد، القوة مشروط، وحينما نقول عنه أنه الا تحدد بحت، فإن هذا يعد من قبيل التجريد Abstraction.

ويؤكد وايتهد أن الماهو بالقوة الكون اكيانا ممكنا أو احتماليا وأن ظاهرة ازدواجية القوة أو الإمكانية ترجع إلى ظاهرة ازدواجية طبيعة الموضوعات الأبدية كإمكانات بحتة أو عامة من جهة المروطات مشروطا أو واقعية من جهة أخرى ان الموضوع الأبدى يكون دائما مشروطا في أي مثال من أمثلة وجود القوة أو تحققها إذ أنه يوجد كمتضمن في تحديد الكيان الفعلى الكن الحالة الجزئية التي تتضمنه لا تستنفد كل إمكاناته أو احتمالاته فقد تكون إمكاناته متضمنة في بعض الأحوال أو الأمثلة الجزئية الأخرى .

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ص ٣٠ - ٣١.

وهكذا فعلى الرغم من أن الموضوعات الأبدية تكون دائما مشروطة فى أمثلتها الجزئية، فإن طبيعتها الأصلية ليست مع ذلك محددة Restricted، فحتى فى تلك الحالات المشروطة، تكون بديلاتها غير مفقودة تماماً؛ ذلك لأن الموضوعات الأبدية تظل محتفظة بطابع دماقد يكون، وهذا يعنى أن الموضوع الأبدى فى طبيعته الأصلية لا يتقيد بأى حالة جزئية يلجها، ومن ثمة فيجب أن ننظر إليه على أنه مجرد حتى من الحالات الجزئية التى يلجها، واقد ذكر وايتهد فى هذا الصدد دأن القوة العامة تكون مطلقة، أما القوة الواقعية (أو المشروطة) فنسبية، أى تكون من حيث نسبتها لبعض الكيانات العينية على الموضوع الأبدى يكون دقوة بحتة، ومشروطا فى العيلية، (١) . والقوة العامة تكون دائما غير مطلقة لأنها توجد بالنسبة إلى بعض العينية الفعليات. ومعنى هذا أن الموضوع الأبدى يكون دقوة بحتة، ومشروطا فى الفعليات. ومعنى هذا أن الموضوع، لكنه يكون رغم ذلك بحتا أو عاما فى طبيعته الأصلية. وأكثر من ذلك فهناك كيانات أخرى دمكنة أو احتمالية، بفضل تضمنها للموضوعات أو الصور الأبدية، والفعليات السابقة خير دليل بفضل تضمنها للموضوعات أو الصور الأبدية، والفعليات السابقة خير دليل على هذا، وسوف نعطى مثالا أو توضيحا هاما فى هذا الصدد.

فالكيان الفعلى A يكون فعليا فى عملية فعله، وحيدما تكتمل تلك العملية، تتوقف فاعليته الخالقة تتوقف فاعليته الخالقة تتوقف فاعليته الخالقة المحيث لا يصبح فعليا بعد ذلك. وتوقف فاعليته الخالقة لا يعنى أنه أصبح ولاشئ nothing ، إنه يصبح شيئاً Something أو قوة أو إمكانية بالنسبة إلى كيان فعلى لاحق، وليكن B . ونحن نعد A فى هذا المثال كقوة واقعية real ، لأنها كانت قد تحققت فى وجودها الفعلى السابق أو كانت حاصلة على الفاعلية من قوة بحتة معينة. إن A هنا كمعطى لا توجد إلا كموضوع أبدى مشروط أى لا توجد وجودا بحتا أو خالصا له B لا توجد إلا كموضوع أبدى مشروط أى لا توجد وجودا بحتا أو خالصا وعن الموضوعات الأبدية المشروطة كإمكانات واقعية .

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٩٠.

وسوف نرى فيما بعد وبالتفصيل كيف ولماذا تكون الفعليات السابقة موضوعات أبدية مشروطة. ولكنا نريد أن نؤكد الآن على أن العلاقة بين القوة والفعل لا يمكن أن تفهم البتة في ضوء وقائع استاتيكية، إنها لا تفهم إلا في ضوء عملية ديناميكية. ولقد رأينا هذا من قبل في الإيقاع المزدوج للعملية الكلية الخلاقة والمتمثل في «التدفق المتأصل في صميم تكوين الموجود الجزئي.. والتدفق الناتج عن تكرار العملية وانتقالها من عملية منتهية بكمال موجود جزئي ما، ومن ثم فساده، إلى عملية أخرى يكون هذا الموجود الذي كمل ومن ثم فسد بمثابة عنصر أصلى أو معطى لموجود جزئي آخر، (١).

نستطيع أن نقرر الآن أن مقولة العملية ومقولة النسبية والمقولة التى أسماها وايتهد بالمبدأ الأنطولوچى تعبر عن مظاهر مختلفة للحقيقة الميتافيزيقية العامة والوحيدة؛ فالمقولة الأولى تقرر المذهب بطريقة عامة، وتؤكد على أن الكيان الفعلى تتجسد ماهيته الخاصة فيما أسماه الكسندر (\*). Alexander بمبدأ

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٢٩٨.

<sup>(\*)</sup> صمويل الكسدر Samuel Alexander فيلسوف إنجليزي، ولد في سيدني باستراليا عام ١٨٥٩ وتوفى في انجلترا عام ١٩٣٨، من أهم مؤلفاته النظام الأخلاقي والتقدم: تحليل المغاهيم الأخلاقية -Moral order and Progress : An Analysis of ethi cal conceptions ظهر عام ۱۸۸۹ وکتابه عن locke الذي ظهر عام ۱۹۰۸، وکتابه الصخم والرئيسي عن المكان والزمان والألوهية، Space - Time and Deity والذي ظهر في مجادين كل مجاد يحتوي على كتابين عام ١٩٢٠، وطبع طبعة ثانية عام ١٩٢٧ وِثَالثة عام ١٩٣٤، وكتاب اسبينوزا والزمان Spinoz and Time ظهر عام ١٩٢١ ومؤلفه عن الجمال وصور أخرى للقيمة Beauty and other forms of value الذي ظهر عام ١٩٣٣، ومقالته عن أساس الواقعية The basis of Realism الذي ظهر ضمن أعمال الأكاديمية البريطانية عام ١٩١٤ المجلد السادس، وذلك عدا مقالات متعددة نشرت في مجلات دورية متخصصة، وأو في مؤلف بالفرنسية عن الكسندر هو الذي كتبه ديفو P. Devcau عام ١٩٢٩ عن امذهب الكسندر P. Devcau درس في ملبورن وأكسفورد وأصبح عام ١٨٨٧ زميلا في كلية لنكولن باكسفورد، وفي العام الذي يليه عين أستاذا للفلسفة بجامعة فيكتوريا بمانشستر ونال وسام الاستحقاق عام ١٩٣٠ وتقوم فلسفته على أساس تصور رئيسي هو تصور الزمان المكاني أو المكان الزماني. (المترجم).

اللااستقرار المتمثل في صيرورته (\*). ومقولة النسبية التي تطبق على الفكرة الأصلية (للكيان)، وتؤكد على أن فكرة (الكيان) تعنى (عنصرا مشاركا في عملية الصيرورة) كما أننا نحصل بواسطة هذه المقولة على التعميم الأكبر لفكرة (النسبية). أما والمبدأ الأنطولوچي فهو يؤكد على أن الالتزامات المفروضة على صيرورة أي كيان فعلى جزئي تكون كامنة في كيانات فعلية أخرى سابقة، (١).

(\*) يرى الكسندر أن الزمان المكاني Space- Time أو المكان الزماني - Time Space مو الأصل الذي تتشكل عنه كل الموجودات وكل الأشياء بكيفياتها المتباينة. ومتصل الزمان المكاني رباعي الأبعاد؛ للمكان ثلاثة أبعاد، والزمان بعد وإحد. المكان ملئ بالزمان، والزمان ملئ بالمكان، والزمان والمكان ملاء كامل Plenum لاخلاء فيه (انظر (Alexander, S.: Space - time and Deity vol, 1. Book I. P. 48: والزمان عند الكسندر مصدر الحركة في المكان، والمكان محل الحركة ومسرحها، هما معا حركة ونسق للحركات، بل هما أصل حركية العالم، تلك الحركية التي تصدر عن تزاوج الزمان والمكان، فالعالم إذن حركة خلاقة، وجدة دائمة، حركة توزيع وتشكيل متصلةً متجددة بلا توقف لآنات الزمان بين نقاط المكان. ويرى الكسندر أنه ليس ثمة سكون أو استقرار، وما يبدو سكونا أو استقراراً ليس في حقيقته ألا حركة أو لا استقرار حذفت بعض ملامحهما الحركية. والزمان المكاني أو العالم الفيزيائي تاريخي تماما لأنه حركي، أنه تقدم مستمر ذو اتجاه مطرد في عملية تجدد وخلق مستمر، إنه تقدم في ديمومة شاملة لآنات الزمان الثلاثة: الماضي والحاضر والمستقبل، والى تنتشر عبر نقاط المكان في تداخل وتكامل نام ؛ إنه ديمومة تولج الماضي في المستقبل عبر الحاضر. ويتحدث الكسندر عن زمان مكانى عقلى أو نفسى، وعن زمانى مكانى رياضى وعن المقولات، ثم يتحدث عن الألوهية بما يتوافق مع مبدأ الحركة أو اللاستقرار فيذكر أن العالم الحقيقي هو عالم انبثاق طافر Emergence وجدة خلاقة، وتطور مستمر، فالكيف الأعلى The Higher quality ينبثق طافرا من مستوى الوجود الأولى ويكون له جذور فيه، وهذا الكيف الأعلى لا يلبث أن ينبثق عن كيف آخر أكثر علوا وهكذا (Ibid: P. 46) بحيث يمكن أن نطلق على العالم أنه تاريخي وتطوري وكيفي خلاق لا يكتمل أبدا. والألوهية ذاتها هي الكيف الأمبيريقي الأعلى المثالي لأعلى كيف نعرفه ( 1bid : P. 345) وهي كيف متغير يحتل دور الصدارة، لكنه بوصفه فعليا، ليس متناهيا، بل صيرورة أزلية، وأنه لا يصل إلى الكمال أو التمام دون أن يحقق فكرة ذاته، أنه يسعى دوما نحو الألوهية دون أن يصلها. وفي هذا يتصبح تماما مبدأ الاستقرار، (المترجم).

## - ٢٠ -انتِقال الكيان الفعلى من ذات إلى موضوع

إن الكيان الفعلى الذى يكون فى عملية معية نمو «أى فى عملية صيرورية» أو إتيان إلى الوجود، تغرض عليه التزامات من فعليات سابقة هى «معطيات» ولما كانت الفعليات السابقة مجرد «معطيات» لكيان فعلى، فإنها من ثم تكون «موضوعات له»، يقبلها هذا الكيان الفعلى وهو فى حالة معية نموه، ومن هنا فإن وايتهد يتحدث عن الفعليات السابقة باعتبارها موضوعات لكيان فعلى لاحق ولعدة كيانات فعلية لاحقة.

وبذكر وايتهد أن الكيان الفعلى يكون - وهو في عملية معية النمو - ذاتا Subject ، تخلق ذاتها من (المعطيات) التي هي (موضوعاتها) ؛ ذلك لأن ماهو فعلى هو ذلك الذي يكون في عملية صيرورة أي الكيان الفاعل، أو الذات الفاعلة، التي تتمتع بما أسماه وايتهد بالمباشرة الذاتية . يقول وايتهد : (إن آداء الذات لوظيفتها هو المكون الحقيقي للكيان الفعلى : إنه مباشرة الكيان الفعلى (لوظيفته دون توسط) ، إن الكيان الفعلى هو ذات لأنه يباشر ذاته، (١) .

<sup>(</sup>١) نفس المرجع: ص ٣٤.

وحينما تنتهى عملية فاعلية الخلق الذاتى Self - Creative activity فإن الكيان الفعلى يفسد Perishes ؛ أى يتوقف عن أن يوجد (كذات) فاعلة فيصير موضوعا لفعليات لاحقة. يقول وايتهد ،إن الكيانات التى تفسد، تفقد ذاتها ومباشراتها الذاتية، وتصبح (موضوعات) وحسب.. إنها تفقد عليتها النهائية ومبدأها الداخلى الذى يعبر عن اللاإستقرار، وتطلب أن تكون عللا فاعلة، تكون أساس خلق فعليات لاحقة، (١).

إن الكيانات الفعلية تصبح «موضوعات» حينما تنتهى عملية صيرورية يكتمل وفقها وجود كيان فعلى ما ، وأن ماهو «موضوع الآن ، كان ذاتا من قبل ، أثناء عملية معية نموه .. كان ذاتا تخلق ذاتها ، وتباشر وظيفتها .. ذاتا لم تكن قد اكتملت بعد ، وبالتالى كان لا يمكن أن تنتقل إلى «موضوع» هو معطى لكيان فعلى جديد . وهذا يعنى أن الكيان الفعلى لا يمكن أن يكون ذاتا وموضوعا في نفس الوقت . إنه يصبح موضوعا لكيانات فعلية جديدة أخرى فقط في حالة اكتماله وفقدانه لمباشرته الذاتية .

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٤٠.

#### - Y1 -

## خلود الكيانات الفعلية كموضوعات

إن الكيانات الفعلية تفسد دائماً من جهة الذات (١). لكن على الرغم من أنها تتوقف عن أن توجد بالمعنى الكامل للوجود، ومن ثم لا تدوم فاعليتها، فإنها لا تصير مجرد لاشيئية. إنها تبقى «ككيانات» يكون وجودها من نمط آخر غير نمط الوجود الفعلى، بمعنى أن وجودها لا يكون فعليا أو مستقلا. تصير الكيانات الفعلية بعد فسادها «موضوعات» لكيانات فعلية لاحقة، وتوجد كعناصر Elements لازمة للفعليات التي تكون في عملية معية نمو، ومن ثم فعلى الرغم من أن الفعليات تفسد من جهة الذات فإنها تكون خالدة من جهة «الموضوع» (١). ويلخص وايتهد رأيه هذا بقوله «حينما تفسد الفعليات فإنها تنتقل من حالة المباشرة إلى حالة اللامباشرة، لكن انتقالها هذا، لا يعنى أنها أصبحت لاشئ، إذ أنها تبقى كواقعة صلبة صامدة (٣). تستعصى على الفناء، وتبقى دوما.

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٤٠ .

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، نفس الموضع.

<sup>(</sup>٣) وايتهد : العملية والواقع، ص ١٠٥ .

تتكون الواقعة من فعليات أصحت اموضوعات، أو المعطيات، لكيانات أو حادثات فعلية؛ ذلك لأن المبدأ الأنطولوچي يدلنا بوضوح على أن الحادثات الفعلية الجديدة تصدر عن حادثات فعلية تمت واكتملت وأصبحت مجرد موضوعات أو معطيات فعلية جديدة (۱). إن الإنتقال من ذات إلى موضوع يشير إلى حالة جزئية تتحقق فيها قوة أو إمكانية كيان فعلى في كيان فعلى يشير إلى حالة جزئية تتحقق فيها قوة أو إمكانية كيان فعلى في كيان فعلى المابق، والذي يصبح موضوعا جزئياً بفضل انبثاق كيان فعلى جديد أو حاضر هو قوة أو إمكانية واقعية واقعية Real Potentiality لكيان فعلى بكون في عملية معية نمو؛ أي لكيان فعلى لاحق، ولقد فسر وايتهد لكيان فعلى يكون في عملية معية نمو؛ أي لكيان فعلى لاحق، ولقد فسر وايتهد هذه النقطة بقوله دإن توظيف أي كيان فعلى لعملية خلق ذاتي لكيان فعلى آخر يشير إلى أن الأول يكون موضوعا للثاني، (۱).

وإذا كان توظيف الفعليات السابقة في عملية معية نمو فعليات حاضرة يتكون من انتقال الفعليات إلى «موضوعات»، فإن توظيف الموضوعات الأبدية لا يتم إلا بولوجها ingression في الكيانات الفعلية يقول وايتهد: «إن توظيف الموضوع الأبدى في عملية الخلق الذاتي لكيان فعلى، يعنى (ولوج) هذا الموضوع الأبدى في كيان فعلى، (أ).

ويجب أن نلاحظ أن مصطلح «التوظيف» يشير إلى بعض القدرة التى توجد فى صميم الموضوعات أو المعطيات أو الفعليات السابقة. لذلك قرر وايتهد أن هذه الموضوعات أو الفعليات السابقة تكون بمثابة العلة الفاعلية، لحدوث كيانات فعلية جديدة. ومن هنا ندرك أن العلة الفاعلية تتمثل فى هذا المذهب فى الكيانات الفعلية السابقة باعتبارها موضوعات أو معطيات. والعلة الفاعلية هنا ليست فعلا Act. إنها علة فاعلية بفضل أسبقيتها والماضى أو

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ١٠٥.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٣١.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، ص ٣٤.

<sup>(</sup>٤) نفس المرجع، ص ص ٣٤ - ٣٥.

السابق لا يكون فعلا Act في الحاضر؛ ففعل الكيانات الفعلية السابقة يكون قد توقف حين يتم اكتمال الكيانات الفعلية السابقة؛ ومن ثم فسادها.. إنها تكون علة فاعلية بمعنى وتوظيفها، في الحاضر، بمعنى كونها شرطا لازما لفاعلية الكيانات الفعلية الحاضرة.. إنها تحدد سمات الخالقية أو سمات فاعلية الخلق فيما هو لاحق لها. يقول وايتهد وإن توظيف المخلوقات من حيث كونها مؤلفة للسمة المثالية للخالقية هو ما نضع له مصطلح (الخلود الموضوعي) للكيان الفعلى (۱).

ويتضح مما سبق أن طبيعة الكيان الفعلى مزدوجة كما أن طبيعة الموضوع الأبدى مزدوجة، وازدواجية طبيعة الكيان الفعلى يمكن أن تتضح بجلاء من نفس اسم الكيان الفعلى؛ أى من نفس المصطلح الذى اشتقه وايتهد، فمصطلح الكيان الفعلى يتكون من كلمتين هما : كيان Entity وفعلى Actual وبينما تؤكد الكلمة الأولى على وجود بالقوة من حيث أن الكيان يأخذ دوره وكموضوع، أو من حيث أنه يكون وخالدا من جهة الموضوع، تؤكد الكلمة الثانية على الفاعلية والمباشرة الذاتية دون توسط، ولقد قرر وايتهدهأن هذين الوصفين مطلوبان لتصور الكيان الفعلى؛ الوصف الأولى يمكن أن نصل إليه بتحليل القوة أو الإمكانية كموضوع لصيرورة كيان فعلى، والثانى نصل إليه بتحليل العملية الفاعلية التى تؤسس صيرورته أو إتيانه إلى الوجود بالفعل، (٢).

## بكلمات أخرى:

ويتشابه كل ماهو فعلى من حيث هو موضوع يتمتع بخلود يشكل الأفعال الخلاَّقة، كما أن كل شئ فعلى هو ذات Subject (٢). فالكيان الفعلى هو ذات في عملية معية نموة فإذا تم أو اكتمل انقلب إلى موضوع بالنسبة إلى كيان فعلى جديد.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٤٣.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٣١.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، ص ٧٨.

ويسبب از دواحية طبيعة الكيان الفعلي، استيقى وايتهد كلمة فعلى Actual الفعليات الحاضرة والسابقة على حد سواء، لكننا يجب أن نلاحظ أن الفعليات السابقة لا توصف بأنها فعلية بمعنى أنها لازالت كذلك وإنما هي توصف بذلك لأنها كانت فعلية من قبل. ويجب أن نؤكد هنا على أن تصور وابتهد للأشياء كان تصورا ديناميكيا، وليس تصورا استاتيكيا، ولعل هذا التصور هو الذي جعله برفض أي وصف استاتيكي مورفولجي للعالم يتخد صورا ثابتة كصورة الموضوع ـ المحمول أو صورة الذات ـ الصفة أو صورة الجوهر ـ الصفة Substance - Quality يقول وإيتهد اإن نظريتي تتضمن التخلي عن صورة الموضوع المحمول، أوصورة الذات - الصفة، باعتبار أنهما يمثلان التجسيد المباشر للخواص النهائية للواقعة، نتيجة لهذا فإنني أتحاشي أبضا تصور الجوهر - الصفة، وأحل محل مثل هذه الأوصاف المور فولوجية وصفا ديناميكيا للعملية، (١). ويضيف وايتهد إلى ذلك قائلا ،إن أحوال Modes اسبينوزا تصبح عندى فعليات، وعلى الرغم من أن تحليلها يثرى من فهمنا، إلا أن الأحوال (التي أصبحت فعليات في مذهب وايتهد) لا تقودنا إلى اكتشاف درجة عليا ما من درجات الفعليات (أي اكتشاف الجوهر الأوحد مثلا) إن ترابط نسقى الفلسفي يتمثل عندي في اكتشاف أن عملية معية نمو أي كيان فعلى تتضمن كيانات فعلية أخرى ضمن عناصرها، على هذا النحو يمكن تفسير اتحاد وتماسك العالم، (٢).

إن تضمن الكيان الفعلى لكيانات فعلية أخرى تكون ضمن عناصره، يصبح أمرا ممكنا في ضوء الطبيعة المزدوجة للكيانات الفعلية؛ ذلك لأن هذه الطبيعة المزدوجة للكيانات الفعلية يمكن تلاحمها وبيان تأثير ناحية منهما بالنسبة إلى الأخرى في ضوء عملية خلق ديناميكية تعترى العالم وتؤسسه. ولقد أشار وايتهد هنا اللي أن مبدأ أو مقولة النسبية الكلية تعارض تماما ما قرره أرسطو

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ١٠.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ص ٨ – ٩.

حين قال (أن الجوهر لا يحصر في الذات Pressent in a Subject فعلى العكس من هذا، طبقا لمبدأ النسبية، وحضر الكيان الفعلى في كيانات فعلية أخرى.. إن كل كيان فعلى يكون يحضر الكيان الفعلى في كيانات فعلية أخرى.. إن كل كيان فعلى يكون حاضرا في كل كيان فعلى آخر، والفلسفة العضوية تكرس نفسها لتوضيح فكرة (الحضور في كيان آخر) والعبارة الأخيرة عبارة أرسطية، لكنها ليست عبارة موفقة تماما.. لأنها تقترح فكرة فجة عن إضافة كيان فعلى إلى آخر بسيط، وهذا مالا نعنيه، (١).

وسوف نبين في الباب الثالث وبوضوح كامل، كيف يمكن أن يحضر كيان فعلى في آخر.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٦٩.



## الباب الثالث نسق المقولات الوايتهدية (مذهب الخبرة)

الفصل التاسع: اصلاح المبدأ القائل بالذاتية.

الفصل العاشر: الخبرة كمقولة ميتافيزيقية.

الفصل الحادى عشر: تحليل الخبرة.

الفصل الثاني عشر: مقولة الاستحواذ.

الفصل الثالث عشر: الاستحواذ وعملية إنتقال الذات إلى موضوع.



# الفصل التاسع إصلاح المبدأ القائل بالذاتية

٢٢ - العلائقية الداخلية والخارجية.

٢٣ -- مبدأ الذاتية المعدل.



## العلائقية : الداخلية والخارجية

إن نقطة الخلاف الرئيسية التي ميزت فلسفة وايتهد عن غيرها من الفلسفات تتمثل في قبول وايتهد لفكرة العملية Process واعتبارها خاصية ميتافيزيقية أساسية لكل ماهو فعلى. نعم لقد كانت هناك محاولات فلسفية سابقة على محاولة وايتهد أضفت نوعا من الإهتمام على أفكار العملية والتغير والصيرورة، لكن هذه المحاولات فشلت في أن تجعل من تلك الأفكار خواصاً ميتافيزيقية رئيسية لماهو فعلى، وانصب كل اهتمامها في إدراج تلك الأفكار في مراتب أنطولوچية ثانوية؛ فلقد اعتبر أرسطو مثلا الصيرورة، على أنها مرحلة لازمة لتحقيق ماهو فعلى، بمعنى أن يكون ماهو فعلى نتاجا لعملية الصيرورة، أما وايتهد فلقد اعتبر العملية أو الصيرورة على أنهما نفس وجود أو كينونة ماهو فعلى. وفي هذا تكمن جدة وأهمية فلسفة وايتهد من حيث أن كينونة ماهو فعلى وجود، والوجود يعنى العملية، أو من حيث أن صيرورة أي كيان فعلى تعنى وجوده، وأن وجود أي كيان فعلى يعنى صيرورته.

لقد اتجهت كتابات وايتهد المتأخرة نحو التدقيق الجاد فى هذا النصور الخلاق الذى قدمه فى ميدان الفلسفة، ونحو إيجاد تطبيقات واسعة له. يقول وايتهد وإن العملية فى وضوحها التام تتضمن فكرة نشاط خلاق ينتمى إلى الطبيعة الأصلية لكل حادثة، إنها العملية المتضمنة فى الموجودات الفعلية المنتشرة فى العالم، والتى تكون موجودة فيها بالقوة وجوداً غير محققاً للمنتشرة فى العالم، والتى تكون موجودة فيها بالقوة وجوداً غير محققاً Self ثم تتحق فيما بعد (وهكذا). إن عملية الخلق الذاتى - Self مباشرة النمتع الذاتى Self - enjoyment مباشرة النمتع الذاتى Self - enjoyment (1).

إن هذا الإنتقال ممكن - حسب مذهب وايتهد - بفضل إحتواء الكيانات الفعلية ، التي تكون في عملية خلق ذاتي ، على كيانات فعلية سابقة - ولكي نفهم طبيعة هذا الإحتواء ، وكيف يمكن لكيان فعلى أن يكون حاضراً في كيان فعلى آخر ، فإنه لمن الضروري أن نفحص أكثر طبيعة ، ذاك ، الذي يوجد من ناحية جوهرية ؛ أي طبيعة الكيان الفعلى . وعلينا أن نسأل : كيف يمكن أن نتصور كياناً فعلياً يكون قادراً على احتواء كيانات فعلية أخرى ؟ وماذا يجب أن تكون عليه طبيعة هذا الإحتواء ؟

ينبغى أن نلاحظ هنا أن مشكلة الإحتواء ليست من اختراع وايتهد أو تتعلق بتظريته وحده؛ ذلك لأن هذه المشكلة نمثل مسألة ميتافيزيقية عامة يجب أن تواجهها جميع النظريات بلا استثناء. إنها تتمثل في مشكلة العلائقية التي تبحث في علاقة كيان فعلى بآخر، كما أنها تظهر في الإبستمولوچيا في مشكلة الإدراك التي تبحث في كيفية كون الكيانات الخارجية التي هي موضوعات لذوات مدركة باطنة في أوحالة في خبرات تلك الذوات؛ ذلك لأنه إذا لم تكن تلك الموضوعات باطنة فيعما هو قائم بالإدراك، بوجه ما من الوجود، فلا يمكن أن تكون هناك خبرة بتلك الموضوعات. يقول وايتهد الا

<sup>(</sup>١) وايتهد: أنماط الفكر، ص ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

يمكن أن يكون هناك برهان على وجود عالم الكيانات الفعلية، إلا إذا أفصحت مباشرة الكيان الفعلى عن تلك الكيانات الفعلية باعتبارها أساسية فى تكوينه. (والواقع) أن فكرة ديكارت عن الخبرة الغير أساسية للعالم الخارجى، هى فكرة جد متباينة مع فكرة فاسفة عضوية، وهى فكرة تمثل نقطة خلاف جذرية، وترينا بوضوح سبب تخلى الفلسفة العضوية عن أى مدخل يرتكز على فكرة الجوهر ـ الصفة للكيان الفعلى، (١).

ومعنى هذا.. أننا نستطيع أن نبرهن على العالم الخارجى، بواسطة موافقتنا على وجود علاقات داخلية بين الفعليات المكونة لهذا العالم وبين النوات المدركة. إلا أن وايتهد يقرر أن العلاقة الداخلية بين الفعليات وبين ذات مدركه تشير إلى أن ثمة اختلافات بين هذه الفعليات وتلك الذات وإلا لما وجدت علاقة على الإطلاق. ويضيف إلى ذلك أن الموضوع مالم يكن ذا علاقة داخلية مع المدرك، ومن ثم يختلف معه، ويكون أساسيا في تكوينه، فإن خبرة المدرك لا يمكن أن تكون خبرة كيان فعلى. ونفس الأمر ينطبق على تصور الجوهر ـ الصفة الذي أقره ليبنتز مثلا حين ذكر أن الفعليات تكون ذات علاقات خارجية تماماً مع المدرك (\*). فإن هذا ينتتج عنه بلاشك عدم وجود خبرة فعلية بتلك الفعليات، أو وجود خبرة غير أساسية بالعالم الخارجي على خبرة فعلية بتلك الفعليات، أو وجود خبرة غير أساسية بالعالم الخارجي على

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٢٠١.

<sup>(\*)</sup> أذكر ليبنتز أن يكون هناك أدنى تأثير يحدث تغيرا داخليا فى الموناد الذى عرفه بأنه جوهر بسيط (الموناد ولوحيا، فقرة ١) يقول ليبنتز الا يمكن أن نجد طريقة يمكن أن نفسر بها كيف يتغير الموناد داخليا بواسطة غيره من المخلوقات، لأنه من المستحيل أن نبدل فيه أى شئ أو أن نلحظ فيه أى حركة داخلية يمكن لها أن توجه أو تزيد أو تقل فى داخليته كما يمكن أن يحدث في المركبات حيث نقوم التغيرات بين أجزائها؛ فالمونادات مغلقة على نفسها ولا نوافذ لها بحيث لا يمكن لأى شئ أن يدخل فيها أو يخرج منها أما الأعراض فلا يمكن أن تنفصل أو أن تنطلق خارج الجواهر، كما كان يحدث قديما للأنواع المحسوسة عند المدرسيين ومن ثم فإنه لا يمكن للجوهر أو العرض أن يدخل من خارج إلى الموناد، (الموناد ولوجيا، فقرة ٧) وبإنكار ليبنتز للعلاقات الداخلية بين المونادات سلم ـ لكى يفسر وجود عالم من المونادات ـ بعلاقات خارجية. يقول ليبنتز اكل موناد هو مرآة للعالم من

حد تعبير وايتهد. إن العالم الخارجي لا يكون ذا علاقات داخلية في تصور الجوهر - الصفة، ومن ثم فإن هذا التصور لا يتوافق مع تصور خبرة بأشياء خارجية أو إدراك لأشياء خارجية - فالواقع أننا لو سلمنا بأن ثمة إدراك للأشياء الخارجية، فمن الصروري أن نسلم بأن «التكوين المدرك الكيان الفعلي يقدم مشكلة كيف أن الكيانات الفعلية الأخرى، كل حسب وجوده الخاص، تدخل موضوعيا في التكوين المدرك للكيان الفعلي مثار النظر، (١) . ولقد أشار وايتهد هنا وكما سنرى فيما بعد تفصيلا إلى أن «المذاهب الكلاسيكية في الكليات والجزئيات، وفي الموضوع والمحمول، وفي الجواهر المفردة لا تمثل في جواهر مفردة أخرى، وفي العلاقات الخارجية . وتتفق في عدم قدرتها على حل هذه المشكلة، (١).

والحق أن هذه المشكلة لا تثار فقط بمناسبة الإدراك، ولكنها تثار أيضاً في كل أنواع العلاقات، التي يكون فيها لكيان ما أي تأثير على كيان آخر، أي بحدث فيها كيان اختلافا في كيان آخر، ويقرر وايتهد أن مثل تلك العلاقات

وجهة نظره الخاصة، (موناد ولوجيا، فقرة ٦٣) والواقع أن كل موناد، إذا كان مغلقا على ذاته، ولا نوافذ له، وأنه يحوى في ذاته على مبادئ تغيره التي ليست إلا شغفه وإدراكه، فإن هذا ينجم عنه عالم متكثر، أي فيه كثرة من الجواهر البسيطة، كل جوهر منها له كيفياته الخاصة، وإستقلاليته، وإنيته، ويتعذر علينا فهم كيف يترابط هذا العالم المتكثر والمستقل الوحدات، مادام لا يوجد علاقات داخلية بين هذه الوحدات، نعم لقد لجأ ليبنتز إلى فرصه عن سبق التوافق Pre - established Harmony لكي يفسر توافق هذه المونادات، وقرر وجود إله، ضمن مهامه، عملية التوفيق هذه، وهذا ما يرفضه وايتهد تبقى إذن العلاقات السطحية بين المونادات والمتمثلة في أن أي موناد يعكس على مرآته دون أن ينغذ إليه - كل موناد آخر في العالم . وهذا ما جعل وايتهد يقرر أن هذا التفسير دون أن ينتج عنه وجود خبرة فعلية بالجواهر أو بالكيانات الفعلية (لمزيد من التفاصيل أنظر : على عبد المنعطي محمد - ليبنتز فيلسوف الذرة الروحية مع ترجمة الموناد ولوجيا) .

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٧٨.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، نفس الموضع.

هى علاقات داخلية internal ، أما العلاقات الخارجية External فهى لا تمثل عنده أى علاقات بالمرة ؛ فليس ثمة علاقة خارجية تتمثل فى مسافة أو فى تحديد لليسار أو اليمين أو للأعلى أو للأسفل؛ إذ مثل هذه المسافة وذاك التحديد لايتمان إلا بواسطة كيان فعلى ثالث يلاحظ كيانين آخرين بينهما هذه المسافة أو ذاك التحديد.

رفض وايتهد رفضا باتا تصور الفعليات الذى قدمه نيوتن، كما رفض تصور الجزئيات المادية (الذرات) الذى قدمه لوقيبوس وديموقريطس وأبيقور ورفض أيضاً تصور الإمتداد لدى ديكارت؛ فهذا الامتداد رغم قبوله للعلاقات الخارجية، فهو قادر على تبادل جزئياته للأثر والتأثير بفضل الصدمة. ورأى أن هذه التصورات تمثل خلطا فكريا، لأنها باعتبارها نماذج من تصور الجوهر الصفة، رأت أن كل كيان فعلى يمكن إدراكه كأنه مستقل ذاتيا في بنائه أو تكوينه، وغير متأثر في طبيعته بأى شئ يحدث له، أى أنها تصورت كل شئ جوهرى وعلى أنه كامل بذاته، ومستقل تماماً، وبحيث لا يشير إلى شئ جوهرى آخره (۱). ولعل هذا الرأى الذى عارضه وايتهد بقوة يعد أساسا لتصور العلاقات الخارجية البحتة.

وكم الاحظ ليبنتز تعقيبا على تصور الامتداد الديكارتي فإن أى تغير يؤدى إلى سرعة أو اختلاف في السرعة تحت تأثير صدمة impact يتضمن بمعنى ما اختلافا يحدث الفعليات مثار النظر، ومن ثم تكون علاقة الصدمة علاقة داخلية في صميمها (\*).

ويضعنا وايتهد أمام الاختيار التالى : إما أن نبقى على تصور الجوهر . الصفة، وما يتبع ذلك من إنكار لكل العلاقات الداخلية بين الفعليات، وإما أن

<sup>(</sup>١) وايتهد: مغامرات الأقكار، ص ١٦٩.

<sup>(\*)</sup> يجب أن نذكر هنا أن فيزيقا القرن العشرين. قد تخلت تماما عن فكرة الإختلاف الداخلي، والذي يحدث للجزئيات، فكل التفاعلات بين الجزئيات أصبحت تتضمن كسب أر فقدان الطاقة Encrgy ، بإعتبار أن الطاقة أساس جوهري داخلي للجزئيات (المترجم) .

نقبل قيام علاقات داخلية بين الفعليات، وما يتبع ذلك من رفض لتصور الجوهر - الصفة. فنحن لا نستطيع أن نقدم تفسيرا فلسفياً مترابطا ومتناسقا للعلاقات الداخلية القائمة بين الاشياء، والتي تظهر جلياً في كل خبراتنا، إذا ارتكزنا على تصور الجوهر - الصفة. يقول وايتهد: وإن الوصف الذرى، أو المونادى (\*). ترجع العالم المتصل داخليا إلى فرديات كاملة ومستقلة. وتحطم اتصاليته إلى كثرة من الأشياء الجوهرية الغير متصلة، التي يعبر كل شئ جوهرى منها، وبطريقته الخاصة، عن مجموعة من السمات الخاصة ترتكز على فرديته الجوهرية الخاصة، كما يكون لكل شئ جوهرى صفته أو صفاته (١).

ويرى وايتهد أن أى محاولة لتفسير الاتصال الداخلى بين الأشياء بواسطة الرجوع إلى قدرة ترانسنتندالية - كما هو الحال عند ليبنتز (\*\*) - أى إلى الله أو الموناد الأعظم تتضمن بلاشك أغلوطة اللاترابط؛ ذلك لأن التفسير المترابط للاتصالات الداخلية بين الأشياء لا يكون ممكنا إلا في ضوء مذهب العلاقات

<sup>(\*)</sup> يقصد وايتهد بالوصف المونادى، فلسفة ليبنتز المستندة إلى فكرة الموناد، والموناد عند ليبنتز ، جوهر بسيط يدخل فى تكوين المركبات، بسيط أى بدون أجزاء (المونادولوجيا - فقرة رقم ١) وحيث أن الموناد لا أجزاء له فليس له أيضا إمتداد ولاشكل ولا إنقسام ممكن (الموناد ولوجيا فقرة ٤) ويقرر ليبنتز أن المونادات لا تختلف كما ولكنها تختلف كيفا، بحيث لا يوجد مونادان متشابهان تماما، وأن التغيرات الطبيعية للمونادات تصدر عن مبدأ داخلى مادامت العلة الخارجية لا يمكن أن تحدث عنها أى تأثير فى داخلية الموناد، فتغير الموناد يكون منبئا فى صميمه (أنظر : La Monadologie P. الموناد أنهي ويتغير طبقا لمبدأ والخلاصة أن الموناد الليبنتزى جوهر بسيط مستقل وكامل بذاته ويتغير طبقا لمبدأ داخلى بخصه، وأنه يتصف بصفات تميزه عن أى موناد آخر (المترجم).

<sup>(</sup>١) وايتهد : مغامرات الأفكار، ص ص ١٦٩ - ١٧٠.

<sup>(\*\*)</sup> فشل ليبنتز في تفسير الإتصال الداخلي بين الأشياء، فراح يلتمس وجود قدرة إلهية يعزى إليها تفسير هذا الاتصال أو التوافق، ووجد أن طريق سبق التوافق The Way of الذي اخترعه الفن الإلهي، وخلق منذ البداية الجواهر pre - established harmony بطريقة كاملة ومنتظمة ومتقنة، بحيث أن إتباعها لقوانينها الخاصة التي منحت إياها بادئ ذي بدء يجعل كل جوهر منها متوافق مع الآخر كما لو كان هناك تأثير متبادل بينها أو

الداخلية internal relations وهذا يعود بنا إلى مشكلة كيف أن كيانا فعليا يكون في علاقة داخلية مع آخر ؟ وماذا يجب أن تكون عليه طبيعة هذا الكيان الفعلي حتى بكون هذا الأمر ممكناً ؟

كما او كان الله واضعا يده عايها بإستمرار مؤيداً إنتظامها وحافظا لتوافقها. ويؤيد ليبنتز فرضه هذا عن سبق التوافق بقوله أنه غير محتاج لتقديم برهنته عليه، لأن الله ماهر لدرجة تمكنه من إستخدام فنه المخترع، بطريقة أسمى، وأكثر اتقانا من إستخدام الإنسان لفنونه المختلفة. وطريقة سبق التوافق تمكننا من فهم توافق المملكة الطبيعية مع المملكة الأخلاقية، كما ترينا التوافق بين إدراكات الموناد وحركات الأجسام (أنظر:: Leibntiz Principe de la nature et de la grace Para 3) وعلى هذا النحو فإن النوافق المتبادل بين المونادات المختلفة التي لا تتفاعل فيما بينها، ومع ذلك فهي في توافق تام كما لو كان هناك تفاعلا حقيقيا بينها إنما يستمد من وجود الله كخالق لتلك المونادات، مادام أن التوافق التام بين الجواهر العديدة غير منبق عن إتصال المونادات أو عن اندماجها أو تفاعلها وإذن فالتوافق الذي نراه بين المونادات اللامتناهية العدد والمنتشرة في العالم إنما مبعثه علة عامة واحدة ألا وهي الله. ويكون التأثير بين الجراهر البسيطة مثاليا فقط، وهذا التأثير لا يمكن أن يحدث أثره إلا بتدخل الله من حيث أنه في مجال أفكار الله يكون لكل موناد أن يطالب عن حق بأن يرعاه الله خلال قيامه بتنظيم المونادات الأخرى منذ بداية الأشياء، ومن ثم فإن أي موناد مخلوق لا يمكن أن يكون له تأثير طبيعي في داخل موناد آخر.. ويتبع ذلك أنه بين الأشياء المخلوقة يوجد تبادل إيجابي وسلبي لأن الله حين يقارن جوهرين بسيطين يجد في كل منهما أسبابا تضطره لأن يوفق بينهما (الموناد ولوجيا، فقرة ٥١ - ٥٧) ويتبين من ذلك كله أن ليبنتز إضطر لأن يفسر الإتصال الداخلي بين المونادات بواسطة الرجوع إلى قدرة إلهية عليا. (المترجم).

### - ۲۳ -مبدأ الذاتية المعدل

أثار وايتهد في معالجته للمشكلة الآنفة السؤال التالى: ماهى المعطيات الأولى للفلسفة؛ تلك المعطيات التى يقوم عليها التعميم الفلسفى؟ وبصورة أخرى: ماهى المعطيات التى نكتشف عن طريقها، وباستخدام منهج العقلنة الخيالية، الطبيعة العامة للكيانات الفعلية؟

لقد أشار وايتهد إلى أن الإنجاء السائد والشهير في التراث الفلسفي، تمثل في اعتبار الموضوعات الماكروسكوبية Macroscpic Objects (أي الأنواع والأجناس) على أنها أمثلة للكيانات الفعلية. ومن ثم رأى أنصار هذا الإنجاء أن التعميم الفلسفي يبدأ من مثل تلك الموضوعات أو الكيانات. ولقد تمكن المنطق التقليدي من أن يكون تطبيقيا اعتبارا من مثل تلك الموضوعات أو الكيانات (\*). وفي ضوء هذا الإنجاء خرجت لدينا النظرية القائلة ،بأن الواقعة الكيانات (\*).

<sup>(\*)</sup> الموصوع في المنطق التقليدي كلى وكذلك المحمول، ونكتفى هنا بالاشارة إلى المفهوم والماصدق كي تظهر لنا تلك الناحية الكلية التي مكنت المنطق التقليدي من أن يصبح تطبيقيا؛ فكل تصور بصدق على أفراد أو أشياء وتفهم منه مجموعة صفات أو كيفيات أو

الميتافيزيقية النهائية تفسر دائما كصفة متضمنة في جوهر؛ (١). وهذه هي النظرية التي رفضها وايتهد، لأنها تجعل تصور العلاقات الداخلية تصورا مستحيلا أو غير ممكن.

لقد قدم ديكارت ـ يقول وايتهد ـ خطوة فلسفية متقدمة حين قرر المبدأ القائل بأن مايمد الفلسفة بالمعطيات الأولى Primary data هى الجواهر باعتبارها ذوات متمتعة بخبرات شعورية . ولقد مثل هذا القول انحيازا نحو المبدأ الذاتى الذى تغلغل فى الفلسفة الحديثة بفضل كتابات ديكارت . ونحن نرى فى المذهب الديكارتى اكتشافا فلسفيا عظيما لم يتنبه إليه أحد منذ عهد أفلاطون وأرسطو ، وهو إنكار ديكارت، وبصورة مباشرة وواضحة ، أن تكون القضية (الحجر أخضر) تعبيرا عن صورة أولية للواقعة التى نحسبها نقطة بداية للتعميم الميتافيزيقى ، ذلك أننا إذا نظرنا بعمق فى التمتع الذاتى بالخبرة ، فإن نقطة البداية ، شوف تمثل فى (خبرتى باخضرار الحجر) ، (٢) .

معانى، فكلمة إنسان مثلا تصدق على سقراط وأرسطو ومحمد ومصرى وزنجى.. الخ. وبفهم مثها الحيوانية والعاطفية والضاحكية والإجتماعية.. الخ. ومن هنا فإن الأفراد الذى يصدق عليهم التصور يسمون بالماصادق extention or denotation أما الصغات التى تفهم من التصور فتسمى بالمفهوم intension or connataion . إن كل ما يطلبه المنطق يقول لاتا وماكبت هو أنه يجب أن يتضمن الحد إذا ما استخدم بعض الصغات، وأن يطبق على بعض الموضوعات، أى أن تكون له ناحية مفهومية وأخرى ماصدقية (أنظر: يطبق على بعض الموضوعات، أى أن تكون له ناحية مفهومية وأخرى ماصدقية (أنظر: الماصدق هو عدد الأفراد الداخلين تحت جنس، أعنى عدد الأحكام الممكنة التي يكون هو محمولها، والمفهوم هو عدد الصفات المشتركة بين أفراد النوع أعنى عدد الأحكام التي يكون هو موضوعها، وأنظر والحد المنطق المشتركة بين أفراد النوع أعنى عدد الأحكام التي نكون هو معمولها، والمفهوم أو الحد المنطقي يشير إلى موضوعات كثيرة هي ما صدقات كما يشير إلى محمولات هي مفهومات، وبهذه الصفة الكلية تمكن المنطق التقليدي من أن يكون تطبيقيا إن في المفهوم (أنظر: على عبد المعطى محمد ـ المنطق ومناهج البحث العلمي في العلوم الطبيعية والرياضية، ص ص ٨٠ - ٨٧) (المترجم).

<sup>(</sup>١) وأيتهد : العملية والواقع، ص ٢٢٠.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٢٢٢.

وهذا يعنى أن المبدأ القائل بالذاتية، إذا قبل أن المعطيات الأولى تتمثل في دات تخبر موضوعاتها ك.. Subject experiencing its objects as .. فإنه كان يرفض تصور مقولات الجوهر ـ الصفة، يقول وايتهد اإذا كان التمتع بالخبرة يمثل الواقعة الذاتية المركبة، فإن مقولات الجوهر ـ الصفة سوف تفقد كل ادعاء لها بأن تكون خواصا رئيسية في الميتافيزيقا، (۱) . وذلك لأن الذات التي تخبر موضوعاتها ك... لا يمكن أن تحلل بدقة في ضوء هذه المقولات. إن أي محاولة كهدة لابد وأن تتأدى بنا إلى الخلط والخطأ؛ فالموضوعات ليست صفات Qualities لذات مدركة، وكذلك الخواص الميتافيزيقية.

رفض وايتهد إذن تصور الجوهر ـ الصفة، وما يتبعه من تصور جواهر فردية، يكون لكل جوهر منها صفاته الخاصة به . يقول وايتهد الظهور المذهب الديكارتى، فقدت مقولة الجوهر ـ الصفة كل ادعاء لها بأن تكون خاصية أولية ميتافيزيقية . والتخلى عن هذه المقولة يعنى الرفض لفكرة جواهر فردية ؛ يكون لكل جوهر منها، عالمه الخاص من الصفات والإحساسات (٢).

ويعيب وايتهد على ديكارت احتفاظه بتصور الذوات المدركة على أنها «جواهر فردية، لكل جوهر منهاعالمه الخاص من الصفات والإحساسات، ومن ثم احتفاظه بمقولة الجوهر - الصفة، رغم مناداته بالمبدأ القائل بالذاتية، ذلك أن ديكارت تصور الفهم والإحساس والشهوات والإرادة على أنها كيفيات للجوهر الفكرى أو الروحي (\*). وكيفيات ذات وجود ذاتي بحت، الأمر الذي

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، من ٢٢٢.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٢٢٤.

<sup>(\*)</sup> ذهب ديكارت إلى أن لكل جوهر صفة مكونة لماهيته، مقومة لطبيعته، وأن الفكر هو صفة الجوهر الروحى، والفكر عند ديكارت هو كل ما يجرى فينا بحيث ندركه بأنفسنا، وهو يترجم إلى لغته الروحية كل ما يجرى في الامتداد، بحيث يمكن القول بأن حقائق الإمتداد يكون لها ما يقابلها في الفكر. وهذا والفكر يكون أحيانا فهما وأحيانا شهوة وأحيانا ثالثة إرادة، أما الفهم فيشتمل على المعانى الثلاث التالية:

تأدى به إلى قبول نظرية للإدراك قائمة على التمثل الذاتي، واحتفاظه بالتالى بمقولة الجوهر ـ الصفة، ووقوعه من ثمة في الخلط والخطأ، وفيما يمكن تسميته بالمذهب الأنوى Solipsism (\*\*).

ولما كان المذهب الأنوى لا يقرر إلا وجود الأنا، فلقد نتج عن ذلك انفصال أجزاء العالم في إنيات وذوات لاعدد لها، ولا سبيل حقيقي إلى ريطها، ومع ذلك قامت عدة محاولات فلسفية للربط بين هذه الوحدات المنفصلة، وفشلت كلها في ذلك، ووقعت في أغلوطة اللاترابط التعسفي. يقول وايتهد وإن الغطاء اللامترابط للمبدأ القائل بالذاتية كما أقره ديكارت وأتباعه، يجعل من المحال أن نتحاشي ما أسماه سانتيانا Santayana بالوقوع في خطر المذهب الأنوى المعاصر، (١).

ا - معانى تولد معنا تشير إلى استقلال الفكر وفطريته.

٢ - معانى حسية من عمل التجرية والحواس.

٣ – معانى وهمية من عمل الوهم والخيال.

أما الشهوات فهى عنده كل إدراك أو عاطفة أو انفعال يتصل بالنفس، وللشهوة علتان: الأولى نفسية والثانية جسمية. كما أن هناك شهوات أولية تشتق منها باقى الشهوات. وهذه الشهوات الأولية ستة وهى: الدهشة والحب والبغض والرغبة والفرح والحزن (أنظر: الشهوات الأولية ستة وهى: الدهشة والحب والبغض والرغبة والفرح والحزن (أنظر: 312 - 306 . PP. 306 . PP. 306) أما الإرادة فهى المظهر الأخير من مظاهر الجوهر الروحى، وهى تظهر أكثر ما تظهر فى الحكم؛ إذ بينما تكون وظيفة الفهم هى تلقى ما يقدم إليه من الخارج أو من الداخل والإحاطة به دون إثباته أو نفيه، نجد الإرادة هى التى تستطيع أن تكون أحكاما نثبت فيها وبنغى، وهكذا أبقى ديكارت على إثبات وجود نفسه كجوهر مفكر أو كجوهر صفته التفكير، أو بلختنا أبقى على تصور الجوهر - الصفة (أنظر: على عبد المعطى محمد: ليبنتز فيلسوف الذرة الروحية، مع ترجمة الموذاد لوجيا ص ص ٩١ – ٩٢) (المترجم).

<sup>(\*\*)</sup> يرى أنصار المذهب الأنوى Solipsism بأنه لا وجود لأى شئ غير الأنا ؛ فالأنا هي التي توجد، وصفاتها باطئة فيها، وأفكارها فطرية في داخلها، وهي تتمثل ذاتها، وتعيش أفكارها، وليست في حاجة إلى الغير أو العالم الخارجي، ومن ثمة فليس هناك ما يسمى بالموضوعية أو بوجود موضوعي خارج الأنا (المترجم).

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٢٢٠.

نحن نقع إذن في ضلال المذهب الأنوى، إذا قبلنا المبدأ القائل بالذاتية كما قرره ديكارت وأتباعه، ويرى وايتهد أننا نستطيع أن نبتعد تماماً عن تلك الخطورة وذلك الضلال، إذا عدلنا هذا المبدأ، بحيث يشير إلى أكثر من الأنا أو الذات، وبحيث تكون الخبرة غير مقتصرة على العقل الفردى وصفاته، بل تتجاوزه إلى أشياء خارجية. يقول وايتهد ،إذا لم تكن الخبرة قائمة على محتويات موضوعية، فلا مفر من الوقوع في ضلال المذهب الذاتي الأنوى محتويات موضوعية، فلا مفر من الوقوع في ضلال المذهب الذاتية، والذي انحرف به ديكارت تجاه الذات، بينما تغافل تماماً عما هو موضوعي وخارجي، يمكن تعديله وتقويمه وإصلاحه، إذا وضعنا نصب أعيننا أن هناك معطيات للذات المدركة، تتجاوز ذاتها، وتوجد وجوداً موضوعياً خارجياً. يقول وايتهد ،إن الكشف الديكارتي كان منحازاً إلى جانب المذهب الذاتي، وهو يتطلب موازنته بمبدأ موضوعاتي Objectivist Principle يمثل معطيات الخبرة، (٢).

وهكذا يرى وايتهد أن المبدأ الذاتانى المعدل يكشف عن الإقرار بوجود موضوعات للخبرة تتمثل فى الأشياء الخارجية التى تحل بوجه ما من الوجوه فى الخبرة الذاتية للكيان الفعلى، وأن الأمر إذا لم يكن كذلك، فلا يمكن أن نستدل إستدلالا صحيحاً على عالم الأشياء الخارجية، وستقتصر كل ذات على إنيتها الفردية المستقلة المكتفية بذاتها.

والمبدأ الذاتي المعدل يشير إلى :

۱ – أن الموضوع Object يرتبط دائماً ببذات تخبره، على أن ندرك أن الموضوع هنا ليس مرادفا تماماً للشئ thing أو للشئ الخارجي External أو للكيان الخارجي External entity لكنه يكون دائماً حالا داخل ذات تخبره.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٢١٢.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٢٢٤.

٢ - أن هذه الموضوعات هي كيانات أخرى غير الكيان الفعلى الذي يخبرها
أو غير حادثة الخبرة، وهذا القول متضمن فيما أشار إليه المبدأ
الأنطولوچي من أن الموضوعات لا يمكن أن تنجم في عملية الخبرة عن
لاشئ.. ولقد فسر وايتهد ذلك بقوله ،كي يتم توظيف كيان ما، بحيث
يصبح موضوعاً لعملية الخبرة، يجب أن يتحقق شرطان:

أ - يجب أن يكون الكيان سابقاً.

ب - ويجب أن يكون بفضل أسبقيته معطى للخبرة. ومن ثم فالموضوع يجب أن يكون شيئاً يستقبل أو يحتوى، لاحالة استقبال، أو حالة تولد ذاتى داخل حادثة ما. إن عملية الخبرة تتكون من استقبال الموضوعات في وحدة حادثة مركبة هي العملية ذاتها.. إن العملية تحقق ذاتها ولكنها لا تخلق الموضوعات التي تستقبلها باعتبارها عوامل لازمة لطبيعتها الأصلية، (١).

رأى وايتهد إذن أن الخبرة تتمثل أساساً فى فاعلية استقبال أو إحتواء الكيانات كموضوعات وأن وهذه الموضوعات ليست إلا عوامل للخبرة، توظف فيها على هذا النحو، كى تفسر كون الحادثات، ابتداء من إحتوائها على عالم يتجاوز ذاتها من الأشياء الأخرى. ومن هنا فينسب إلى كل حادثة سمة كونها مهتمة بغيرية تتجاوز ذاتها. إن الحادثة حادثة واحدة بين حادثات أخرى، لكنها تحتوى على الحادثات الأخرى التى تكون هى بينها (٢).

نستطيع أن نرى الآن أن المبدأ الذاتى المعدل، لا يتوافق فقط مع المبدأ الأنطولوچى لكنه يتوافق أيضاً مع المقولات الرئيسية الأخرى التى ذكرها وايتهد في نسقه الفلسفي. يقول وايتهد: وإن المبدأ الذاتى المعدل، والذي يتوافق مع الفلسفة العضوية، ليس إلا صيغة أخرى لمبدأ أو مقولة النسبية؛ فهذا المبدأ يقرر أن من طبيعة الموجود أن يكون قوة لكل صيرورة ... وبناءاً على (مقولة العملية) تؤسس كيفية صيرورة الكيان الفعلى ماذا تكون عليه طبيعته.

<sup>(</sup>١) وايتهد : مغامرات الأفكار، ص ٢٢٩.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٢٣١.

والمبدأ الذاتى المعدل يقرر أيضاً أن الموجود يتكون من صيرورته، وأن الطريقة التى نصف بها كياناً فعلياً بواسطة كيانات فعلية أخرى هى الخبرة بعالم فعلى متمتع بكيانات فعلية كذوات، إن هذا المبدأ يعنى أن العالم كله يتكون من عناصر يكشف تحليها عن خبرات للذوات، وأن العملية هى صيرورة الخبرة. ويتبع ذلك أن الغلسفة العضوية تقبل تماما الإنحياز إلى ذاتية الفلسفة الحديثة، ومذهب هيوم القائل بعدم قبول أى شئ فى النسق الفلسفى مالم يكن عنصراً من عناصر الخبرة الذاتية. وهذا يتفق مع المبدأ الأنطولوچى (۱).

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٢٣٣.

# الفصل العاشر الخبرة كمقولة ميتافيزيقية

٢٤ - رفض وايتهد لتصور الكيان الفعلى الفارغ.

٢٥ – مقولة الخبرة.



## - ٢٤ -رفض وايتهد لتصور الكيان الفعلى الفارغ

اكتسبت الفلسفات التى أنت بعد ديكارت خاصيتها المميزة ابتداء من الاختلافات القائمة بينها فى تناول المبدأ القائل بالذاتية : فلقد ميز هذا المبدأ الشك الديكارتي (\*) . كما ميز المذهب الحسى القائل بالذاتية الذى اشترك فيه

<sup>(\*)</sup> بدأ ديكارت فلسفته بالشك الذي تناول كل شئ، ولم تسلم منه حتى القضايا الرياضية والبديهيات والمسلمات، إذ يقول ديكارت ، ويوسعنا أن نشك أيضا في الأشياء التي بدت لنا من قبل يقينية جدا، بل نشك أيضا في براهين الرياضة وفي مبادئها وإن تكن في ذاتها جلية جلاءا واضحا، (أنظر: ديكارت: مبادئ الفلسفة - الجزء الأول - فقرة ٥) ، ولكن الشك الديكارتي لم يكن مؤديا إلى لا شئ كما هو الأمر عند الشكاك أو كما هو الحال عند مونتني، (أنظر: Brunschvicq, L.: René descartes, P. 32) إنما كان شكا منهجيا مخالفا الشك اغريبا وسانشير ومونتني السابق ذكره، إذ تأدى منه ديكارت إلى اليقين الأول وهو إثبات وجود نفسه كذات مفكرة؛ فهو مادام يشك في كل شئ فهو إذن يشك، وما دام يشك فهو يفكر، وما دام يغكر فهو موجود ، فنحن نشك تعلى أننا نفكر، ونحن نفكر تعنى أننا نوجد، (أنظر: Debricon; L: Descartes, P. 25) يقول ديكارت حالك

ديكارت والتجريبيون الإنجليز، كما شارك فيه كانط فيما عرف باسم الثورة الكوبرنيكية (\*\*). كما ميز أيضا المذهب المثالي المعاصر (\*\*). إن أهمية هذا

\_\_\_\_

في المقال عن المنهج (القسم الرابع ص ٥١ - ٥٢ ترجمة الخضيري) ولما انتبهت إلى أن هذه الحقيقة : أنا أفكر إذن فأنا موجود كانت من الثبات واليقين بحيث لا يستطيع اللاأدريون زعزعتها بكل مافي فروضهم من شطط بالغ، حكمت أني أستطيع مطمئنا أن آخذها مبدأ أول للفلسفة التي انحراها، قمن «الأنا أشك، توصل ديكارت إلى «الأنا أفكر» ومن «الأنا أقكر» توصل إلى الحقيقة الأولى .. إلى المبدأ الأول وهو إثبات وجود نفسه كجوهر مفكر. يقول ديكارت، وعلى الرغم من أشد الافتراضات شططا، فإننا لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من الاعتقاد بأن هذه النتيجة، أنا أفكر إذن فأنا موجود، صحيحة، (أنظر: ديكارت مبادئ الفلسفة ـ ترجمة عثمان أمين ـ الجزء الأولى ـ فقرة ٧) والمهم هو أن الذات هي التي تشك، والذات هي التي تفكر، والذات هي التي توجد، ومن ثم قديكارت أقام شكه ويقينه على المبدأ القائل بالذاتية. (المترجم).

(\*) كان الفلاسفة السابقون على كانط يرون أن الحقيقة إنما نجدها في موافقة التصور الذهني للموضوع الخارجي، أو بعبارة المتكلمين الإسلاميين هي المطابقة ما بالأذهان لما بالأعيان، ولقد دأبوا حتى يومنا هذا على القول بأن جميع معارفنا لابد أن تنتظم وتترتب وفقا للموضوعات، فلنبحث مرة عسى أن نكون أكثر توفيقا منهم، فنفترض بالعكس أن الموضوعات هي التي لابد لها أن تنتظم وتترتب وفقا المعرفتنا، تلك هي الفكرة الرئيسية الكانطية : لا ينبغي أن نلتمس في الأشياء تفسيرا لقوانين الذهن، بل ينبغي أن نلتمس في الذهن نفسه تفسيراً لقوانين الأشياء - وقد وضع كانط الأسس الأولى للفلسفة النقدية حين قرر أن الذهن هو «المشرع، للأشياء، وأن «عالم الأعيان، أي عالم المادة والأجسام، بدون الذات العارفة الكلية، لا يمكن أن يعرف شيئا، ومن ثم فكأنه عندنا معدوم لا وجود له. وقد كان هذا القرار الكانطي ثورة في الفلسفة الحديثة، شبهها الفيلسوف نفسه بالثورة التي قام بها العالم ،كربرنيق، في علم الفلك. فكما أن ،كريرنيق، قد فسر الحركات الظاهرة للأجرام السماوية مفترضا أنها إنما تقوم على حركة المشاهد على الأرض، يعلى بذلك أن الكواكب ثابتة لا حركة لها في ذاتها وإنما الرائي هو الذي يفترض المركة فيها، لأنه هو الذي يدور، فكذلك قال كانط أن الخواص الظاهرة للواقع مرجعها إلى ذهن المدرك أو العارف، وأن الذات العارفة تطبع الأشياء بطابعها أو نقدها على قدها، لأنها هي الحاصلة بذاتها على شرائط المعرفة، وإنما تدور الأشياء حولها لكي تكون قابلة لأن تعرف (أنظر: عثمان أمين : رواد المثالية في الغلسفة الغربية ، ١٩٦٧ ، ص ص ٦٩ - ٧٠) (المترجم) .

احين ، رواد بعد يا سعى المست المرتب المعاصر ، الذى دار حول الذات أو المبدأ القائل بالذاتية ، ذلك المذهب الذى بلغ ذروته في انجلترا على وجه الخصوص ، وبدأه على نحو

المبدأ تكمن ـ بوجه خاص ـ فى إشارته إلى وجود معطيات تتلاءم وطبيعة الكيان الفعلى، ولقد قبل وايتهد هذا المبدأ، وطهره، كما أسلفنا من تصورات لا تترابط معه، مثل تصور مقولة الجوهر ـ الصفة، وأصر على الإعتراف بأن الخبرة إنما تكون خبرة بموضوعات أو معطيات، بمعنى أن خبرة كيان فعلى ما لا تتكون إلا عن إحتواء موضوعى لكيانات أخرى تتجاوز ذاته، وبهذا التحويل المعدل للمبدأ القائل بالذاتية تحل الكيانات الأخرى فى خبراتنا. ومن ثم تصبح مجرد موضوعات أو معطيات.

لقد وافق وايتهد مع ديكارت على أنه طبقا للمبدأ القائل بالذاتية فإن :

- ١ -الذات المفردة تكون مثالا مفسرا للكيان الفعلى.
- ٢ التسليم بأن عملية الخبرة ذات أهمية قصوى في هذا المجال.

وهذا يعنى أننا يجب أن ننظر إلى أنفسنا ككيانات خابرة Experiencing أساسا، والنظر إلى أنفسنا على هذا النحو يجعلنا فى تطابق تام مع ما يشابه هذا الرأى فى التراث الفلسفى العريق، على الرغم من اختلاف وايتهد مع هذا التراث فى التحليل الدقيق للخبرة.

لقد رأى وايتهد أن الذات الفردية كيان فعلى، وأننا يجب أن نتصور هذه الذات الفردية ميتافيزيقيا على أنها تكون في عملية فاعلية الصيرورة (أو

واضح ستيرانج (١٨٢٠ - ١٩٠٩) وتوماس هل جرين (١٨٣١ - ١٨٨٠) ودعمه ادوارد كيرد، وجون كيرد، وجون وطسن، ووليام ولاس، وجورج ريتشى، وهنرى جونس، وجون هنرى مويرهيد، وجون استيورات ماكينزى، وريتشارد بيردن هولدين، وجيمس بلاك بيلى، وجون الكسندر سمث، ثم وصل المذهب المثالى إلى أوجه على يد برادلى، وبوزانكيت، وجوبكم، ويعد بوزانكيت قمة المثالية فى انجلترا، وبعد تلك الرحلة من تطور المثالية الانجليزية ظهرت أقسام أخرى أقل شانا، فظهر ما كتجارت، وياتيسون وجيمس مث وسورل وراشدال وجيمس وورد وكلمنت وب والفرد ويليام تايلور وويليام تمبل، وهناك مفكرون قريبون من المثالية مثل لورى، ودوجلاس فوست وباكس وهورنليه (انظر المترجم: بوزانكيت؛ قمة المثالية فى انجلترا، الهيئة المصرية العامة الكتاب ١٩٧٢)

الإتيان إلى الوجود)، وأنه حينما نبحث في أنفسنا لكى نكشف عن ماهية هذه الفاعلية العامة، فإننا نستنتج بأننا نكون في عملية خبرة. وبغض النظر عن بعض الاعتبارات، فإن هذا الأمر يعد مطلبا واضحا من مطالب المبدأ الذاتاني المعدل؛ طالما أن الكيانات الأخرى تدخل ـ بفضل الخبرة ـ فينا ومن ثم نجعل في الإمكان اكتشاف طبيعتها، وفما لا يدخل فينا لا يعرف، ومالا يعرف غير معروف، (۱). وهذا يتأدى بنا إلى تأكيد أن الخبرة طالما أنها تتضمن واحتواء، كيانات أخرى، فإن هذه الكيانات الأخرى، لكى تكون قابلة للاحتواء أو لأن تحل في الفعليات الخابرة، لا يمكن أن تكون بذاتها ذات طبيعة مختلفة تماما عن طبيعة الفعليات الخابرة، فنحن كيانات خابرة؛ والكيانات الأخرى التي هي موضوعات لخبراتنا ليست بالضرورة كيانات غير خابرة، أي أنها لا يمكن أن تكون فارغة Vacuous أو خاوية على حد تعبير وايتهد (٢).

ومن الواضح أن رفض فكرة والكيان الفعلى الفارغ أو الخاوى، هو فى حد ذاته إنكار من جهة أخرى لمذهب الثنائية الميتافيزيقية The Doctrine of ذاته إنكار من جهة أخرى لمذهب الثنائية الميتافيزيقية والمتى، والتى تنضم المنائلي ممتد تكون ميتة Dead وخالية من الشعور أو أى خاصية تميز الخبرة. ولقد رأى وايتهد أن الفعليات الفيزيقية إذا كانت فارغة أو خاوية، ومن ثم تختلف فى طبيعتها الميتافيزيقية أساسا عن الفعليات الخابرة، يستحيل قيام أى علاقة داخلية بينهما. ولعل هذا يمثل بصورة عامة النقد الذى وجه إلى ثنائية ديكارت ومؤداه أن الفعليات الممتدة غير قادرة على التأثير فى الفعليات الفكرية التى لا تكون فى مكان حسب تعريفها. ويزيد وايتهد على الفعليات الفعليات المؤرية التى لا تكون فى مكان حسب تعريفها. ويزيد وايتهد على المأسها علاقات داخلية، وأن هذا يتضمن أن كيانا ما يجب أن يحل أو يحتوى فى كيان آخر، لكن الكيان الفعلى الفارغ أو الخاوى الذى يدل تعريفه على أنه

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٤.

<sup>(</sup>٢) وايتهد : مغامرات الأفكار، ص ٢٨١.

لا يتضمن أى خاصية من خواص الخبرة، لا يمكن أن يكون أى جزء من أجزاء الخبرة، أو أى مكون من مكوناتها. وهذا يعنى أن الكيان الفطى الفارغ أو الخاوى لا يمكن أن تكون له أى علاقة داخلية بأى كيان خابر، كما لا يمكن أن نصفه بأى صفة من صفات الخبرة، ومن ثم لا يكون معروفا بأى طريقة من الطرق.

ويرى وايتهد أنه طبقا للمبدأ الذاتاني المعدل، فإن طبيعة الكيانات الأخرى، لا تكتشف إلا عن طريق تحليل خبرات الذوات التي تحتويها أو تتضمنها؛ فحين نفحص حادثة من حادثات الخبرة، فإننا نلحظ فيها معية فحين نفحص مادثة من إلمعطيات الموضوعية، أي موضوعات في حالة معية، أو في حالة معية نمو، تتحد في وحدة من وحدات الخبرة وهذه الوحدة تكون خابرة، وتخبر موضوعاتها التي عرفتها مباشرة، أو التي أدراكتها إدراكا أوثق. إن مانشير إليه على أنه (خبرتنا) هو في الواقع (مباشرتنا الذاتية الحية) إن مانشير إليه على أنه (خبرتنا) هو في الواقع (مباشرتنا الذاتية الحية) الحي. وفي هذا يقول وايتهد وإن هناك معية في العناصر المكونة للخبرة الفردية، وهذه المعية يكون لها معناها الخاص في (معية الخبرة الفردية، وهذه المعية يكون لها معناها الخاص في (معية الخبرة تفسيرها بواسطة غيرها، (۱).

إن هذا النوع من المعية الخابرة بالموضوعات، هو نوع المعية التى نعرفها مباشرة، وبأوثق ما يكون، ولكن وايتهد يتساءل هل توجد أنواع أخرى من المعية غير هذه التى ذكرناها ؟ يقول وايتهد الله قولنا بالمعية الخابرة يثير مسألة ميتافيزيقية جد هامة وهى : أيمكن أن يوجد معنى آخر للمعية ؟ إن إنكار أى معنى يدليل للمعية، أى إنكار أى معنى لا يجرد من معنى الخبرة يمثل المذهب الذاتاني تتمثل في

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٢٦٨.

المذهب أو الفلسفة العضوية. أما المذهب المضاد، الذي يرى أن المعية لا تشتق من معية الخبرة، فيقودنا إلى الفصل بين عناصر الخبرة الذاتية وبين تجمع العالم الخارجي، ويسبب هذا الفصل عقبة كأداء؛ وصعوبة عاتية أمام الإبستمولوچيا، فحكمنا المباشر يقول بأن المعية هي في الخبرة، وليس ثمة من جسر يمكن أن نقيمه بين معية الخبرة وبين معية اللاخبرة، (١).

وهكذا يصبح لباب نقاش وايتهد هو أن كل معانى المعية، يجب أن تكون مشتقة أو مجردة من المعية الخابرة، experiental togetherness. لقد كان وايتهد يعنى بكلمة المعية الإشارة الى عكس الإختلاف، وإلى عكس العلائقية الخارجية؛ ذلك أن كون الفعليات في معية يعنى أنها ذات علاقات داخلية، كما أن الطريقة الوحيدة التي يدخل بها كيان فعلى في علاقة داخلية بآخر، إنما يكون بفضل أنه يحل في خبرة هذا الكيان الآخر، وهذا يعنى أن العلاقة الداخلية تتضمن المعية الخابرة، وينتج عن هذا أن المعية، الممكنة للكيانات الفعلية هي والمعية الخابرة، وأن كل المعانى الأخرى المعية، تكون مشتقة من المعية الخابرة الفعلية.

ويرى وايتهد أن المذهب المصاد؛ والذى يرى أن المعية، غير مشتقة من المعية الخابرة، إنما يرتكز على فكرة الكيان الفعلى الفارغ أو الخاوى. وأن هذه الفكرة الأخيرة يجب أن ترفض كلية باعتبارها خاطئة تماماً.. إنها حصيلة التعميم الفلسفى الخاطئ، أى أنها تعميم من كيانات ليست فعلية، وهذه الكيانات هى الموضوعات الماكروسكوبية التى تحضر لحواسنا، أو الأجسام الفيزيقية التى يهتم بها الإنسان العادى فى حياته اليومية النفعية، كما أن هذه الفكرة عن كيان فعلى فارغ أو خاوى أو خامد ترتبط بقوة بتصور الجوهر الصفة ذلك التصور الذى رفضه وايتهد تماما. يقول وايتهد وإن فكرة كيان فعلى فارغ أو خاوى وقكرة الجوهر ـ الصفة ليسا من المقولات الميتافيزيقية،

<sup>(</sup>١) نفس الموجع، ص ٢٨٦.

وإنما إرتباطا بفهم خاطئ التحليل الحقيقى للمباشرة الحضورية أو التمثيلية (أى الإدراك الحسى)، (١).

سوف نعرض لتحليل وايتهد للإدراك الحسى فيما بعد، ولكن النقطة الهامة التى يجب أن تناقشها هنا هى كيف يتم تصور الأجسام الفيزيقية التى ندركها إدراكها حسياً فى مذهب ينقد وجودها ككيانات فعلية: إن نظرية ديكارت عن الإمتداد هى خير مثال على ذلك، لكننا يجب أن نذكر هنا أن وايتهد لا ينكر التمييز بين الجسم وبين النفس، فلقد كتب يقول وإن ديكارت كان على حق بين، بمعنى أو بآخر، حينما ذكر أن لدينا أجساما ولدينا نفوسا، وأنه يمكن دراستهما على نحو أنهما منفصلان أو متمايزان (٢). وأصر على أن وثمة توافق بين الجسم والنفس أو بين المادة والروح فى النسق الميتافيزيقى، (١). والواقع أننا لا يجب أن نسأل عما إذا كانت هناك كيانات هى وأجسام، تكون حاصلة على خواص الإمتداد الفارغ أو الخاوى، فهذه هى بالضبط الخاصية العامة للأشياء الفيزيقية كما تتبدى لحاسة الإبصار أو لحاسة اللمس على نحو أقل، ولكن السؤال الهام هو هل الأجسام الممتدة الخاوية أو الفارغةهى كيانات فعلية؟

رفض وايتهد أن تكون هذه الأجسام كيانات فعلية، ورأى أنها تتكون من كثرة من الكيانات الفعلية، ولكننا ومن أجل الأغراض اليومية العملية، عادة ما نعالج الكثرة على أنها شئ واحد مفرد، نعم إن هذه المعالجة مشروعة تماما من وجهة نظر الحياة النفعية اليومية، لكن المشكلة سرعان ما تقوم من ميلنا لأن نقحم وجهة النظر هذه على رؤيتنا الفلسفية، ونرى أن كثرة الكيانات الفعلية هي كيان واحد، فالواقع أن الكثرة التي تعالج على أنها كيان واحد تكون مجردة ولا تكون كيانا عينيا واحداً concrete ، ويصح أن تكون كلا مركبا

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٣٩.

<sup>(</sup>٢) وايتهد : وظيفة العقل، ص ٧١.

<sup>(</sup>٣) وايتهد : الدين في طور التكوين، ص ٩٥.

من عدة أجزاء وفي هذا الصدد يذكر وايتهد: أن أي كل مركب يكون مجرداً من أجزائه أو مكوناته، لكن الأجزاء أو المكونات يمكن أن تكون هي الأخرى كليات مركبة ومن ثم تكون مجردة، وطبقا لهذا يمكن أن تكون هناك تدرجية Hierarchies بين الكيانات المجردة. وحينما نصل إلى العناصر أو المكونات التي هي كيانات فعلية، فإننا نكون بإزاء كيانات عينية بالمعنى الميتافيزيقي، أما المكونات أو الأجزاء الأخرى والتي تمثل كليات مركبة فإنها تكون عينية نسبياً. ونحن نقع في خطأ فلسفي كبير إذا عالجنا أمثال ذلك الكيان المجرد على أنه كيان فعلى. ويؤكد وايتهد هنا وبوجه خاص على أنه مجرد على أنه واقعة عينية، (١). إن الثنائية الميتافيزيقية ترتكز بمعني آخر مجرد على أنه واقعة عينية، (١). إن الثنائية الميتافيزيقية ترتكز بمعني آخر على أغلوطة التموضع الزائف للعيني، وينتهي واينهد من هذا النقاش إلى رفض فكرة «الخواء أو الخلاء أو الخمود» كخاصية ميتافيزيقية للكيانات

لكننا يجب أن نكون على بيئة من أن هذا الرفض لفكرة الكيان الفعلى الخاوى أو الفارغ، لا يتضمن أن ليس ثمة كيانات لها خواص والخلاء أو الفراغ، فعلى العكس من ذلك فإن الخواء أو الفراغ تمثل خواصا دائمة للموضوعات الماكروسكوبية التي تدرك حسيا، ولكننا يجب أن ندخل في تفاصيل أكثر، وتحليلا أكبر، قبل أن نكون قادرين على توضيح أو بيان تفسير وايتهد الفلسفى لهذه النقطة، وبيان لماذا وكيف تبدو كثرة الكيانات الموجبة للادراك الحسى على أنها كيان سلبى Passive مغرد أو مجرد إمتداد فارغ أو خاوى . لكن ما يهمنا الإشارة إليه الآن هو:

ان الكيان المجرد (المكون من كثرة من الكيانات) يبدى ملامح تنتمى
 إلى تلك الكثرة كما لو كانت كلا مركبا لا ينتمى إلى مكونات جزئية.
 وتلك الملامح ترتبط بفكرة الفراغ أو الخواء.

<sup>(</sup>١) وايتهد: مغامرات الأفكار، ص ٢٥١.

٢ - أن أى ملامح أخرى تظهر عن هذا الكل المركب، تكون ملامح مجردة المكاته المكاته المحاتة من أو محين نقول إنها ملامح مجردة، فإننا نعنى أنها مشتقة من أو مجردة من شئ أو عدة أشياء. والأشياء الملائمة هنا تتمثل في مكونات الكيانات الفعلية. ومن ثم فالملامح المركبة مثل الفراغ أو الخواء يجب أن تكون مشتقة من الملامح العامة الكيانات الفعلية، أما كيفية حدوث هذا الاشتقاق أو التجريد، فإننا نرجئه إلى حين تحليلنا لطبيعة الكيانات المجردة تحليلا أكثر وأعمق. أما الآن فنكتفي بالقول بأن ملامح الكيانات المجردة يجب أن تكون مشتقة من الملامح العامة للمكونات الفعلية.

نستطيع أن ندرك الآن ماذا يعنيه وايتهد بالقول بأن كل معانى المعية، مشتق من المعنى الأصلى المعية الخابرة، إن الأجسام الفارغة أو الخاوية لا تظهر ملامح المعية الخابرة، فمعيتها من النوع اللاخابر، مثل الصدمة impact في التصور اللافلسفي لها، ولكن كما رأينا فإن الأجسام لكي تؤثر في بعضها بواسطة الصدمة فيجب أن تكون هناك علاقة داخلية، والعلاقة الداخلية لا تكون ممكنة إلا اكمعية خابرة، كما أن الفعليات التي تكون أساس الكيانات المجردة المركبة، تدخل في علاقات داخلية بهذه الطريقة، ومن ثم تؤثر في العلاقة القائمة بين الكيانات المجردة المشتقة؛ تلك العلاقة التي إذا نظرنا إليها من زاوية الكيانات المجردة وحدها فإنها تبدو كصدمة لا خابرة.

#### - YO -

### مقولة الخبرة

كتب وايتهد في هذه المرحلة من كتابه «العملية والواقع» يقول «في وصفنا القدرات المحققة وغير المحققة للحادثة الفعلية» فلنا أن نوافق ضمنا مع لوك Locke بأن الخبرة الإنسانية مثال طيب نقيم عليه الوصف التعميمي المطلوب في الميتافيزيقا، (١). ولقد رأينا فيما سبق أن أساس هذه المحاولة يكمن في إصلاح وإيتهد للمبدأ الذاتاني، وينبغي الآن أن ننظر في هذا الخط الفكري نظرة أعمق وأكثر نفصيلا.

بدأ وايتهد بأن أشار إلى أن الواقعة الواضحة، والتى نراها فى كل حياتنا وأفعالنا، تتمثل فى الإتصال الداخلى بين الأشياء، وأن والعالم الذى يقوم وراءها متشابك تشابكا حميما مع طبيعتنا الخاصة؛ فنحن نوحد لا شعوريا بين ما نراه بوضوح وبحيوية وبين ذواتنا، ومثال ذلك فأجسامنا تقع وراء وجودنا

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية الواقع، ص ٣٠.

الفردى الخاص، ومع ذلك فهى جزء من ذلك الوجود، كما أننا نفكر فى ذواتنا على أنها متشابكة تشابكا حميما مع حياتنا الجسمية. إن الإنسان وحدة مركبة من جسم ونفس، لكن الجسم جزء من العالم الخارجى، مستمر معه، مثل أى جزء آخر من أجزاء الطبيعة كالبحر والجبل والسحاب، وإذا أردنا الدقة فيجب أن نقول أننا لا نستطيع أن نحدد أين يبدأ وأين تنتهى الطبيعة الخارجية.

إن الاتصال الداخلى الحميم بين الخبرة الإنسانية وبين الطبيعة الخارجية، تتطلب الاعتراف بأن الخبرة الإنسانية لا تنفصل عن الأشياء الخارجية. يقول وايتهد وإن اللغة العادية، وعلوم الفيزيولوچيا والسيكولوچيا تمدنا بدليل مكون من أوجه ثلاثة:

أ - الجسم جزء من الطبيعة.

ب - وهو يمدنا بأساس للنشاطات العاطفية والحسية.

ج - كما أن إثارات الخبرة الإنسانية تمر في توظفات جسمية تالية، (١).

وكنتيجة لما سبق، يجب أن نستنتج أن دحادثة الخبرة التى تتضمن عقلية إنسانية تكون مثالا متطرفا، يقف فى طرف واحد من أطراف الدائرة، بعيدا عن الحادثات المكونة للطبيعة، (٢). وطبقا لهذا فإن دأى مذهب يرفض أن يحل الخبرة الإنسانية خارج الطبيعة، يجب أن يجد فى وصفه للخبرة الإنسانية عوامل تدخل أيضا فى أوصاف الحادثات الطبيعية داخل الطبيعة، وإذا لم توجد مثل هذه العوامل، فإن مذهب الخبرة الإنسانية باعتبارها خارج الطبيعة لا يمثل إلا خدعة مشيدة على عبارات غامضة ليس لها من قيمة إلا فى توفير راحة مألوفة، (٢).

<sup>(</sup>١) وايتهد: أنماط الفكر، ص ١٥٧.

<sup>(</sup>٢) وايتهد : مغامرات أفكار، ص ٢٣٧.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، ص ٢٣٧.

ومن ثم فيجب أن نعلم:

أولا : أن الملامح أو الخواص العامة لكل الفعليات ينبغى أن تفسر في ضوء الخبرة الإنسانية.

ثانيا: أن الجسم هو ذلك الجزء من الطبيعة الذى يتلاحم ويتفاعل فى كل لحظة بالخبرة الإنسانية؛ فبين العوامل القائمة بين الجسم وبين الخبرة الإنسانية؛ هناك انسكاب داخلى وانصباب خارجى، ومن ثم فكل يشارك فى وجود الآخر. إن الجسم الإنسانى يمد خبراتنا الوثيقة بالدور الداخلي لفعليات الطبيعة، (١).

ثالثا: ومن ثم فإن نوع إيجابية الجسد، يجب أن يكون بوجه عام، من نفس نوع إيجابية الخبرة الإنسانية، يقول وايتهد وإن أفكار الفاعلية والإيجابية وصور الانتقال، تطبق على الجسم الإنساني والخبرة الإنسانية، (٢).

رابعا: إن الجسم جزء من الطبيعة، ومن ثم ، فالتفسير النهائي للعالم إنما يتم في ضوء أنماط من الايجابيات المتضمنة أو المنتشرة في خبراتنا الوثيقة، (٣).

ومن الواضح أننا هنا بإزاء تطبيقات للمبدأ الذاتاني المعدل، والسبب في أننا نفسر الفعليات الأخرى في ضوء أنماط من الإيجابيات أو الفاعليات المتضمنة أو المنتشرة في خبراتنا الوثيقة أو الحميمة هو أن الذات المفردة كذات خابرة تمدنا بالمثال الأولى عن الكيان الفعلى الذي نعرفه معرفة وثقى، وأن الملامح أو الخواص المينافيزيقية تظهر بواسطة ذلك الكيان الفعلى. فالذات المفردة يجب أن تكون عامة بالنسبة إلى جميع الفعليات ومن ثم: وفإن البرهان المباشر على اتصال أو ترابط حادثة واحدة حاضرة من حادثات

<sup>(</sup>١) وايتهد: أنماط الفكر، ص ١٥٧.

<sup>(</sup>Y) نفس المرجع، نفس الموضع.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، ص ١٦٨.

الخبرة، بحادثات ماضية لنفس الذات المباشرة، يمكن أن يستخدم بصدق في افتراح مقولات تطبق على اتصال كل حادثات الطبيعة، (١).

ويمكننا الآن أن نستخلص مما سبق النتائج التالية :

- ١ حينما نفحص أنفسنا، فإننا نجدها ،تخبر، أي أننا نجدها في عملية خبرة.
- ٢ أن هذه الخبرة هي خبرة بموضوعات Ojecis . يقول وايتهد : وإن عملية الخبرة تتكون من استقبال كيانات يكون وجودها سابقا على هذه العملية..
   وهذه الكيانات السابقة التي استقبلت كعناصر في عملية الخبرة، تسمى بموضوعات الحادثة الخابرة. ومن ثم فإن المصطلح ،موضوع Objeci
   يعبر مبدئيا عن علاقة الكيان بحادثة أو أكثر من حادثات الخبرة، (١).
- ٣ رأينا في الباب السابق أن الكيانات الفعلية، هي كيانات فاعلة، أي أن الفاعلية الفاعلية خاصية ميتافيزيقية لكل الفعليات. ولقد رأينا توا أن الفاعلية الأصلية تكمن في عملية الخبرة، ونزيد على ذلك أن الخبرة تمثل إيجابية أو فاعلية استقبال أو احتواء كيانات أخرى تكون بمثابة موضوعات.

ومن هذا فإن وايتهد يرى أن عملية الصيرورة أو الإتيان إلى الوجود والتى تكون وجود ماهو فعلى ماهى إلا عملية أو صيرورة الخبرة Process of the تكون وجود ماهو فعلى ماهى إلا عملية أو صيرورة الخبرة Becomnig of Experience (٢). فعملية الصيرورة أو التواجد عملية فاعلية تستقبل الموضوعات، وتجعلها متكاملة في وحدة محددة واحدة، ولقد استخدم وايتهد مصطلح «معية النمو Concrescence» للدلالة على هذه العملية. يقول وايتهد «إن معية النمو هو الإسم الدال على العملية التي تتكامل بواسطتها عدة أشياء في كل واحد فردى، بحيث تتكامل حتما للكثرة في مكون واحد مديد، (١).

<sup>(</sup>١) وايتهد: مغامرات الأفكار، ص ٢٨٤.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٢٢٩.

<sup>(</sup>٣) وايتهد : العطية والواقع، ص ٢٣٧ .

<sup>(</sup>٤) نيس الرجع، من ٢٩٩.

ويجب أن نلاحظ طبقاً لهذا أن «المصطلح العام كيان Entity لا يعنى شيئاً آخر سوى أنه يكون واحداً ضمن كثرة تجد أماكنها في كل مثال من أمثلة معية النمو، (۱) . ذلك لأن أى كيان مهما كان، يكون طبقا لمقولة النسبية موضوعا بالقوة لبعض حادثات الخبرة . إن هذا المذهب حين يعتبر الكيان الفعلى كعملية خبرة فإنه يعنى أن «الحادثة الفعلية ليست شيئا إلا الوحدة التى توصف للمثال الجزئى لعملية معية النمو، وعملية معية النمو ليست إلا (التكوين الداخلى الحقيقى) للحادثة الفعلية مثار النظر، (۲) . وهذا يشير إلى أن «كل مثال لمعية النمو، هو في حد ذاته، شئ فردى جديد فليس ثمة تعايز بين مثال لمعية النمو) وبين (الشئ الجديد)، ونحن حينما نحال الشئ الجديد، فإننا لا نجد إلا معية نمو، إن الكيان الفعلى لا يعنى شيئا آخر سوى الدخول في عالم العيني، (۱).

والواقع أننا يجب أن نتصور - مع واينهد - الكيان الفعلى كفاعلية معية نمو، ونضيف إلى ذلك أن هذه الفاعلية ليست إلا فاعلية الخبرة، فقبول واينهد للمبدأ الذاتانى وتعديله له قاده لأن يرى ، فعليات العالم كعمليات خبرة ، كل عملية منها تمثل واقعة فردية أو أن يرى أن العالم كله ماهو إلا التمثيل المتقدم لهذه العمليات . إن رأى أرسطو بأن كل الفاعلية يجب أن توضح الفعلى هو رأى مقبول هنا ، كما أن قول أفلاطون بأن كل معانى الوجود هى عوامل فى الفاعلية وتحدث اختلافا ، ومن ثم فلكى يكون شئ ، يجب أن تكون له فاعلية على نحو ما ، هو قول مقبول أيضاً (٤) . إن الفقرة السابقة تبين الترابط الكامل بين المبدأ الذاتاني المعدل وبين مبادئ وايتهد الأخرى ولا أننا يجب أن نلحظ بوجه خاص أن الكيانات الأخرى تحدث إختلافا في الكيان الفعلى نلاحظ بوجه خاص أن الكيانات الأخرى تحدث إختلافا في الكيان الفعلى

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٢٩٩.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٣٠٠.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، ص ٢٩٩.

<sup>(</sup>٤) وايتهد : مغامرات الأفكار، ص ص ٢٥٣ - ٢٥٤.

الذي يكون في عملية معية نمو خلال مثولها لخبرة هذا الكيان، وأن هذه الخبرة تكون العملية التي تكون فيها تلك الكيانات ذات علاقة داخلية مع الكيان الفعلى الذي يكون في عملية معية نمو، وهذه النقطة لها مغزى كبير بالنسبة إلى الكيانات الفعلية، والتي تصبح موضوعات Objects بالنسبة إلى ذات تكون في عملية معية نمو؛ فلكي تكون هذه الكيانات الفعلية موضوعات فيجب أن تكون سابقة Antecdent على عملية معية نمو ما، وهذا يعنى أن عمليات معية نمو تلك الفعليات السابقة تكون قد اكتملت، وأن مباشراتها الذاتية تكون قد توقفت وأن فاعلياتها تكون قد فسدت، بمعنى آخر إنها لا تصبح موجودة بالمعنى الكامل للوجود، أو أنها لا توجد إلا كعامل مكون لصيرورة ذات تكون في عملية معية نمو، وهي لا تصبح كذلك إلا خلال كونها محتواة في خبرة كيان فعلى يكون في عملية معية نمو.

إن كون تلك الكيانات السابقة محتواة في خبرة كيان فعلى هو ما يكون ما أسميناه وبالخلود الموضوعي، للفعليات السابقة، وهذا يعنى أن الفعليات السابقة لا توجد قط إلا كموضوعات لخبرات ذوات هي في عملية معية نمو، ووجودها كموضوعات يتأثر بعلاقاتها الداخلية مع كيان فعلى خابر، ومن هنا أصر وايتهد على أن ومثل هذه العلائقية، تتعلق كلية، بتملك الحي للميت، وهذا يعنى أن الخلود الموضوعي، يتجرد بواسطته ماهو فعلى من مباشرته الحية الخاصة، ويصير أجزاء حقيقية لمباشرات حية للصيرورة أو للإتيان إلى الوجود. إن التقدم الخلاق للعالم يكمن في الصيرورة أي في عمليات الإتيان إلى الوجود، والفساد ينجم عنه خلود موضوعي لماهو فعلى، أي ينجم عنه الواقعة الصامدة Stubborn Fact، (1).

لقد وصلنا الآن إلى مرحلة متقدمة تسمح لنا بأن نفحص بسهولة ويسر كيفية حلول كيان فعلى في آخر.

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ص ٨ - ١٠.



## الفصل الحادى عشر تحليل الخبرة

٢٦ - نظريات الخبرة.

٢٧ - حالتان للإدراك.



#### - 17 -

### نظريات الخبرة

إن المسألة الرئيسية التى نهتم بها الآن وبوجه خاص، والمتعلقة بكيفية حلول كيان فعلى ما فى كيان فعلى آخر، أجاب عليها وايتهد فى ضوء نظرية ميتافيزيقية عامة، تتناول طبيعة الكيان الفعلى «كفاعلية خابرة»، وطبقا لمذهب وايتهد؛ فإن الكيانات الفعلية التى تكون فى عملية صيرورة أو إتيان إلى الوجود «تخبر» كيانات غيرها تمثل موضوعات بالنسبة إليها، ومن هنا فإن مناقشة؛ كيف تصير حادثات جزئية فعلية عناصر أساسية فى خلق جديد إنما تنتمى .. إلى النظرية الموضحة لتحول الكيانات إلى موضوعات (١).

والواقع أن علينا أن نفحص، على نحو أعمق وأكثر، كيف يكون ذلك ؟ وفي البداية يجب أن نضع في ذهننا ما يلي :

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٢٩٨.

١ - أن المصطلح دخبرة، له مفهوم واسع، وأن معناه الدقيق عند وايتهد لا
 يمكن أن يتضح إلا إذا قمنا بتحليلات واسعة، تميط اللثام عنه.

٢ - أن التسليم بأن كيانات فعلية ،تكون أو تحل أو تحضر، في كيان فعلى آخر خلال ما يسمى ،بالاحتواء الخابر،، أو خلال تحول الكيانات الفعلية إلى موضوعات لذات ليس كافياً، إذ يلزمنا أن نفسر بالضبط كيفية حدوث هذا الإحتواء، أو كيفية تحول الذات إلى موضوع لذات لاحقة.

لقد رأينا فيما سبق أن وايتهد، في تمسكه بمتطلبات المبدأ الذاتائي المعدل، توصل إلى تصور معين للطبيعة العامة لكل الفعليات، وهو كونها ذات ،فاعلية خابرة، ولقد تم له ذلك بواسطة التعميم ابتداء من «الخبرة الإنسانية». لكن علينا الآن أن نسأل ما الذي يكون الخبرة الإنسانية ذاتها ألواقع أن المصطلح خبرة، كثيرا ما استخدم بمعاني عامة دون أدنى تخصيص نوعى كالذي أقره وايتهد. وعلينا الآن أن نحدد المعنى الخاص لمكونات الخبرة كما قبله وايتهد ونحن حينما نسأل عن : ماذا تكون الخبرة ؟ فكأننا نسأل عن : ماهى الطبيعة العامة للخبرة ؟ وهذا هو ما ثريد أن نحدده بالضبط.

لاحظ وايتهد أن الفكر الحديث، القائم على فلسفة ديكارت، قد انصاع صراحة أو ضمنا وراء فرضية الثنائية الميتافيزيقية، وأنه أدرك - طبقا لهذا - الخبرة التى عنى بها خاصة الخبرة الإنسانية، على أنها مرتبطة بنوع رفيع من العقلية mentality أو الوعى، بحيث تستبعد تماماً أية خبرة لا واعية، بل كثيرا ما اعتبرت هذه الخبرة الأخيرة على أنها تمثل تناقضا ذاتياً.

إن تحليل الخبرة الواعية أو العقلية، ينتج عنه مدرستان مختلفتان فكريا: الأولى مدرسة ديكارت وتابعيه من العقليين، وهي المدرسة التي رأت أن الفكر هو المكون للطبيعة العامة للخبرة الواعية العقلية، وأن الإدراك Perception لا يعدو أن يكون نوعا من الفكر. والثانية هي مدرسة لوك وتابعيه من التجريبيين، وهي المدرسة التي اعتبرت الإدراك على أنه أساسي Basic، في حين أنها اعتبرت الفكر على أنه ثانوي Secondary أو أنه ذو طبيعة مشتقة

من الإدراك الحسى، والواقع أن الاختلاف فى مفهوم المصطلح ، فكرة العامة بين هانين المدرستين، هو الذى نتج عنه اختلافهما بإزاء الطبيعة العامة للخبرة الواعية العقلية؛ ذلك لأن ديكارت إعتبر الفكرة على أنها فكرة عقلية أساسا، أما لوك فلقد اعتبر الفكرة على أنها انطباع حسى Sensory أساسا، أما لوك فلقد اعتبر الفكرة على أنها انطباع حسى impression أو فكرة حسية أساسا. أما كانط فلقد حاول أن يركب بين هذين الاتجاهين؛ فذهب إلى أن الخبرة تتكون من إنطباعات حسية وتصورات عقلية (\*). لكنه لم يوازن بين هذين العنصرين، إذ غلب الجانب الفكرى على الجانب الحسى، ويلاحظ أن الفكر الكانطى ينظر إلى الخبرة باعتبارها خبرة الجانب الحسى، ويلاحظ أن الفكر الكانطى ينظر إلى الخبرة باعتبارها خبرة

(\*) ربطت مثالية كانط بين عالم الظواهر Phenomena وبين القوى العقلية المتمثلة في الحساسية الصورية والفهم الصورى، أما النطق الصورى عند كانط فإنه يقودنا إلى أغاليط ثلاثة: الأولى أغلوطة علم الطبيعة النظرى الذى يدرس العالم، والثانية أغلوطة علم النفس النظري الذي يدرس النفس، والثالثة أغلوطة علم اللاهوت النظري الذي يدرس الله. وهي أغاليط عند كانط لأن موضوعاتها لا تتصل بعالم الظواهر وإنما تتصل بعالم الحقائق nomena ؛ ذلك العالم الذي لا يخضع إلى إحساساتنا ومن ثم لا يتوفر فيه شرط ضروري في إقامة المعرفة الترانسنندالية الحقة عند كانط وهو الجانب الحسى؛ ذلك لأن كانط إربّاًى بأن المعرفة الحقة لابد من توافر الجانب الحسى فيها مع الجانب العقلى، وأن المعرفة الحسية وحدها معرفة مشتتة مبعثرة وفرادى، كما أن المعرفة العقاية وحدها هي مجرد صبيغ جوفاء فارغة خالية من أى محتوى أو مضمون، ومن هنا كانت أفكار العالم والنقس والله متصلة بعالم المقائق بالذات الذي لا نعرف عنه شيئا عند كانط لعدم خضوعه للجانب الحسى. حقيقة أن كانط قد توصل بعد ذلك في كتابه نقد العقل العملي الخالص إلى أن الله والنفس والعالم أمور يجب أن نسلم بوجودهاء ولكنه قبل مثل هذه الأفكار كمسلمـات أو بديهات نقبلها دون أن نبرهن عليها الزومها في المجال الأخلاقي. ولعل الدور المثالي الذي أتى به كانط في فلسفته النقدية إنما يقوم على أساس أن الفاعلية والأولية في هذا النسق الكانطي إنما هي للعقل، فالعقل عنده هو الأساس وهو المعيار، إنه هو الذي يطبع الإحساسات المشتتة المبعثرة بصوره ومقولاته المختلفة، وبدونه لا يكون هذاك معرفة بالعالم الحسى ولا إدراكا له ومن ناحية أخرى لن يكون دور ذلك العقل - بهذا المنظور الإيجابي -هو دور القابل أو المنطبع أو المتأثر بالإحساسات، كما أن العالم الخارجي بجزئياته لن بفرض على العقل، وإنما العقل هو الى ينتقى ويختار من وقائع هذا العالم ما يريد أن بدركه ويعرفه. ومعنى هذا كله أن المعرفة عند كانط تتكون من عناصر حسية ومن -

واعية عاقلة، تتضمن أعلى وظائف العقل وهو الاتجاه نحو النسقية. يقول وايتهد وإن أى نسق ميتافيزيقى متأثر بالفكر الكانطى أو الهيجلى، ينظر إلى الخبرة باعتبارها نتاج عمليات تتعلق بأعلى وظائف الكائن نسقية ووعيا.. إن الخبرة في مثل هذه الأنساق، تكون منظمة ونسقية، كما أن أفكار العلية والجوهر والكيفية والكمية تنتظم في كل فكرى نسقى، (١).

وبعد أن يناقش وايتهد نظريات الخبرة السابقة، يعود فيقرر أن «الإدراك» عند لوك هو أكثر قربا لموقفه الخاص، من «الفكر» الديكارتي. وأن هذا «الإدراك» الحسى قريب من تقديم تصور مشبع وكاف للطبيعة العامة الخبرة ذلك لأن «الفكر» الديكارتي لا يمكن - من وجهة نظر وايتهد - أن يكون الطبيعة العامة الخبرة الإنسانية، أو يمثل خاصية مميزة الإنسانية، أو يمثل خاصية مميزة للإنسانية، لكنه لا ينطبق على خبرتنا تمام التطبيق؛ فالفكر متقطع للإنسانية، لكنه لا ينطبق على خبرتنا تمام التطبيق؛ فالفكر متقطع نحن موجودين. نعم إن قضية ديكارت «أنا أفكر إذن فأنا موجود» قضية صادقة، ولكن صدقها مشروط بحالة كوننا نفكر فعلا، فإذا لم نكن نفكر فمعنى ذلك أننا غير موجودين، وهذا غير صحيح، فنحن نوجد حتى إذا انقطع لدينا التفكير فترة أو لحظات، أو إذا غمرتنا لحظات نوم لانعى فيها تفكيرا.. وينتهى وايتهد من ذلك إلى أنه ليس من الصحيح أن نستنتج من واقعة فكرنا، أن الفكر يكون طبيعة وجودنا.

صور ومقولات عقلية، لكنه غلّب العقل على العنصر الحسى ومن هنا تأتى مثاليته. بمعنى آخر لقد كان كانط فيلسوفادجماطيقيا يقينيا يؤمن بالأفكار الفطرية على غرار ديكارت، وحين اطلع على هيوم وأيقظه هذا الأخير من سباته الدجماطيقى، فراح يعتقد بالحواس وبالإنطباعات الحسية إلى جانب اعتقاده بالفكر، ثم ركّب بين هذين العنصريين في فلسفته النقدية أى ركّب بين الإنطباعات الحسية من جهة، وبين الصور والمقولات العقلية من جهة ثانية، وما الخبرة عنده إلا نتاج تركيب هذين العنصرين (المترجم).

ومن ناحية ثانية: إن التفكير في الأشياء الخارجية لا يعنى إدراكا لهذه الأشياء، إن وايتهد يوافق في هذا الصدد على هجوم الحسيين على العقليين، ويقبل قول هيوم «بأن كل تأمل إنما هو مشتق من الإحساس، ولكن على الرغم من موافقة وايتهد على المذهب التجريبي أو الحسى القائل بأن «الإدراك» لا الفكر هو الأساس الأول، فإنه رفض ما ذهب إليه الحسيون من توحيدهم بين الإدراك وبين الإدراك الحسى، لقد حدد وايتهد نظرية الحسيين التي رفضها على ألنحو التالى:

- ١ أن كل إدراك يتم بواسطة أعضاء حسية جسمية؛ مثل العين والأنف والأذن والفم كما أن التنظيم الجسدى يمدنا بملموسات وآلام وإحساسات جسمية أخرى.
  - ٢ أن كل إدراك هو إحساس معطى في حاضر مباشر يتصل بأنموذجه.
- ٣ أن خبرتنا بالعالم الاجتماعى ليست إلا رد فعل تفسيرى مشتق كلية من الإدراك.
- أن خبرتنا العاطفية والغائية هي رد فعلى تأملي مشتق من الإدراك
   الأصلي، ومتشابك مع رد الفعل التفسيري ويشكله جزئيا.. وعلى هذا
   النحو تنتج عملية وإحدة تتضمن عوامل التفسير والعاطفة والغاية، (١).

وباختصار فإن نظرية الحسيين، تسلم بالإحساس الواضح القاطع المميز الواعى على أنه المكون الأساسى للادراك، وهذا يعنى أن الإحساس هو العنصر الرئيسى فى الخبرة، وأن كل ماعدا الإحساس ليس إلا مجرد اشتقاق منه. يقول وايتهد وإن سائر العوامل الأخرى للخبرة، يجب أن تفسر بإعتبارها مشتقة من الإحساس الأصلى؛ فالعواطف، وإلآمال، والخوف، والحب، والكراهية والنوايا، تتعلق كلها بالإحساس وتصدر عنه، وبمعزل عن الإحساس لا يمكن لهذه أن توجد، (٢).

<sup>(</sup>١) وايتهد : مغامرات الأفكار، ص ٢٢٨ -

<sup>(</sup>٢) وايتهد: أنماط الفكر، ص١٥٢.

وافق وايتهد على أن الله أحساسات توجده كإحساسات اللون والصوت النح، (۱). ولكنه رفض اأن تكون هذه الإحساسات موجودة بسبب كونها محددة، (۲). وقاطعة ومميزة وواعية. ومن هنا فلقد هاجم وايتهد نظرية الحسبين في أكثر من موضع، سنكتفى نحن بذكر النقاط الرئيسية منها:

يقول وايتهد ،إن النظرية التى نوجه إليها النقد تعتبر الإدراك على أنه مكون من إحساسات محددة واضحة وقاطعة نكون على وعى كامل بها. لكننا حينما نلاحظ خبرتنا، فإننا نلاحظ أن هذه الإحساسات المميزة أو المحددة هى من أعظم العناصر المتغيرة فى حياتنا، ونحن نستطيع أن نغلق أعيننا، أو نكون عمياناً على نحو دائم، ويمكن أن نكون صما، ومع ذلك فنحن نحيا (دون أن تكون لدينا إحساسات بصرية أو سمعية)، كما أننا نستطيع أن نغير وأن ننقل تفاصيل خبرتنا كما نريد، ضف إلى ذلك أن خبرتنا تختلف فى حياتنا اليومية أو نائمين، وفى حالة غفوة، أو فى حالة تفكير، فليس ثمة قاعدة واضحة تجعل إحساساتنا دائما واضحة ومتميزة وقاطعة نعيها تماما. نحن نبدأ فى الرحم، ثم نتنقل إلى المهد، ومن بعد ذلك نكتسب بالتدريبج فن ربط خبراتنا الرئيسية بجلاء الإحساسات الجديدة التى نحصل عليها، (٢).

إن نظرية الحسيين تخطئ خطأ بالغاحين لا تعير إهتماما للعناصر المتغيرة وتغفل دورها في تحديد الطبيعة العامة للخبرة الإنسانية، إن وايتهد يرى أن الطبيعة الإنسانية لابد وأن تفسر في ضوء الأعراض الحية لا في ضوء الماهيات الثابتة الوجودية يجب أن يشمل وصفها كل الموجودات بما فيها الموجودات اللاواعية، التي لا تكون إحساساتها دقيقة ومميزة وواضحة. يقول وايتهد وإن الطبيعة الإنسانية لابد وأن تفسر في ضوء

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ١٥٢.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ١٥٣.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، نفس الموضع.

الأعراض الحية أو النشطة لا في ضوء ماهياتها الوجودية، إن وصف ماهياتها يجب أن يطبق على الطفل الذي لم يولد بعد، أو على الطفل في مهده، أو على حالات النوم، أو على تلك الخلفية السريعة من المشاعر التي لا يمكن لمسها بسهولة بواسطة الوعى. إن التمييز الواضح الواعى عرض الموجود الإنساني، أنه يجعلنا إنسانيين، ولكنه لا يجعلنا نوجد، إنه من ماهية إنسانيتنا، لكنه عرض من أعراض وجودنا، (۱).

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ١٥٨.

## - 27 -حالتان للإدراك

أشار وايتهد إلى أنه إذا كان التمييز الحسى الواعى الواضح، الذى أطاق عليه مصطلح والمباشرة الحضورية Presentational immediacy ليس رئيسيا أو أساسيا، فإنه يجب أن يكون مشتقا من صورة أكثر أولية من صور الخبرة ومن هنا نستطيع أن نستنتج أن ثمة صورة أولية للإدراك، ليست من ذات نوع التمثلات الحسية الواضحة - القاطعة Clear - cut وأن هذه الصورة الأولية تتوافق مع كل تطبيق (أى لا تتوافق فقط مع الإدراك الواعى للإنسان، بل تتوافق مع كل ماعداه من درجات أدنى) فحين ننظر فى الأنواع الدنيا من الحيوان، والتى لم تتطور لديها الأعضاء الحسية، مثل الأعين والأذن لانجد الديها تمييزات حسية واضحة؛ ومع ذلك فهى تستجيب لبيئتها المحيطة بها، وكما قال وأيتهد : وإن الإستجابة لا تنسب إلى الوعى بالخبرة الحسية الواضحة القاطعة، (۱) . بل إن الأمر يبدو على العكس من ذلك وفإذا هبطنا إلى الدرك

<sup>(</sup>١) مرجع سابق، ص ١٨٤.

الأدنى، فسنجد فى الأنماط الدنيا، غفوة لا شعورية مظلمة، أو شعوراً مختلطاً غير محدد؛ ذلك لأن هذه الأنماط الدنيا، تفتقر خبرتها إلى نمايز الصور (الإحساسات) وإلى ضياء الوعى، كما تفتقر إلى نمايز الهدف. ويبدو أخيرا أنها تحيا بدافع لا واعى مكثف، مشتق من شعور غير مميز، وهذا الشعور مشتق هو الآخر من ماض مباشر، (١).

والواقع أن تلك المخلوقات الدنيا، تبدى استجابات ،علّية، غامضة غير واعية، ولما كانت تلك الإستجابات العلّية موجودة، رغم الغياب الكامل للإدراك الحسى ، فإن الإستجابات العلية لتلك لمخلوقات الدنيا لا تعتمد على الخبرة الحسية من حيث المبدأ، (٢) . وهذا يشير في رأى وايتهد إلى وجود نوع أكثر أولية من الإدراك هو نوع من ، القدرة العلية، وهي فكرة غامضة لا تعريف لها، ولا واعية بالضرورة .

وفى مجال الخبرة الإنسانية، فإن الإدراك الذي هو من نوع «القدرة العلية» يمكن أن يفسر بوضوح فى ضوء ما أسماه وايتهد «بمعية الجسد Withness of ولقد لاحظنا فيما سبق الإشارة الفلسفية إلى نظرية الاتحاد بين النفس والبدن، ونضيف الآن ملاحظة وايتهد التى تقرر أن معظم الفلسفات السابقة لم تعط الاهتمام الكافى الذى تستحقه مسألة «معية الجسد» فى الخبرة الإدراكية والواقع أن دور «معية الجسد» فى الخبرة الإدراكية قد عرف ضمنا فى العديد من العبارات التى وردت عند فلاسفة مختلفين، لكن نظرياتهم المفسرة اعتبرت الإدراك الحسى على أنه النوع الوحيد من الإدراك، ومن ثم لم نستطع أن تحدد مكانا «لمعية الجسد» يترابط فيه مع سائر عوامل الخبرة» لقد أشار ديكارت مثلا فى التأمل الأول إلى (أن هاتين اليدين يداى» وأن هذا الجسد حسدى) كما أكد هيوم على أقوال من نوع (نحن نرى بأعيننا)، والواقع أن مثل هذه العبارات تشهد على المعرفة الوظيفية السابقة للجسم فى عملية

<sup>(</sup>١) وايتهد : وظيفة العقل، ص ص ٦٣ - ٦٤.

<sup>(</sup>٢) وايتهد: أنماط الفكر، ص ١٥٤.

الإدراك الحسى.. إن ديكارت وهيوم هنا يعترفان ضمنا بأن الإدراك الحسى العالم الحاضر، مصحوب بإدراك معية الجسد.. (ومع ذلك) فلقد أسقطا (معية الجسد) من المعرفة الإدراكية المابشرة، ومن ثم قيدا الإدراك بنوع واحد فقط هو نوع (المباشرة الحضورية)، لقد إتفق سانتيانا بمذهبه عن (العقيدة الحيوانية) Animal faith عمليا مع موقف ديكارت وهيوم المتعلق بمعية العالم الفعلى الذي يحتوى الجسد.. ولكن ديكارت سمى هذا بنوع معين من الفهم وأسماه سانتيانا بالعقيدة الحيوانية المثارة بالصدمة، وأسماه هيوم بالعادة واسماه ها العقيدة الحيوانية المثارة بالصدمة، وأسماه هيوم بالعادة (۱).

ويلاحظ وايتهد أن هذا النوع من التعرف على معية الجسد والعالم الخارجي كان لا مترابطا، وأن نظريتي سانتيانا وهيوم، قد تأدت بهما إلى ضرورة إعتبار عامل ومعية الجسد، وضرورة تحديد وضعه المترابط مع سائر ضرورة إعتبار عامل ومعية الجسد، وضرورة تحديد وضعه المترابط مع سائر أجزاء النظرية. وهذا لا يتم إلا من خلال نظرية كاملة للإدراك لا تقتصر على نوع واحد فقط من الإدراك كما هو الحال في النظريات الآنفة الذكر؛ ذلك لأن النظرية الخاصة بالإدراك الحسى الواضح المميز لا تتلاءم أو تتكيف مع عامل ومعية الجسد، فهذا العامل الأخير نظراً لعدم وضوحه في عملية الإدراك، وعدم الوعي به (فنحن نرى الأشياء بأعيننا لكننا لا نرى أعيننا ذاتها كنقطة بداية لمعرفتنا بالعالم الخارجي) يتلاءم مع نوع آخر من الإدراك، هو النوع الأساسي غير المحدد وغير الواعي أو الواضح كما سبق أن ذكرنا. والواقع أننا لا نستطيع أن نتغافل عن عامل ومعية الجسد، وفهذه المعية هي التي تجعل الجسم نقطة بداية معرفتنا بالعالم المحيط، (٢). وهذا يعني أن معرفتنا الإدراكية تستقي في المحل الأول من الأعضاء الحسية الجسمية، التي تكون على اتصال مباشر بالبيئة الواسعة، لكننا في الإدراك الحضوري الواعي لا نكون على وعي

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع ،ص ١١٢ .

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، نفس الموضع.

عادة بتلك «المعية». إننا نحتاج إلى تركيز الإنتباه حتى نصبح واعين بوظيفة الجسد في الإدراك الحسى.

وإذا كان الإدراك الحضوري الواعي مشتقا من الأعضاء الحسية الجسمية فيجب أن نلاحظ أن هذا الإشتقاق، ذاته يتم دون وعي، ولا يدخل كعامل واعى في مباشراتنا الحضورية؛ فنحن نرى بأعيننا، ولكننا حينما نفعل ذلك، لا نرى أعيننا. وطبقا لهذا ذهب وايتهد إلى أن الأمر الأولى هنا فيما يتعلق ، بالمعية، وفيما يتعلق بهذا الإشتقاق اللاواعي من الأعضاء الحسية الجسمية، هو أننا بازاء معرفة مباشرة بالقدرة العلية، ولسنا أمام إدراك حسى واضح وقاطع وواعي، ويذكر وايتهد اأن هذه النتيجة يمكن أن تتأكد أكثر، إذا هبطنا في درك الكائنات العضوية؛ إذ لا بيدو أن المخلوقات الحبة الدنيا تفقد حاسة الإهتمام أو الإدراك العلِّي بقدر ما تفقد العديد من الإدراكات الحسية والتمييزات الحية للمباشرة الحضورية؛ إن الحيوانات وحتى الخضروات في الصور الدنيا من الحياة العضوية، تفصح عن أحوال سلوكية موجهة نحو حفظ البقاء الذاتي، وهناك أدلة عديدة تثبت الشعور الغامض بالعلاقة العلية مع العالم الخارجي . . فقنديل البحر (سمك هلامي) يتقدم ويتراجع، وهو في فعله هذا، يظهر بعض الإدراك للعلاقة العلية بالعالم المحيط به. والنبات ينمو إلى أسفل في الأرض الرطبة، وإلى أعلى تجاه الضوء.. فهناك من ثمة بعض الأسباب المباشرة التي تدعونا لوصف الشعور البطئ وغير الواصح بأنه علاقة علية، على الرغم من عدم توفر أي سبب لدينا ننسبه أو نعزوه إلى المباشرة الحضورية، (١).

ويجب أن نؤكد هنا على أن هذه الإستجابة العلية هي نوع من الإدراك بالكيانات المحيطة.

<sup>(</sup>۱) نفس المرجع، ص ص ۲٤٨ – ٢٤٩.



## الفصل الثاني عشر مقولة الاستحواذ

٢٨ - مقولة الاستحواذ.

٢٩ - الاستحواذ كشعور.



# - YA -

### مقولة الاستحواذ

ذهب وايتهد إلى أن علينا أن نقبل الإدراك العلَّى الغير واع على أنه متمايز عن الإدراك الحضورى الواعى، ورأى - أكثر من ذلك - أن الإدراك اللاواعى العلَّى (أى القدرة العلية) هو الأساس الأول بينما يشتق الآخر منه، فالإدراك العلَّى اللاواعى يمثل الأساس الأول لأنه:

أولا: ليس مثل الإدراك الحضورى الواعى، أو الفكر أو التأمل يصف أناساً يتصفون بمميزات خاصة ترجع إلى إنتمائهم إلى درجات عليا من الموجودات، إنه إدراك يتسم بالعمومية، وينطبق على جميع درجات الموجودات، بما فيها العليا والدنيا والوسيطة.

ثانيا : إن الإدراك الحضورى الواعى يمكن أن يشتق من الإدراك العلَّى اللاواعى.

ومن ثم فلقد ذهب وايتهد إلى أن الإدراك اللاواعى افى حالة القدرة العلية، يجب أن يعتبر خاصية أساسية للخبرة، ومن هنا عمم وايتهد هذا الإدراك اللاواعى لكى يصبح مكونا للطبيعة العامة لكل الفعليات. أى أنه

تصور الفاعلية العامة للفعليات على أنها فعل إدراك لاواعى للمعطيات، أو على أنه فعل فهم وإحتواء المعطيات كموضوعات.

إن مقولة الإستحواذ هي أهم المقولات التي يقدمها لنا وايتهد في نسقه الميتافيزيقي، لذا فلقد اختار للتعبير عن هذه المقولة مصطلحاً حيادياً، متحرراً بذلك من المذاهب التي رفضها. إن مصطلحات مثل awareness و perception و perception و sense - perception التي استخدمنها من قبل، كصفات للاوعي، لاتفي بالمطلوب تماماً هنا. ولقد لاحظ وايتهد أن ليبنتز ،قد استخدم مصطلح perception ومصطلح appreception للمعرفة الدنيا والعليا التي تستخدمها المونادات (\*). أي لطرق الإهتمام أو الإدراك awarness ، لكن هذه

<sup>(\*)</sup> يقصد ليبنتز بمصطلح Perception الإدراك، ويقصد بمصطلح Perception الذي هو إدراك الإدراك أو الوعى. يقول ليبنتز بيحسن أن نميز بين الإرادك Perception الذي هو حالة داخلية للموناد تمثل الأشياء الخارجية، وبين إدراك الإدراك معطى معلى الكل النفوس الذي نشعر به أو الذي يعكس المعرفة لتلك الحالة الداخلية، والتي لا تعطى لكل النفوس الحيوانية، كما لا تعطى لنفس حيوانية معينة طوال الوقت (أنظر: مبادئ الطبيعة والعناية مؤسسة على العقل، لليبنتز، ترجمة المؤلف، فقرة ٥) ويؤكد ذلك ليبنتز مرة أخرى في موناد ولوجيته حيث يذهب في الفقرة ١٤ إلى أننا يجب أن نميز بعناية بين الإدراك وبين الوعى أو الشعور به، والواقع أن ليبنتز قسم المونادات إلى طوائف بحسب وصوح وتميز إدراكانها إلى:

<sup>1 -</sup> مونادات عارية عن الشعور Unconscious bare Monads وإدراكاتها تكون غير وإضحة وغير محددة وغير متميزة، أي أن إدراكاتها تكون مضطرية ومختلطة، وهي لا تشعر بالإدراكات التي تقع لها ولا تتعقلها أيضا.

٢ ~ مونادات حاصلة على الشعور Conscious Monads وهى حاصلة على نضج معين وإكتفاء ذاتى وقوة ونشاط، تتميز عن الطائفة الأولى فى أن تمثيلها للعالم يكون مصحوبا بالذاكرة وهى تحس وتشعر بإدراكاتها، ولكنها مع ذلك لا تعى أو تتعقل إدراكاتها ولا تبحث عن أسبابها.

٣ - المونادات العاقلة أو الواعية بذاتها Rational or self - conscious Monads وهي أرفع تلك الطوائف وأعلاها درجة وتكون مصحوبة علاوة على الذاكرة بالعقل وتطلق على الإنسان وعلى العقول العليا.

المصطلحات ترتبط بقوة بفكرة الوعى، التى هى فكرة ليست ضرورية فى مذهبى، وتقودنا إلى الوقوع فى خطأ فكرة الإدراك الحضورى الواعى التى أرفضها (وإذا تركنا جانباً كل المصطلحات السابقة) فإننا نجد أمامنا مصطلح apprehension الذى يعنى الفهم الكامل، وطبقاً لهذا وعلى غرار نموذج ليبنتز، فإننى سأستخدم المصطلح prehension لكى أعبر به عن الطريقة العامة التى يمكن بها لحادثة الخبرة أن تحتوى كيانات أخرى، تصبح أجزاء فى ماهيتها، سواء أكانت تلك الكيانات الأخرى حادثات خبرة أو كيانات من نوع آخر، (۱).

إن مصطلح Prehension يعنى حرفياً الإمساك أو القبض Seizing or يعنى حرفياً الإمساك أو القبض grasping ومن هذه الكلمة prehension تشتق كلمة apprehension لكى تعنى الفهم أو الإمساك بواسطة العقل أو الحواس، يقول وايتهد لقد قبلت مصطلح Prehension لكى أعبر به عن الفاعلية التي يتأثر بها الكيان الفعلى في عينتيه الخاصة بالأشياء الأخرى، (٢). ذلك لأن الفاعلية العامة المكونة الكيان الفعلى هي فعل إمساك grasping أو استحواذ appropriating على كيانات أخرى كي تصبح عناصر في معية نموه.

وادراكاتها إذن واضحة متميزة، تشعر بها، وتتعققها وتعيها. ويقصد ليبنتز بالطائفة الأخيرة النفس الإنسانية، فهى التى تدرك إدراكها أو تعيه، ولكنه يرى أن عملية الوعى بالإدراك هذه ولو أنها تخص الإنسان وحده من بين أنواع الحيوان، إلا أنها لا تخصه دوما وفى كل الفترات، إذ قد يغيب الوعى عن الإنسان فى حالات الاغماء أو النوم أو الأمراض الخطيرة وهكذا. وعلى نفس منوال ليبنتز ذكر وايتهد أنه سيستخدم مصطلح prehension وهو يعنى عنده الوعى بالإستحواذ. يعنى هذا الاستحواذ أما مصطلح apprehension - فهو يعنى عنده الوعى بالإستحواذ. ومن حيث أن وايتهد يدرك أن مصطلح apprehension - يخص قئة مميزة خاصة ولا ينطبق على الطبيعة العامة لكل الموجودات بمختلف فئاتها، فانه سيستخدم المصلح -pre بنطبق على يطبق على كافة الكيانات (لا على الكيانات العاقلة وحسب) دون استثناء (المترجم).

<sup>(</sup>١) وايتهد : مغامرات أفكار، ص ٣٠٠.

<sup>(</sup>٢) وايتهد: العملية والواقع، ص ٧١.

ومن هنا فلقد أجاب وايتهد على السؤال: كيف يمكن للكيانات الأخرى وكل منها له وجوده الصورى الخاص، أن تحل موضوعياً في التكوين المدرك للكيان الفعلى مثار النظر؟ أجاب ـ بقوله إن ذلك يكون على هذا النحو من جهة كون الكيانات الأخرى مستحوذ عليها بواسطة كيان فعلى هو ذات تكون في عملية معية نمو، وهذا يعنى أن الطريقة التي يمكن أن يتم بها احتواء كيانات أخرى في تكوين كيان فعلى جزئى، تكون بواسطة استحواذ هذا الكيان الفعلى الجزئى على تلك الكيانات الأخرى.

ولكى نقدر بالصبط كيف يمكن الفعليات الأخرى أن تحتوى أو تحل فى الكيان الفعلى مثار النظر بواسطة كونها مستحوذ عليها من هذا الكيان الفعلى، يجب أن نلاحظ أن وايتهد يتحدث عن الفعليات الأخرى بإعتبار أن كلا منها حاصل على وجوده الصورى الخاص، وأن كلا منها يحتوى موضوعياً. إن الوجود الصورى محضوعياً عند وايتهد يعنى وجود الكيان الفعلى فى الوجود الصورى Objective existence عند وايتهد يعنى كون هذا الكيان الفعلى فى موضوعا Objective existence في الكيان أو كيانات أخرى. إن وايتهد يستخدم المصطلحين موضوعا Formaliter Objective بنفس المعنى الذى استخدمهما به ديكارت. لقد ميز ديكارت بين الوجود الصورى للأشياء وبين الوجود الموضوعي لها؛ فلقد كتب على سبيل المثال يقول وإن فكرة الشمس هى الشمس ذاتها موجودة في عقلى، وهذا لا يعنى أن الشمس توجد هنا وجوداً صورياً، كما توجد في السماء، إنها توجد وجودا موضوعياً، أي بالطريقة التي تعتاد بها الموضوعات أن توجد في العقل، وتلك الحالة الأخيرة من الوجود تكون أقل كمالا من حالة وجود الأشياء خارج العقل لكن هذا لا يعنى أنها مجرد لاشئ،

لكن ديكارت الذى اتهم بالثنائية الميتافيزيقية، اتهم أيضاً بأنه سلم بالنظرية التمثلية للإدراك، وكما أشار وايتهد، فإن الإدراك التمثلى representative perception لا يمكن أن يؤدى خلال منظوره الفلسفى إلى صحة تمثل الواقعة بالفكر. والواقع أن استخدام مصطلح مصوضوعى، لا يقدم

لنا الحل، أنه يبلور المشكلة ويحددها، ويدعونا إلى النظر في الكيان الفعلى من حيث أنه يتصف بالوجود الصورى والوجود الموضوعي معا. ويجب أن نفسر الآن ذلك.

يرى وايتهد أن الكيان الفعلى في طبيعته النهائية هو فاعلية الصيرورة أو الإنيان إلى الوجود، وهذا يعنى أن والعملية ذاتها هي التي تكون الكيان الفعلى، وبعبارة لوك إنها (المكون الداخلي الحقيقي) للكيان الفعلى، وبعبارة أقدم استخدمها ديكارت (إن العملية هي ما يكون عليه الكيان الفعلى في ذاته صوريا)، (۱). ولقد رأينا فيما سبق أن هذه العملية هي فاعلية الخبرة، أو على نحو أدق فاعلية الإستحواذ، ومن ثم فماهو وصوري، هو الكيان الفعلى القائم بعملية استحواذ، وهذا يعنى وأن الخبرة التي يتمتع بها كيان فعلى هو (صورية) هذا الكيان. وأنا أعنى بذلك أن هذا الكيان حين بنظر إليه (صوريا)، فإنه يوصف في ضوء صور تكوينه، التي يكون بها، كيانا فرديا له مقياسه الخاص في تحققه الذاتي المطلق، (۱).

وهذا يعنى أن الوصف الصورى Formal - description ، أو تحليل الكيان الفعلى يكشف عن أنه معية نمو لعمليات الاستحواذ؛ فحينما نحلل الكيان الفعلى فإننا نجده لا يتكون إلا من عمليات استحواذ مختلفة الأنواع، ومتنوعة فى درجات التركيب والتعقيد. ولقد لخص وايتهد ذلك بقوله : «إن التحليل الأولى للكيان الفعلى، يكشف فى أعظم عناصره العينية، عن معية نمو الكيان الفعلى وفق عمليات استحواذ تكون أصلية فى عملية صيرورته أو إتيانه إلى الوجود، وكل التحليلات التالية ليست إلا تحليلات لعمليات الاستحواذ، (٢).

ومن ثم يتكون الكيان الفعلى اصورياا من فاعلية الاستحواذ، كما أن وجوده الصورى ليس إلا تلك العملية الفاعلية للاستحواذ، وحينما تتحقق تلك

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ص ٣٠٩ - ٣١٠.

<sup>(</sup>٢) نفس الموضع، ص ٧١.

<sup>(</sup>٣) نفس الموضع، من ٣١.

العملية وتصل إلى نهايتها، تكتمل الفاعلية، فيتوقف الوجود الصورى نتيجة لذلك، حينئذ لا يمكن لهذا الكيان الذى اكتملت فاعليته، إلا أن يوجد وجودا موضوعياه؛ أى يوجد مكموضوع، يدخل فى تكوين كيان فعلى لاحق. ومن ثم فالنظر إلى الكيان الفعلى مموضوعيا، معناه النظر إليه من حيث أنه قد اكتمل وتم، وأن عمليته الصيرورية قد اكتملت وتمت، وأنه قد توقف عن أن يوجد مصورياه، وهكذا يكون تمييز وايئهد بين الوجودين الصورى والموضوعي للكيان الفعلى كما يلى:

وإن التكوين الصورى للكيان الفعلى، هو عملية انتقاله من اللاتحديد تجاه التحديد النهائى.. أما التكوين الموضوعى للكيان الفعلى فهو تحديده النهائى، منظورا إليه كعنصر مركب أو معطى لتقدم خلاًق آخر، (١).

ولكى نفهم كيف يمكن أن يوجد كيان فعلى الموضوعيا، في كيان فعلى آخر، فإن علينا أن نقوم بتحليلات أكثر لعملية فاعلية الاستحواذ.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٧٢.

## - 29 -الاستحواذ كشعور

ذهب وايتهد إلى أن «كل كيان فعلى يمكن تصوره كفعل لخبرة بمعطيات» (١). وهذا يعنى أن الكيان الفعلى «يستحوذ» من أجل تأسيس وجوده الخاص، على عناصر مختلفة من العالم الخارجي المحيط به، وأن كل عملية استحواذ على عنصر تسمى بعملية الاستحواذ prehension. إن العناصر النهائية للعالم، التي يستحوذ عليها، هي ما تكون مباشرة الكيانات الفعلية، والموضوعات الأبدية، (٢).

ويلاحظ وايتهد أن المصطلح Prehension، هو مصطلح غير مألوف إلى حد ما، لذا فإنه يرى إما استبدال هذا المصطلح بمصطلح آخر هو مصطلح الشعور Feeling وذلك كى يجعل مسألة الطبيعة العامة للخبرة واضحة أمام القارئ. وهو يستخدم كلمة feeling، بنفس المعنى الذي استخدم فيه كلمة

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص٥٥.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٣٠٩.

Prehension، ولكن بمفهوم أوسع وأكثر تحديدا إلى حد ما يقول وايتهد اإن كلمة شعور Feeling هي مجرد مصطلح تكنيكي، ولكنني إخترتها لكي تفيد الوظيفة التي يتم خلالها استحواذ الكيان الفعلى الذي يكون في عملية معية نمو على المعطيات التي تكون ذاته، (۱). وهذا يعني أن فاعلية عملية الاستحواذ هي فاعلية شعورية، يشعر فيها الكيان الفعلى الذي يكون في عملية معية نمو بمعطياته.

ومن الصرورى أن نميط اللثام عما يعنيه وايتهد، على نحو الدقة بالمصطلح Feeling. يقول وايتهد ابن استخدام هذا المصطلح يتشابه تشابها وثيقاً مع استخدام الكسندر للمصطلح (تمتع enjoyment) وله أيضا بعض العلاقة باستخدام برجسون للمصطلح (حدس intuition)، كما أن هناك بعض التقارب بينه وبين استخدام لوك للمصطلح (فكرة idea) التي تحتوى على أفكار بالأشياء الجزئية. لكن الكلمة Feeling كما ستستخدم هنا تذكرنا أكثر بديكارت حين قال على سبيل المثال (٢). (إن كان الأمر كذلك، فمن المحقق على الأقل، أنه يلوح لى أنى أرى ضوءا وأسمع دويا وأشعر بحرارة، وهذا لا يمكن أن يكون زائفا؛ وهو على التدقيق ما يسمى في بالشعور، وهو لا يخرج عن التفكر، (٢).

وهذا يعنى أن الشعور فعل خابر، وهو خابر بأشياء أخرى أى بموضوعات أو بمعطيات. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن وايتهد يرغب من إستخدامه المصطلح شعور Feeling في أن يؤكد على أن أساس الخبرة عاطفى Emotional ولكى نقرر هذا الأمر بصورة عامة نقول وإن الواقعة الرئيسية تتمثل في صدور أو قيام صوت تأثيري أو نغمة عاطفية affective tone من

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

<sup>(</sup>٢) أنظر: ديكارت التأملات، التأمل الثانى فقرة ١١، ترجمة عثمان أمين. مع بعض التصرف (المترجم).

<sup>(</sup>٣) وايتهد : العملية والواقع، ص ص٥٦.

الأشياء المعطاة، (١). إن كلمة شعور Feeling ترتبط ضرورة بالصوت التأثيرى أو بالنغمة العاطفية، ولكن قليلا من المفكرين هم الذين ذهبوا إلى أن هذا الصوت التأثيرى ينبع عن المعطيات حينما يستخدمون كلمة شعور Feeling.

وإذا سلمنا بهذا الرأى مع وايتهد، فإننا نتبين مغزى رفض وايتهد لنظرية الحسيين في الإدراك. فقد رأينا أنه طبقا لهذه النظرية المرفوضة تكون خبراتنا العاطفية والغائية مجرد إنعكاس تأملي مشتق من الإدراك (الحسي) الرئيسي. وهذا يعني أن الخبرة التي تسلم بها هذه النظرية تنبع عن الإحساس المجرد، وأن الصوت التأثيري والعاطفي ليس إلا رد فعل ينبع من الذات البحتة، وكما ذكر وايتهد فإن مخبرتنا العاطفية والغائية في مثل هذه النظرية تتبع الانطباعات الحسبة كما ذهب إلى ذلك هيوم، (۱).

قرر وايتهد أن الخطأ فى هذه النظرية يكمن فى فصلها بين الخبرة العاطفية وبين الخبرة الحضورية؛ أى فى فصلها بين النغمة العاطفية وبين الإحساس. وسلم، على العكس من ذلك، بأن والفصل بين الخبرة العاطفية وبين الخبرة الحضورية ماهو إلا نتاج تجريد فكرى عال، (٦). بمعنى أن هذا الفصل لا يوجد كعنصر أصلى فى الخبرة، وإنما ينجم عن نشاط عقلى (٤).

والواقع أن الأساس المتين، الذي رفض وايتهد، بناءا عليه، نظرية الحسيين، يتمثل في أن هذه النظرية ارتبطت تماما بنتاج العقلية المتقدمة العليا، واعتبرت هذا النتاج العقلي على أنه المكون للخواص الأولية العامة

<sup>(</sup>١) وايتهد : مغامرات الأفكار، ص ٢٢٦.

<sup>(</sup>٢) وايتهد : العملية والواقع، ص ٢٢٧ .

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، نفس الموضع.

<sup>(</sup>٤) أنظر Collingwood في كتابه 163 Art, P. 163 و Collingwood في كتابه 163 انظر Intellectual Sterilization of يتحدث عما يسمى بالتطهير الفكرى للاحساس Sense بطريقة تسير وفق ما ذكره وايتهد.

للخبرة. في حين أن الأمر ـ كما لاحظ وايتهد ـ على العكس تماما من هذا، ذلك أننا إذا فحصنا خبرتنا ـ دون النقيد مسبقا بآراء نظرية الحسيين ـ فسوف نتعرف في أنفسنا على صورة إدراكية أكثر أولية من تلك التي عرفها الحسيون وحدها وهي والقدرة العلية، إن والقدرة العلية، تنتج والإدراك الغامض، الذي لا يمكن التحكم فيه، والمفعم بالعاطفة، إنها تنتج حاسة الاشتقاق من الماضي المباشر، وحاسة المرور إلى المستقبل المباشر.. إنها تنتج حاسة الشعور العاطفي، المنتمى إلى ذات مفردة في العاضى، والمار إلى ذات مفردة في العاضى، والذي سيمر من ذات مفردة في الحاضر إلى ذات مفردة في الماضى. ولك التأثير الذي يغير، أو يعزز، أو يكبت مجرى الشعور الذي نستقبله، ونتمتع ناصر به، ونوحده، وننقله.. هذا هو إحساسنا العام بالوجود، كعنصر بين عناصر أخرى في عالم عاطفي وانفعالي وفعلي، (١).

إن طريقة تفكير أصحاب النظرية الحسية وأصحاب تصور الجوهر - الصفة واحدة ومترابطة تماما، فإذا نظرنا إلى التجريد العالى التالى (الحجر أخضر اللون) فإننا سنجد صعوبة بالغة فى أن نستنتج من وعينا فكرة (أخضر) كخاصية واصفة لعاطفة ما، (٢) . وأشار وايتهد بعد ذلك إلى ،أن المشاعر الجمالية التى نحصل عن طريقها على فن التصوير، ليست إلانتاج التضادات الخفية بين الألوان المختلفة الواصفة للعاطفة، (٣) . إن فن التصوير يكون مستحيلا إذا لم تكن العاطفة أساسية فيه . وطبقا لهذا ذهب وايتهد إلى ،أن قصر فهمنا بالكيانات الفعلية على توسط الإحساسات البحتة هو مجرد خرافة، (٤) .

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٢٥١.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٢٢٧.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، نفس الموضع.

<sup>(</sup>٤) نفس المرجع، ص ١٩٧.

وبرفض وايتهد لنظرية الحسيين، سلم بأن الخبرة الأولية هى شعور عاطفى، (١). فاقد للوعى؛ فالشعور فى مثل تلك الخبرة الأولية يكون أعمى، وتكون إشارته غامضة. وطبقا لهذا ذهب وايتهد إلى اأن الإدراك، بمعناه الأولى، هو إدراك لعالم قام فى الماضى كونته أصواته الشعورية، وتأثر بسبب هذه الأصوات الشعورية، إن الإدراك بهذا المعنى، يمكن أن يسمى (بالإدراك فى حالة القدرة العلية) (٢).

إنضح مما سبق أن وايتهد يصف العالم يأنه شعورى، ومن ثم يصبح الشعور هو المكون للطبيعة العامة لكل الفعليات، وفسر وايتهد ذلك بقوله: «أنه أقام مذهب على الواقعة الملاحظة مباشرة، والتي تقرر، أن الشعور يدوم . كعنصر تكويني معروف للوجود الصورى لمثل تلك الكيانات الفعلية كما نلاحظها بدقة، وحينما نلاحظ أيضا العلاقة العلية، بدون تداخلها مع الحضور . الحسى، فإن ما نجده لن يكون إلا تدفقا شعوريا بكيفية غامضة، (١).

وحينما نعلم أن «الشعور» عامل رئيسى فى خبرتنا، وأنه يختلف بإختلاف الخابرين طبقاً للمبدأ الذاتانى المعدل، فإننا ندرك أن هذا «الشعور» عام بالنسبة إلى جميع الفعليات، إن هذا الشعور فعل عام للإستحواذ، ومن ثم ذهب وايتهد إلى أن «الكيان الفعلى هو عملية شعورية بعدة معطيات، تستوعب فى وحدة إشباع فردية واحدة One Individual Satisfaction، (3).

أن مصطلح الشباع Satisfaction يتوافق مع مصطلح اشعور Feeling فهو يعنى نتيجة وبلوغ نهاية، وحصيلة الشعور أو الإستحواذ. يقول وايتهد: اإن الإشباع هو إكتفاء الدافع الخلاق بتحقق متطلباته المقولية، (٥).

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٢٢٧.

<sup>(</sup>Y) نفس المرجع، ص ١٦٩.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع ، ص ٢٤٩ .

<sup>(</sup>٤) نفس المرجع، ص٥٥.

<sup>(</sup>٥) نفس المرجع، ص ٢٠٩.

الكيان الفعلى إذن ،عملية شعورية، ، وتحليله ،يكشف عن عمليات إنتقال الكيانات التي هي وحدات متحدة ، إلى عناصر تدخل في تكوين كل عيني واحد. ونحن سنستخدم مصطلح ،شعور، كوصف عام لتلك العمليات. وإذن فالحادثة الفعلية ماهي إلا معية نمو تتأثر بعملية شعورية ، (١).

اتضح مما سبق أن مصطلح ، شعور Feeling ، يستخدم كمرادف لمصطلح ، الإستحواذ Prehension ، وعلى نحو أكثر دقة ، للاستحواذ الإيجابي Prehension ، لأنه احتواء ايجابي أو استيعاب عنصر في ذات كلية مدركة ، سواء أكان هذا العنصر كياناً فعليا سابقا ، أو موضوعا أبديا ، يقول وايتهد ، إن الإستحواذ الايجابي هو الاحتواء المحدد لهذا العنصر الذي يساهم إيجابيا في التكوين الداخلي الحقيقي الذي يخص ذاتاً معينة ، وهذا الإحتواء الإيجابي يسمى بشعور تلك الذات بذاك العنصر ، (٢) .

وهناك نوع آخر من الاستحواذ، يسميه وايتهد بالإستحواذ السلبى negative وهناك نوع آخر من الاستحواذ، يسميه وايتهد بالإستحواذ السلبى من المساهمة الإيجابية في التكوين الداخلى الحقيقي الذي يخص ذاتاً معينة، (٦). وبمعنى آخر أن الإستحواذ السلبى هو محذف من الشعور Eliminate of feeling، (١). وسوف نرى معنى الإستحواذ السلبى فيما بعد، لكن النقطة الواضحة تماما الآن هي أن الكيان الفعلى يرتبط تماما بكل عنصر من عناصر العالم، (٥). فهذا هو ما تتطلبه مقولة النسبية، وهذه الرابطة الحتمية ولاتعنى أكثر من استحواذ الكيان الفعلى لهذا العنصر أو ذاك، (١). وحتى الإستحواذ السلبى بعير عن الكيان الفعلى لهذا العنصر أو ذاك، (١). وحتى الإستحواذ السلبى بعير عن

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣٠٠.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٥٦.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٢٦.

<sup>(</sup>٤) نفس المرجع، ص ٣٢.

<sup>(</sup>٥) نفس المرجع، ص ٥٦.

<sup>(</sup>٦) نفس المرجع، نفس الموضع.

رابطة (۱). ونخلص من ذلك إلى أن الإستحواذ وهو الفعل العام للكيان الفعلى، ينقسم إلى قسمين: استحواذ إيجابى والآخر سلبى، وإن عمليات الإستحواذ الإيجابية هى احتواء إيجابى لعناصر يتم الشعور بها، ومن ثم فعمليات الإستحواذ الإيجابية تسمى بالمشاعر، (۲).

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، نفس الموضع.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص١١٣.



## الفصل الثالث عشر الاستحواذ وعملية إنتقال الذات إلى موضوع

٣٠ - فعل الاستحواذ.

٣١ – عملية الانتقال من ذات إلى موضوع.



#### - ۲۰

#### فعل الاستحواذ

سوف نتجاهل هنا، ونحن نقوم بتحليل فعل الاستحواذ عمليات الاستحواذ السلبية، وهذا يعنى أننا سنركز الإهتمام على الإستحواذ الإيجابي للمعطيات أو الإحتواء الايجابي للكيانات. ولقد أوضح وايتهد رأيه هذا بقوله وإن حادثة الخبرة، فاعلية تقبل التحليل إلى حالات وظيفية، تكون باتصالها عملية صيرورتها أو إتيانها إلى الوجود. وكل حالة من تلك الحالات، تحلل في ضوء الخبرة الكلية لذات فاعلة، وفي ضوء الشئ أو الموضوع الذي تهتم به تلك الذات بفاعليتها الخاصة. وهذا الشئ هو المعطى. أي الذي يمكن وصفه دون الإشارة إلى قبوله في تلك الحادثة.. إن الموضوع هو أي شئ يحقق وظبفة المعطى المتمثلة في إثارة فاعلية خاصة لحادثة ما.. ومن ثم فالذات والموضوع مصطلحان نسبيان.. أي أن الحادثة تكون ذاتاً بالنظر إلى فاعليتها الخاصة المهتمة بموضوع، وتكون موضوعا بالنظر إلى إثارتها لفاعلية تخص الخاصة المهتمة بموضوع، وتكون موضوعا بالنظر إلى إثارتها لفاعلية تخص ذات. إن حالة الفاعلية تلك تسمى بالإستحواذ، (۱). وجدير بالذكر أن

<sup>(</sup>١) وايتهد : مغامرات الأفكار، ص ٢٢٦.

الإستحواذ يمثل عملية علائقية تربط بين ذات خابرة وبين معطى يكون موضوعها. إن المعطى المنفصل عن عملية الإستحواذ، يوجد وجوداً مستقلا (إذا كان كياناً فعلياً، أو موضوعا أبدياً، أو إذا وصفناه دون الإشارة إلى قبوله في تلك الحادثة) ولكنه لا يوجد مستقلا من حيث هو موضوع؛ فهو كموضوع إنما يكمل أو يتمم عملية والذات التي تستحوذ موضوعا، ومصطلح موضوع Object ليس له معنى إلا باشتراكه مع ذات مستحوذة، وينتج أن أى قصل بين هذه العوامل التي تكون فعل الإستحواذ؛ أى الفصل بين والذات، و والفاعلية، و والموضوع، أو غيرها إنما يكون من قبيل التجريد.

وإذا مضينا في تحليلنا أكثر لفعل الإستحواذ لأدركنا أن فعل الإستحواذ الإيجابي هو فعل شعوري. يقول وايتهد وإن الشعور Feeling يستخدم هنا لعملية الإنتقال العامة والأساسية من موضوعية المادة إلى ذاتية الكيان الفعلي محل النظر؛ (١).

وبالإضافة إلى ذلك، ففعل الاستحواذ الشعورى، هو فعل عاطفى Emotional في ماهيته. يقول وايتهد ،إن الصورة الأولية للخبرة الفيزيقية Physical exprience عاطفية، أو هي تمثل عاطفة عمياء.. وأن الصورة الأولية للغة التي تتلاءم مع مراحل أعلى من الخبرة تعاطفية أو تتمثل في التعاطف Sympathy الوجداني، أي في الشعور بشعور آخر، أو الشعور المتطابق مع شعور آخر، (٢).

وإذن، فمن الناحية الصورية، يتكون كل كيان فعلى ـ ليس الكيان الفعلى الذى هو ذات مستحوذة وحسب ولكن المعطى المستحوذ أيضاً ـ من فاعلية مستحوذة، أو من فاعلية شعورية، وهذه الفاعلية الشعورية عاطفية.

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٥٥.

أنظر تفسير الخبرة الفيزيقية في : الفقرة ٢١٠، من هذا الفصل.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٢٢٧ .

ومن ثم فحينما يشعر كيان فعلى يكون فى عملية معية نمو بكيان فعلى سابق يكون معطى له، فإنه يشعر شعوراً متطابقاً مع شعور هذا المعطى : أى أن الصورة الذاتية Subjective Form لشعورالكيان الفعلى الذى يكون فى عملية معية نمو تتطابق مع «الصورة الذاتية» لشعور المعطى؛ فالكيان الفعلى الذى يكون فى عملية معية نمو يشعر الآن بما كان يشعر به الكيان الفعلى الناقي يكون فى عملية معية نمو يشعر الآن بما كان يشعر به الكيان الفعلى السابق حينما كان يمتلك مباشرته الذاتية. إن وايتهد يعنى «بالصورة الذاتية» الكيفية التى يكون عليها الشعور، إنها «الصوت التأثيري أو النغمة العاطفية» الواصفة للشعور. ويمكن تلخيص ماسبق بقولنا : «إن الخاصية العاطفية للذات المستحوذة تتطابق مع خاصية شعور المعطيات؛ فلكى تشعر بمعطيات تمثل موضوعاً معناه أن تشعر شعوراً متطابقاً مع شعور تلك المحطيات.

وفى ضوء ما سبق، ذهب وايتهد إلى أن فعل الاستحواذ يتكون من ثلاثة عوامل هى الذات والمعطيات والصورة الذاتية. يقول وايتهد ايتضمن الإستحواذ ثلاثة عوالم:

أ - الذات التي تستحوذ؛ أي الكيان الفعلى الذي يكون الإستحواذ عنصره العيني.

ب - المعطيات التي تستحوذ.

ج - الصورة الذاتية المتمثلة في كيفية إستحواذ هذه الذات لتلك المعطيات، (١).

وفى نص آخر مشابه يقول وايتهد اإن الإستحواذ يتضمن ثلاثة عوامل : فهناك :

أولا: حادثة الخيرة التي تستحرذ بفاعليتها.

ثانيا: المعطيات التي تثير مكامن هذا الاستحواذ، وهذه المعطيات هي الموضوع المستحوذ عليه.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣١.

ثالثاً: الصورة الذاتية التي هي صوت تأثيري أو نغمة عاطفية تحدد فاعلية هذا الاستحواذ في حادثة الخبرة، (١).

إن العوامل الثلاثة الآنفة ضرورية فى إعتبار الاستحواذ فى عينيته، كما سنرى ذلك بصورة أوضح فيما بعد، وأن تصور أى عامل منها على أنه منفصل عن العاملين الآخرين ليس إلا مجرد تجريد. إن الاستحواذ هو كل الفعل العينى لذات Subject تشعر بمعطيات Datum خلال صورة ذاتية Subjective from .

وهذا يتأدى بنا إلى التعريف الذى أعطاه وايتهد للاستحواذ Prehension وهو: «أن استحواذ أحد الكيانات الفعلية بواسطة كيان فعلى آخر، هو عملية كاملة، يمكن تحليلها إلى إنتقال الكيان الفعلى السابق إلى موضوع يمثل معطى للكيان اللاحق، وإلى شعور ممتلئ يستوعب المعطى في إشباع ذاتى Subjective Satisfaction ممتلئ بالعناصر المختلفة من صورته الذاتية، لكن هذا التعريف يمكن أن يقرر بصورة أكثر عمومية، حالة استحواذ الموضوع الأبدى بواسطة الكيان الفعلى؛ أى حالة الاستحواذ الإيجابي لكيان بواسطة كيان فعلى، والتي يمكن تحليلها إلى ولوج أو انتقال هذا الكيان إلى موضوع يكون معطيات الشعور، وإلى هذا الشعور الذى تستوعب بواسطته تلك المعطيات في إشباع ذاتى، (٢).

ويجب أن نلاحظ أن الشعور المشبع تماماء ليس منفصلا عن عملية انتقال الذات إلى موضوع، بل على العكس من هذا فإن عملية انتقال الذات إلى الموضوع تتأثر بالشعور؛ فالشعور هو ذلك الفعل الذى تُستوعب المعطيات به في إشباع ذاتى. وهذا الاستيعاب ينقل الذات إلى موضوع، أي أن المعطى يصيح موضوعا خلال الشعور به، أو يكون موضوعا لذات تشعر به. إن الكيان

<sup>(</sup>١) وايتهد : مغامرات الأفكار ، ص ٢٢٧.

<sup>(</sup>٢) وايتهد: العملية والواقع، ص ٧١

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الفعلى الذى هو مُعطى، حينما يوصف بدون الإشارة إلى ذات مستحوذة، يكون موضوعا بالقوة، وهو يصبح موضوعا بالفعل، حينما يشعر به بواسطة ذات أو عدة ذوات تكون في عملية معية نمو. وكونه مشعورا به كموضوع يكون استيعابه، و الحتوائه، في ذات مستحوذة.

## - 41 -

#### عملية الانتقال من ذات إلى موضوع

سننظر الآن ـ بغية تفادى المزيد من الصعوبات والتعقيدات ـ فى أبسط حالة من حالات الاستحواذ، وهى تلك الحالة التى يستحوذ فيها كيان فعلى مفرد آخر، يكون بمثابة معطى أو موضوع له . ولقد مفرد على كيان فعلى مفرد آخر، يكون بمثابة معطى أو موضوع له . ولقد سمى وايتهد هذه الحالة من الاستحواذ باسم والشعور الفيزيقى البسيط Simple سمى وايتهد هذه الحالة من الاستحواذ باسم والتهد ـ فيزيقيا حينما يكون الموضوع المعطى كيانا فعليا؛ إما إذا كان المعطى موضوعا أبديا Eternal الموضوع المعطى كيانا فعليا؛ إما إذا كان المعطى موضوعا أبديا الشعور التصورى فيما بعد، ولكننا نسقطه الآن من الاعتبار لكى ننظر فقط فى الشعور الفيزيقى البسيط الذى يكون فيه المعطى كيانا فعليا. وطبقا لهذا فإن والشعور الفيزيقى البسيط يتطلب كيانين فعليين : الأول منهما يمثل الذات لهذا الشعور، والثانى يمثل المعطى الأولى لهذا الشعور، (١).

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣٣٤.

ولقد أشار وايتهد إلى أنه وبسبب غموض تحليلنا الواعى المشاعر المركبة والمتداخلة، فريما لا نستطيع أن نحدد بوعى شعورا فيزيقيا بسيطا ونعزله عن غيره والله للدواعى المنطقية تدعونا إلى تقرير أن ماهو مركب، إنما يتركب من عناصر بسيطة، فالبسيط هو أساس المركب. وطبقا لهذا أشار وايتهد إلى أن وكل علاقاتنا الفيزيقية، إنماتقام ابتداء من هذه المشاعر الفيزيقية البسيطة، التى تكون بمثابة قوالب ذرية لها As their atomic الفيزيقية هي ما تكون والأمر الأكثر من هذا هو أن هذه العلاقات الفيزيقية هي ما تكون العلاقات الغيزيقية هي ما تكون العلاقات الغيزيقية والماس كل العلاقات الغيزيقية، والعلاقات العلية في الطبيعة، يقول وايتهد: وإن الشعور الفيزيقي البسيط أساس كل العلاقات الفيزيقي البسيط، هو فعل للعلية، فالكيان الفعلي الذي يمثل المعطى الأولى هو العلاقات الغيزيقي البسيط، هو فعل للعلية، فالكيان الفعلي الذي يمثل المعطى الأولى هو العلة للشعور الفيزيقي البسيط هي الكيان الفعلي المشروط بالمعلول، وهذا الكيان الفعلي الأخير يسمى أيضا بالمعلول، إن كل الأفعال العلية المركبة يمكن ردها إلى العديد من أمثال تلك المكونات الأولية. ومن ثم فالمشاعر الفيزيقية المركبة يمكن ردها إلى العديد من أمثال تلك المكونات الأولية. ومن ثم فالمشاعر الغيزيقية المركبة يمكن أن تسمى أيضا بالمشاعر العلية، (۱۳).

لكن التسليم بأن هذه المشاعر البسيطة تكون علية، ينبغى ألا ينسينا بأنها إدراكية غير واعية. يقول وايتهد من الصواب أن نقول بأن المشاعر الفيزيقية البسيطة، هي أعظم الأنواع الأولية لفعل الإدراك الخالي من الوعي، (٤).

والآن فإن الكيانين الفعليين المتضمنين في شعور فيزيقي بسيط يتكون كل منهما بأفعال الشعور؛ فحينما يشعر الكيان الفعلى بكيان فعلى آخر يكون معطى له، فإنه يشعر بشعور هذا المعطى وهذا يعنى أن الشعور الفيزيقى البسيط هو

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣٣٥.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، نفس الموضع.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، ص ٣٣٤.

<sup>(</sup>٤) نفس المرجع، نفس الموضع.

شعور واحد يشعر بشعور آخر، (١). إنه يشعر شعورا منطابقا أو متلائما مع هذا الشعور الآخر. ولكن الشعور الفيزيقى البسيط له ذات Asubject تتمثل فى الكيان الفعلى المستحوذ، والشعور الذى يشعر به له ذات Asubject تختلف عن المذات الأولى، (٢). ومن هنا نجد أنفسنا أمام ذاتين Two Subjects الذى هو علة، حينما كان يحدث Enacted شعوره فى عملية معية نموه، والذى هو علة، المستحوذ والمعلول، والذى يشعر بشعور العلة باعادة إحداثها والكيان الفعلى المستحوذ والمعلول، والذى يشعر بشعور العلة باعادة إحداثها و توليد reproducing هذا الشعور.

ويجب أن نلاحظ هنا أن شعور الكيان الفعلى المستحوذ ليس هو ببساطة إحداث لشعور، إنه إعادة إحدث شعور المعطى؛ ذلك أن شعور المستحوذ هو شعور يخصه من حيث كونه ذاتا لهذا الفعل، ولكن شعوره هذا يكون بمثابة إعادة إحداث أو توليد شعور العلة، ومن ثم فالشعور المعاد إحداثه، ليس شعور المستحوذ وحسب، إنه شعور العلة أيضا.

لكن الشعور المعاد إحداثه ليس هو شعور العلة ممن الناحية الصورية؛ وفصوريا، تتمثل العلة في الكيان الفعلى السابق كذات تحدث شعورها. إن الشعور المعاد إحداثه بواسطة الكيان الفعلى المستحوذ هو شعور العلة ممن ناحية موضوعية، وبينما هو شعور المستحوذ مصوريا، و وذاتيا، أي من وناحية صورية ذاتية، وبهذه الطريقة، وخلال إعادة إحداث الشعور، تكون العلة في المعلول ومن ناحية موضوعية، ويجب أن يكون واضحا أن والعلة تكون في تكوين المعلول (موضوعيا) بفضل كونها شاعرة بالشعور المواد في المعلول(٢).

إن النقطة الهامة هنا هي أن الشعور المتوافق أو المتطابق والمولد بواسطة المعلول يكون بمثابة إعادة إحداث لشعور العلة، وأن هذا الشعور لا يمكن فصله عن ذاته، لأنه ليس ثمة شعور بدون ذات. يقول وايتهد وإن تصور شعور

<sup>(</sup>١) تفس المرجع، من ٣٣٥.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٣٢٥.

<sup>(4)</sup> نفس المرجع ، ص ٣٣٨.

جزئى وهو منفصل عن ذاته هو مجرد هراء، (١). ومن هذا دفإن السبب فى أماذا تكون العلة فى المعلول (موضوعيا) يكمن فى أن شعور العلة، لا يمكن كشعور، أن يجرد عن ذاته، التى هى العلة، (١). وبمعنى آخر ليس ثمة شعور، وإنما هناك كيان فعلى شاعر.

إن إعادة الإحداث أو التوليد، ومن ثم تحول العلة إلى موضوع يمكن أن تفسر على نحو أدق في ضوء ما تتضمنه من موضوعات أبدية. وفي هذا الصدد يذكر وايتهد: وأن هناك موضوعات أبدية Eternal Objects محددة الصورة الذاتية المعطى الموضوعي الذي هو علة، وموضوعات أبدية محددة الصورة الذاتية Subjective Form المنتمية إلى المعلول، وحينما تكون هناك عملية إعادة إحداث re - enaction يكون هناك موضوعا أبديا واحداً له وظيفة مزدوجة الطريقة: تتمثل الطريقة الأولى في التحديد الجزئي المعطى الموضوعي، وتتمثل الثانية في التحديد الجزئي للصورة الذاتية. وفي هذا الدور مزدوج الطريقة، يوظف الموضوع الأبدى لكي يقيم علاقة بين المعطى الأولى من جهة أخرى، (٢).

وهذا يعنى أن تحديد شعور العلة قد تم بواسطة ولوج ingression موضوع أبدى جزئى. وبكلمات أخرى، إن هذا الشعور قد تحدد من حيث هو كذلك بواسطة ذلك الموضوع الأبدى، فالموضوع الأبدى هو اصورة Form الشعور وحينما يعاد إحداث هذا الشعور، فإن نفس الموضوع الأبدى يكون هو المحدد لهذا الشعور المعاد إحداثه.

إن الموضوع الأبدى هنا يؤدى وظيفة علائقية، أى أنه يقيم علاقة بين الموضوع وبين الذات. ولكن المسألة ليست مجرد شعور لذاتين، دون أن يكون هناك أى ارتباط بينهما عدا أن شعورهما حدث وأن تحددا بنفس الصورة

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣٢٦.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٢٣٦.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٣٣٧.

الأبدية، ذلك لأن صورة شعور المعلول تشتق طبقاً للمبدأ الأنطولوچي من العلة؛ أي أنه لما كانت صورة شعور المعلول (أي الموضوع الأبدى المحدد لهذا الشعور) مشتقة من العلة، فهي من ثم ليست قوة مجردة بحتة Pure abstract ولكنها قوة واقعية Real Potential (١). ومن ثم فهذه الصورة هي الموضوع الأبدى كمحدد للعلة.

وعلاوة على ذلك فالموضوع الأبدى يمكن أن ينظر إليه على أنه منفصل عن الكيان الفعلى الذي يحدده وتصورياً ومعانياً ومعانياً ولكن وعينياً ومعانياً للموضوع الأبدى عن الشعور، كما أن الشعور لا ينفصل عن ذاته Subject ، إن الموضوع الأبدى هو صورة شعور الكيان ينفصل عن ذاته Subject ، إن الموضوع الأبدى هو صورة شعور الكيان الفعلى. وطبقاً لهذا فإن الموضوع الأبدى المحدد لشعور المعلول المدرك ليس موضوعا أبديا مجرداً بحتاً ولكنه الموضوع الأبدى الذي هو صورة العلة. هذه هي إذن طبيعة وظيفة الموضوع الأبدى مزدوجة الطريقة، والتي تحتوى بها العلة موضوعياً في المعلول، يقول وايتهد وإن ما كان يشعر به (ذاتياً) بواسطة الكيان الفعلى الذي إنتقل إلى موضوع، يصبح (موضوعياً) بالنسبة إلى الكيانات التالية التي تكون في عمليات معية نمو.. وفي مثل هذا النمط من التكوانات النابدة التي موضوعات، تقيم الموضوعات الأبدية العلاقات بين الموضوعات والذوات، وتعبر عن التكوين الصورى Formal Constitution الموضوعات والذوات، وتعبر عن التكوين الصورى Formal Constitution النعلية المنتقلة إلى موضوعات (٢).

نستطيع الآن بعد أن حصائا على تفصيلات أكثر من وايتهد أن نتبين إجابته على مشكلة: كيف يمكن الكيانات الفعلية، ولكل منها وجوده الصورى الخاص أن تدخل أو أن تحل موضوعياً في كيان فعلى يكون محل النظر. لقد حتم علينا النظر في هذه المشكلة أن نقدم تمييزاً بين الوجود الصورى وبين الوجود الموضوعي للكيان الفعلى في ضوء الطبيعة العامة للكيان الفعلى. إن

<sup>(</sup>١) أنظر ما ذكرناه عن القوة المجردة والحقيقة.

<sup>(</sup>٢) وايتهد : العملية والواقع، ص ٨٠.

كل كيان فعلى يحتوى عى هذين الوجودين، كما أن الطبيعة العامة لهذا الكيان تتمثل فى فاعلية الشعور؛ «أى فاعلية تبديل حالة الكيانات التى كانت متحدة فردياً فى مكونات مركب عينى واحد، (۱). إن حل وايتهد لهذه المشكلة يتمثل فى أن شعور العلة والذى يحدث بواسطة العلة كذات، هو العلة ممن الناحية الصورية، وأن هذا الشعور المعاد إحداثه بواسطة المعلول هو العلة ممن الناحية الموضوعية، (۱). فللشعور الفيزيقى البسيط كما بينا خاصية مزدوجة الناحية الموضوعية، (۱). فللشعور الفيزيقى البسيط كما بينا خاصية مزدوجة كذات dual Character فى كونه شعور العلة المعاد إحداثه بواسطة المعلول كذات as Suject وقد فسر وايتهد ذلك بعبارة أخرى قال فيها «توجد جزئيتان مزدوجتان للعالم الفعلى: العلة الجزئية، والمعلول الجزئي بلغة لوك، وحسب فكر لوك فإن الشعور البسيط يكون فكرة واحدة فى العقل تتحدد بالنسبة إلى هذا الوجود الجزئي أو ذاك (أى بالنسبة إلى العلة أو إلى المعلول)، (۱).

ويجب أن نلاحظ أن وايتهد يتحاشى النظرية التمثيلية للإدراك؛ ذلك أنه يرى أن حلول العلة فى المعلول ليس تمثلا للعلة. إن المعلول يولد أو يعيد إحداث العلة، ومن ثم فحلول العلة فى المعلول ينتج عنه وحدة جزئية من العلة والمعلول. يقول وايتهد اإن تحول الشعور ينتج وحدة جزئية مؤلفة من العلة والمعلول وهو ليس مجرد تمثل للعلة، إنه تجميع للعالم وليس دوراً مرحلياً فيه (أ). ويقول أيضا السبب تلك الازدواجية فى الشعور الفيزيقى البسيط، توجد الخاصية الموجهة التى تنقل العلة للمعلول، إنه شعور من العلة يتطلب ذاتية معلول جديد دون أن يغقد هو ذاتيته الأصلية المتمثلة فى العلة، (٥).

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣٠٠.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٣٣٠.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، ص ٣٣٦.

<sup>(</sup>٤) نفس المرجع، نفس الموضع.

 <sup>(</sup>٥) نفس المرجع، نفس الموضع.

وهذا يعنى أن تحول العلة إلى معلول، لا يتضمن وجود العلة المعورياء فى المعلول. إن العلة تبقى امن الناحية الصورية، فى ذاتيتها الخاصة، لكنها تتطلب ذاتية معلول جديد من جهة أنها موضوع للشعور يكون المعلول الجديد ذاتا Subject له. ومن ثم فإن علة واحدة أو نفس العلة يمكن أن توجد موضوعياً، فى عدد من المعلولات.

وبسبب تحول العلة هذا، واحتواء الكيان الفعلى السابق (العلة) في كيان فعلى جديد (المعلول) الميجه الشعور الفيزيقي البسيط الخاصية المولدة للطبيعة، وأيضاً يجسد الخلود الموضوعي للماضى. وبفضل هذه المشاعر يتطابق الزمان الحاضر مع الزمان الماضي، (۱) الخلك أن الماضى يوجد وجودا موضوعيا في الحاضر خلال المشاعر الفيزيقية البسيطة المولدة للماضى، لكن الحاضر لا يولد الماضى وحسب، ولكنه يجمعه أيضا. يقول وايتهد الن المعطى الأولى السابق يدخل أو يحل الآن في معطى شعور المعلول في لحظة تالية خلال توسط العلة، (۲). وطبقا لهذا فإن الهذا الانتقال من العلة للمعلول هو خاصية تجميعية للزمان، (۳). ويشير وايتهد أيضا إلى أن الا تراجعية الزمان أو لاردته للزمان، (۳). ويشير على تلك الخاصية، (۱).

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٢٣٦.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، نفس الموضع.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، نفس الموضع.

<sup>(</sup>٤) نفس المرجع، نفس الموضع.

## الباب الرابع طبيعة الكيان الفعلى (وصف ميتافيزيقي)

القصل الرابع عشر: التحليل التوليدي للكيان الفعلى.

القصل الخامس عشر: تحليل الاستحواذ.

القصل السادس عشر: الله.

الفصل السابع عشر: العالم الخلاق.



### الفصل الرابع عشر التحليل التوليدي للكيان الفعلي

٣٢ - الكيان الفعلى كذات منبثقة عن العالم.

٣٣ - العلية الذاتية والمقصد الذاتي.



# - 77 -

### الكيان الفعلى كذات منبثقة عن العالم

إنتهينا حتى الآن من وصف المقولات الرئيسية التى وضعها وايتهد، ورأينا أن هذه المقولات تؤلف, فيما بينها نسقا مترابطا فيما يتعلق بفهم الطبيعة العامة للمواقعة الكاملة أو الجوهر. ولكن مازال أمامنا بعض النقاط ذات الطبيعة الميتافيزيقية البحتة، تحتاج منا إلى تفسير أو إيضاح؛ فنريد أن نعرف مثلا على أى أساس تتفاوت الفعليات وتختلف.. ذلك لأنه إذا كانت معطيات كل كيان فعلى هى كل محتوى العالم السابق، وما يترتب على ذلك من أن كل كيان فعلى يكون حالا فى كل كيان فعلى آخر، فكيف يمكن إذن أن نفسر لإختلافات الواضحة فى العالم ؟ ولماذا لا تتحد كل الفعليات ولا تتفاوت طبقا لهذا التصور ؟

وهذا يجعلنا نتساءل: ألا تقودنا مقولات وايتهد، باهتمامها بالعموميات الميتافيزيقية، إلى صعوبات عاتية من هذا النوع الذى ذكرناه? وألا يؤدى هذا به إلى أغلوطة اللاترابط incoherence إذا حاول بيان الإختلاف والتفاوت بين الأشياء على نحو ماهو حادث بالفعل فى العالم. أعنى ألا قد يقوده الأمر

إلى أن بقدم مبادئ نرتبط تعسفيا بمقولاته الأحرى، ولا تترابط بسقيا أو فعليا كم يتمكن بها من تفسير تفاوت الأشياء واختلافها ؟ وعلى سبيل المثال أليس التمييز الدي أقامه وايتهد بين الشعور الفيريعي وبين الشعور التصوري يتصمن تفسيرا تعسفيا ؟ ذلك أنه إذا كانت مبادئ وايتهد نحتم وجود الشعور الفيزيقي باعتبار أنه احتواء موضوعي لكيان فعلى في آخر، فهل تحتم هذه المبادئ أيضا وعلى نفس الدرجة الشعور التصوري ؟ أو أن الشعور التصوري لا يمثل إلا فكرة تعسفية استهدف وايتهد بها تغطية بعض العناصر التي لم تفسرها مقولاته الرئيسية ؟ الواقع انه كان على واينهد أن يقدم لنا بحليلات أكبر لطبيعة الكيان الفعلى لكي يتمكن من معالجة أمثال هذه المساكل. وسوف نتعقب هذا تلك التحليلات، متوخين البساطة ما أمكن، كما فعلنا سابقا حين تناولنا عملية تحول الذات إلى موصوع في صوء كيانس فعليس فقط. لقد قمنا في الحقيقة ونحن بإزاء هذا المثال بتقديم تبسيطين : يتمثل التبسيط الأول في أنه ليس ثمة كيان فعلى واحد يحصل على كيان فعلى مفرد واحد كمعطى له، فكل كيان فعلى يحصل على مالانهاية له من المعطيات طبقاً لمقولة النسبية التي تذهب إلى أن معطيات أي كيان فعلى نتكول من المحتوى الكامل للعالم السابق، كما يوجد بالنسبة إلى هذا الكيان أو لنبض Pulsation هذا الكيان ويتمثل التبسيط الثاني في أننا تناولنا الكيال الفعلى هي صيرورته على أنه يتكون اصورياه من شعور فيريقي بسيط واحد والحق أن تكوين الكيان الفعلي ليس بمثل هذه البساطة، وإنما هو مركب للغاية كما سنبره على ذلك توا

فلما كان الشعور الفيريقى البسيط الدى نقبله دات واحدة هو شعور بمعطى أولى يمثل كياناً فعلياً مفرداً آخر، ولما كان اى كيان فعلى مفرد حاصلا على أعداد كبيرة من المعطيات (الفعليات السابقة)، فينتج أن الكيان الفعلى يجب أن يكون حاصلا على أعداد كبيرة من المشاعر الفيريقية البسيطة

ويجب أن نلاحظ هنا أن مذهب المشاعر الفيزيفية «البسيطة» هو مدهب ضرورى بالنسبة إلى أى نظرية نرى أن الخبرة مركبة Complex وقابلة

التحليل Analysisable في نفس الوقت: أي أن الكل المركب يتكون من وبسائط، وإذا لم تكن البسائط عناصر ما أمكن للكل أن يكون مركباً وقابلا المتحليل. وبالمثل فليس ثمة تكامل integration ينمو ويتقدم إذا لم توجد عناصر Elements أو بسائط Simples تتصف بأنها ذات طبيعة تكاملية أصلا.

ومن مظاهر التركيب الأخرى أن الكيان الفعلى فى مذهب وايتهد يحتاج إلى عدة مراحل متتالية: ذلك أن الكيان الفعلى لما كان عملية معية نمو (growing together of concrescence) لموضوعات محتواه فى وحدة متكاملة، فإن المرجلة الأولية للعديد من المشاعر الفيزيقية البسيطة يجب أن تتلى بمراحل فاعلية أخرى تؤدى إلى تكامل هذه المشاعر الفيزيقية البسيطة المختلفة فى شعور واحد مكتمل يؤدى فى المنهاية إلى تحقيق اشباع هذا الكيان الفعلى، ولقد رأينا أن هذا الإشباع يتمثل فى «بلوغ نهاية عملية الشعور، أو هو حصيلة كل عملية الشعور. إنه اكتفاء أو قناعة الدافع الخلاق، (١).

ويجب أن ندرك أن مراحل الفاعلية المؤدية إلى التكامل هى مراحل مركبة بدرجة كبيرة تسمح لها بأن توفق بين معطيات الفعليات؛ ذلك أن العناصر الأولية المعطاة، يصعب تحقيق الاتصال والوئام بينها فى كيان فعلى جديد بسبب تنافرها وتعددها، إلا إذا كان هناك مركب من الفاعليات يؤدى إلى معالجة هذا الموقف، وينتهى بتكامل العناصر فى كيان فعلى واحد.

وسنحاول خلال هذا الباب تحليل التكوين المركب الكيان الفعلى في ملامحه الرئيسية على الأقل. وحينما نفعل ذلك فيجب أن نضع في إعتبارنا الوصف الكامل للعلاقات الداخلية بين الفعليات. ولقد رأينا في هذا الصدد وأن تحليل الكيان الفعلى، في أكثر عناصره عينية، يكشف عن أنه معية نمو لعمليات الاستحواذ، (٢). كما رأينا أن والاستحواذ، هو فعل احتواء غيرية

<sup>(</sup>١). وإيتهد: العملية والواقع، ص ٣٠٩.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٣١.

otherness تتجاوز ذات الكيان الفعلى، ونضيف الآن أننا يجب أن نضع فى ذهننا بعناية ـ كى نفهم بصورة واضحة تماما التكوين التركيبى للكيان الفعلى ـ نصور الكيان الفعلى على أنه فى عملية فاعلية. وكما ذكر وايتهد: وفإن الكيان الفعلى خلية ذات وحدة ذرية، لكننا ينبغى أن ندركه حين تحليله كعملية As in وأن نشعر به فقط كعملية، أى كأنه فى مرور أو إجتياز Appassage

سندرك في هذا الفصل لماذا ينبغي أن ندرك الكيان الفعلى فقط كعملية، إن الكيان الفعلى كعملية واحدة لا يمكن تقسيمه، ولكنه يمكن أن يقسم رغم ذلك بمعنى تمييز العوامل المختلفة التي تكون وحدته المركبة. إلا أننا حينما نقوم بهذه التمييزات فإننا نقوم في الواقع بعملية تجريد من الكل العيني الواحد. ومن المهم أن نذكر أن هذه التجريدات تشير دائما إلى كل فاعلى دينامي، حتى لا تقع في إطار فكر استاتيكي خاطئ.

ومن ثم فإننا سنهتم بتحليل الكيان الفعلى في عمليته المركبة لصيرورته، وفي مثل هذا التحليل ينبغي النظر إلى «الكيان الفعلى كعملية، تنمو من صورة إلى صورة أخرى، في ضوء عمليات من التكامل وإعادة التكامل، (٢). ولكن يجب أن يكون واضحا لدينا أن كل عمليات الشعور المتضمنة هي عمليات شعور ذلك الكيان الفعلى، أي أنه على الرغم من تعدد المشاعر، فإنها تكون تابعة لذات واحدة one subject ومن ثم فحينما نتصور المشاعر فرديا فإننا ندرك الذات من مظهر واحد، أي من منظور شعور مفرد واحد.

إن مصطلح الذات Subject يجب أن ننظر إليه بعناية حتى لا نعتبره مصطلحا يؤدى إلى تصور الذات تصورا استاتيكيا. نعم إن عمليات الشعور تقتضى وجود ذات، لكننا ينبغى ألا نتصور هذه الذات على أنها كائنة أو

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣٣١.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٢٠١.

موجودة وجوداً مسبقاً على العملية الفاعلية الشاعرة؛ لأن الذات لا توجد قط إلا حينما توجد العملية أو الفاعلية الشاعرة، بل إن وجود الكيان الفعلى، طبقا لمقولة العملية، لا يتكون إلا بواسطة صيرورته. ومن ثم فالذات ،تصير، يعنى أنها تخرج أو تطفر أو تنبثق عن العملية الفاعلية، وهي لا تخرج أو تطفر بمعنى أنها تكون كلها نتاج أفعال الشعور؛ لأنه إذا كان الأمر كذلك فسيوجد شعور بدون ذات أي بدون شاعر Feeler. إن هذه الذات يجب أن تكون مع شعور بدون ذات أي بدون شاعر Feeler. إن هذه الذات يجب أن تكون مع (ذات) لأنه مألوف في الفلسفة، ولكنه يؤدي إلى الخلط. إن مصطلح Subject (ذات) لأنه مألوف في الفلسفة، ولكنه يؤدي إلى الخلط. إن مصطلح المركب Superject لأفضل إستخدام المصلح المركب Superject - Superject لأن الكيان الفعلي يكون ذاتاً خابرة وحاصلا على الخبرة في نفس الوقت. إن الكيان الفعلي منبثق عن العالم، وأن الإقتصار على أي من نصفي هذا المصطلح يقودنا إلى الغموض. والواقع أن المصطلح Subject - Superject يستخدم في الأعم الأغلب حينما نعتبر الكيان الفعلي في ضوء تكوينه الداخلي الحقيقي الخاص، ولكن المصطلح نعتبر الكيان الفعلي عبر ذائماً بمثابة إختصار للمصطلح Subject - Superject ولكن المصطلح Subject - Superject ولكن المصطلح Subject - Superject ولكن المصطلح عبتبر الكيان الفعلي في ضوء تكوينه الداخلي الحقيقي الخاص، ولكن المصطلح Subject - Superject (٢).

إن الكيان الفعلى Subject - Superject (\*). يجب أن يدرك ككل حقبى epochal واحد من الفاعلية. وكما رأينا سابقا فإن الكيان الفعلى يصير «ككل» ويوجد «ككل» صيروري، إن الكل هنا هو الذات الخابرة، والخبرة هنا هي

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣١٣.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٣٩.

<sup>(\*)</sup> يستخدم وايتهد كلمة Superject بدلا من كلمة Subject للدلالة على الذات، إذ لما كان المصطلح الأخير يتألف من مقطعين هما Sub و Ject ليعلى ما تحت أو ما وراء بمعنى أن العالم ينبثق عن الذات (المذهب المثالي) ولما كان وايتهد ضد النزعة المثالية فإنه قد استبدل بكلمة Subject كلمة Superject ليشير إلى أن الذات هي المنبثقة عن العالم لا العكس فهي ما فوق Super لا ما تحت Sub وحين يجمع وايتهد بين Subject و Superject فإنه يقصد أن الكيان الفعلى يشير إلى ذات مفردة لها تكرينها الداخلي Subject ، وفي نفس الوقت يشير إلى ذات هي نتاج أو حصيلة الكيانات الفعلى الصائر أي أصبحت موضوعات الكيان الفعلى الصائر أي الجديد، وفي مثل هذا المعنى الأخير تكمن الجدة والديناميكية في طبيعة الذات.

onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

فاعلية خلق ذاتى للكيان الفعلى كذات منبثقة عن العالم Superject. ومن ثم فالكيان الفعلى هو ذات لخبرته من جهة، وهو فى نفس الوقت حصيلة فالكيان الفعلى هو ذات لخبرته. ومع ذلك فئلك الحصيلة ليست شيئاً آخر غير الذات Subject كما نتصورها فى كونها الكل الذى يحتوى نتاجها من الكيانات السابقة. ويجب أن نؤكد هنا على أن الـ Subject - Superject يجب أن ينظر إليه (ككل حقبى من الفاعلية) نميز فيه تصوريا بين مظاهر مختلفة. وحين نقوم بهذا التمييز فإننا نعتبره تعييزاً لمظاهر جزئية فى كل واحد.

#### - 44 -

#### العلية الذاتية والقصد الذاتي

لما كانت خبرة الكيان الفعلى تمثل فاعلية الخلق الذاتى، فينتج عن ذلك أن الذات هى المقصد أو الغاية التى تهدف هذه الفاعلية إلى تحقيقها. يقول وايتهد : إن الذات (بمعناها المزدوج) Subject - Superject هى غرض العملية التى تؤسس عليها المشاعر. إن المشاعر لا تنفصل عن المقصد أو الغاية التى تهدف إليها. وهذه الغاية هى الشاعر Feeler نفسه. ومعنى هذا أن المشاعر تهدف إلى الشاعر بها كعلة نهائية لها، (١).

إن مشاعر الموضوعات؛ أى المعطيات السابقة، تتضمن غرضا أو مقصدا، فليس ثمة فاعلية بدون غرض أو مقصد أو اتجاه أو غاية. ويرى وايتهد أن العلة الفاعلية efficient cause تتمثل فى المعطيات السابقة. أما العلة الغائية أو النهائية فتتمثل فى الخلق الذاتى لكيان فعلى، وما هذه العلة الغائية أو النهائية إلا الكيان الفعلى كحصيلة أو نتاج انبثاق عن العالم الماضى بالنسبة للكيان الفعلى الجديدك Superject.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص٣١٣.

ويجب أن نلاحظ أن العلتين معا يمثلان عاملين من عوامل تكوين الكيان الفعلى طبقاً للمبدأ الأنطولوچى؛ فعلى الرغم من أن واحدة منهما تكون فى عملية الصيرورة، إلا أنهما يشتقان معاً من الكيانات الفعلية الأخرى بحسب المبدأ الأنطولوچى. وسوف نبحث فى إشتقاق العلة الغائية أو النهائية فيما بعد أما العلة الفاعلية فلقد قانا أنها تتمثل فى المعطيات السابقة كموضوعات، ومن ثم ، فطبقاً لهذا الوصف، تعبر العلة الفاعلية عن الإنتقال من كيان فعلى إلى كيان فعلى آخر، أما العلة الغائية أو النهائية فتعبر عن العملية الداخلية التى يستطيع الكيان الفعلى بها أن يكون ماهو. هناك صيرورة المعطيات، التى توجد فى ماضى العالم وهناك صيرورة الذات المباشرة.. والصيرورة الأخيرة هي العملية الفعلية المباشرة. إن الكيان الفعلى هو فى آن واحد نتاج الماضى الفاعلى، كما أنه علة ذاته طبقاً لعبارة إسبينوزا، (١).

ولما كان الكيان الفعلى هو عملية خلق ذاتى، فإن علته الغائية يجب أن تكون عنصرا باطنا فيه، ويمكن تفسير هذا بقولنا بأن الكيان الفعلى هو نشاط علًى ذاتى، ولقد أشار وايتهد إلى أن : كل فلسفة سابقة قد عرفت بطريقة أو بأخرى على أنه واقعة فعلية نهائية، (٢). ولكن المشكلة تمثلت فى القول بهذا الرأى بصورة تتناسق وتترابط مع كل نسق فلسفى سابق، وعلى سبيل المثال فقد فشل ديكارت فى أن يفعل هذا، لأن الله عنده هو وحده الذى يكون علة ذاته، أما إسبينوزا فلقد حقق هذا الترابط بمذهبه عن الجوهر الأوحد كعلة لذاته. ولقد نادى وايتهد بمذهب تعددى حيث أن الجواهر أو الكيانات الفعلية عنده متكثرة أو متعددة، وكل منها علة ذاته، وبهذه الطريقة فإن الكيان يشبع فكرة اسبينوزا عن الجوهر، من حيث أنه علة ذاته، وهذا يعنى أن والخالقية هنا ليست قدرة خارجية ممتزجة بأغراضها النهائية، (٣). لأن الخالقية ليست

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٢٠٩.

<sup>(</sup>Y) نفس المرجع، نفس الموضع.

<sup>(</sup>٣) نفس المورجع، ص ص ٣١٣ - ٣١٤.

كياناً فعلياً. إن ترابط ونسقية مذهب وايتهد في هذه النقطة يتضح من إصرار وايتهد على أن:

وكل الكيانات الفعلية نتشارك مع الله في كونها علة لذواتها، ولهذا السبب فإن كل كيان فعلى يشارك الله أيضا في خاصية تجاوز الكيانات الفعلية الأخرى بما فيها الله، إن العالم على هذا النحو هو تقدم خلاق نحو الجدة، وبديل هذه النظرية يتمثل في تصور عالم إستاتيكي مورفولوچي، (١).

إن العلة الذاتية للكيان الفعلى تتضمن تجسيده القراره، الخاص على النحو الذى يكون عليه. ولقد ناقشنا عنصر القرار، هذا من قبل في ضوء التمييز بين القوة والفعل، ولكننا سنناقشه الآن في ضوء آخر.

إن هذا القرار، الذي يتضمنه الكيان الفعلى في طبيعته الأصلية على أنه فعل، يشير إلى أن الكيان الفعلى يحتوى أيضا على عنصر باطنى ضرورى هو عنصر الحرية تتضمن المسئولية عنصر الحرية تتضمن المسئولية تكون ذات responsibility ومن الناحية الميتافيزيقية فإن هذه المسئولية تكون ذات وجهين: الأول يتمثل في أن الكيان الفعلى، لما كان يجسد بالضرورة اقراره الخاص بأن يكون ما يكون عليه، فيجب أن يكون مسئولا عما سيصير إليه طبقا لعمليات إحتوائه على فعليات سابقة؛ ذلك لأنه طبقاً لمقولة العملية وتؤسس كيفية صيرورة الكيان الفعلى، ما يكون عليه هذا الكيان. بحيث تكون كيفية صيرورته، وما يكون عليه غير مستقلين عن بعضهما، (٢). ومن ثم فإن مسئولية الكيان الفعلى الأولى والنهائية تتمثل في صيرورته أو إتيانه إلى الوجود على النحو الذي يكون عليه. والثاني يتمثل في أن الكيان الفعلى، لما كان سيصير خالدا من جهة الموضوع أي سيصير معطى لكيانات فعلية لاحقة، فهو مسئول بالتبعية عن تأثيراته في تلك الفعليات اللاحقة. ويرى وايتهد اأن وجودنا الإنساني الزفيع نسبياً يبين معنى المسئولية الأخلاقية بصورة واضحة،

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣١٤.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٣١.

حيث تكون الذات مسئولة عما تكون عليه بفضل مشاعرها، كما تكون مسئولة (بالتبعية) عن نتائج وجودها وما يفيض أو ينبثق عنها من مشاعر، (١).

ومن الواضح أن هذا المذهب المتعلق بالمشاعر التى تقصد ذاتها لا يمكن ان يفهم فى ضوء تصور إستاتيكى كما أرادت ذلك نظرية الموضوع ـ المحمول Subject - Predicate يقول وايتهد وإن صورة القضية ذات الموضوع ـ المحمول ـ إذا اعتبرناها صورة ميتافيزيقية نهائية، لا يمكن أن تفسر مذهبنا عن المشاعر التى تقصد ذاتها . ومن الأفضل أن نقول أن المشاعر تقصد ذاتها عن المشاعر التى تقصد ذاتها كانت تقصد ذاتها؛ لأن الصيغة الأخيرة تعزل الذات عن مجال الشعور، وتعين الشعور فى قدرة خارجية، ومن ثم تجرد الشعور خطأ من علته الغائية أو النهائية المتاية العائية عنصر باطنى فى الشعور، ومكون لوحدته . إن الكيان الفعلى يشعر كما يشعر كى يكون هو الكيان الفعلى يشعر كما يشعر كى

ويرى وايتهد أننا لا نستطيع أن نفهم مذهبه هذا إلا إذا وضعنا في ذهننا دائما أننا بإزاء تصور اكل وإحدى من الفاعلية، في عملية تمثل فعله، وأن هذا الكل هو الكيان الفعلى. ومن ثم تكون العناصر المميزة فيه بمثابة مظاهر جزئية لهذا الكل. إن المشاعر المتضمنة في الكيان الفعلى عديدة، ولا يمكن أن تحصل على الوحدة والتناسق الداخلي إلا إذا كان هناك Superject يمثل العلة الغائية أو النهائية بالتفكير في الكيان الفعلى ككل حقبي لا ينقسم في الحقيقة.

وقبل أن نمضى فى تحليلنا أكثر من ذلك، فمن المفيد أن نلاحظ أن مذهب وايتهد عن الـ Subject - Superject يختلف اختلافا كبيرا عن مذاهب التراث الفلسفى السابق، فلقد لاحظ وايتهد مثلا أن مذهبه يضاد مذهب كانط، وكتب فى ذلك يقول: وإن الفلسفة العضوية (أى فلسفة وايتهد) هى عكس فلسفة كانط. لقد رأى كانط أن العالم يخرج أو يطفر من الذات، أما الفلسقة

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص٢١٣.

<sup>(</sup>Y) نفس المرجع، نفس الموضع.

العصوية فترى أن الذات بحرج او نطفر من العالم إنها Superject (\*). أكثر منها Superject، (\*\*) (۱)

ويعسر وايتهد دلك دعوله . •إن كلمة موضوع Object تشير إلى كيان هو فوة أو إمكانية للشعور، وكلمة دات Subject تشير إلى كيان مكون من عملية شعورية ويحتوى تلك العملية. إن الشاعر Feeler هو الوحدة المنبثقة عن شعورها الخاص، والمشاعر Feelings هى تفاصيل عملية وسيطة بين تلك الوحدة وبين معطياتها العديدة، وتلك المعطيات ماهى إلا قوة أو إمكانيات للشعور، (٢)

وهى حير أن كانط أبقى هى فلسفته فرضية الذات التى هى جوهر ثابت نعتريه فقط نعيرات عرضية، تلك الفرضية التى ربما كان مبعثها عنده الفلسفة الديكاربية، فإن وايتهد يختلف بصورة أساسية عن كانط وديكارت. يقول وايتهد نقد نصور ديكارت المفكر Thinker على أنه خالق فكره يقول وايتهد نقل نصور ديكارت المفكر العضوية تقلب هذا التصور رأسا العرضى Occasional thought لكن فلسفتى العضوية تقلب هذا التصور رأسا على عدم، وتقصور الفكر على أنه عملية مكونة لخلق المفكر العرضى على عدم، وتقصور الفكر هو الغاية النهائية التى يكون بها الفكر، وفي هذا العكس يتمثل التصاد الحاسم بين فلسفة الجوهر وبين الفلسفة العضوية : عمليات المدهب العضوى موجهة تجاه العضوية ك Superject ولكنها ليست موجهه من العصوية ك Supject ؛ فتلك العمليات توجه من عضويات المدهب العضوء، ومعنى الترجيه هنا هو أنها تحمل أشياء عديدة تؤثر في نكوين دات معردة Superject كالعملية ايقاعية عن عالم ماض أو سابق عليها والواقع أن العملية الخالقة إيقاعية rhythmic تتأرجح مابين

<sup>(\*)</sup> أي الذات المنبثقة عن العالم وتكون نتاج أو حصيلة العالم.

<sup>(\*\*)</sup> أي الذات الباطنية أو التي ينظر إليها من حيث تكوينها الداخلي.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص١٢٣

<sup>(</sup>٢) نعس المرجع، نفس الموضع.

إنتشارية أشياء عديدة إلى وحدة فردية، ثم تعاود التأرجح راجعة من فردية واحدة إلى إنتشارية فرديات موضوعية. إن التأرجح الأول تسيطر عليه العلة الغائية التى هى مثالية ideal ، والتأرجح الثانى تسيطر عليه علة فاعلية التى هى فعلية actual ، (1).

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٢١٠.

### الفصل الخامس عشر تحليل الاستحواذ

٣٤ - الاستحواذ الفيزيقي والاستحواذ التصوري.

٣٥ - التقييم التصوري أو التوليد.

٣٦ - الاستحواذات البحنة والاستحواذات المهجنة.

٣٧ - وحدة الاستحواذات.



### الاستحواذ الفيزيقي والاستحواذ التصوري

إن إجابة وايتهد على المشكلة الميتافيزيقية العامة المتعلقة بطبيعة الكيان الفعلى تمثلت في قوله وبأن ماهية الكيان الفعلى تتكون ببساطة من واقعة أنه شئ مستحوذه، وإقد رأينا فيما سبق أن الاستحواذ الأولى يجب أن يكون فيزيقيا Physical ، وهو الاستحواذ الذي تكون معطياته كيانات فعلية سابقة، يستحوذها الكيان الفعلى الصائر أي يحتويها، واقد رأينا أيضاً وفي الفصل السابق على وجه التحديد، أن عملية الاستحواذ المكونة للكيان الفعلى مركبة، وأن هذا التركيب للفاعلية المستحوذة إنما يوجه نحو تحقيق معية نمو فردية في الكيان الفعلى. ومن ثم فالكيان الفعلى هو نتاج فاعليته الخاصة في الخلق الذاتي Self - Creation .

إن الـ Superject كعلة غائية أو نهائية هى المقصد أو الغاية التى تنجه اليها فاعلية الكيان الفعلى، ومن ثم فهى كما قانا فى نهاية الفصل السابق مثالية ideal ؛ ومثاليتها تكون بالمعنيين اللذان تحملهما الكلمة فى اللغة

الإنجليزية؛ إنها الغاية المثالية، بمعنى أنها تهدف إلى الكمال والتمام وهي أيضاً الغاية المقبولة كفكرة؛ أي المقبولة وتصوريا.

إن النقطة الهامة هنا هى أن الكيان الفعلى هو عملية صيرورية، وعمليات شعوره، فى البداية، يجب أن توجه بواسطة فكرة عن ذاته من حيث هى كذلك؛ أى من حيث هى مثالية ideal، وهذا أمر نضطر إلى التسليم به إذا اعتبرنا فكرة الكيان الفعلى كعملية خلق ذاتى كما بينا ذلك سابقاً. وينتج عن ضرورة وجود مقصد أو غاية ذاتية (وهى مثالية) وجود مقولة ميتافيزيقية علمة تطبق على كل الكيانات الفعلية بمعنى أن الفكرة عن الذات ك عامة تطبق على كل الكيانات الفعلية بمعنى أن الفكرة عن الذات ك لصيرورة الكيان الفعلى.

إن الذي يمثل مغزى خاصا لذا الآن هو أن «المقصد الذاتى، هو فكرة أو تصور Concept وأن هذه الفكرة أو ذاك التصور يجب أن يكون استحواذا طالما أن تحليل الكيان الفعلى لا يكشف إلا عن عمليات استحواذ . لكن الفكرة أو التصور لا يمكن أن يكون استحواذا فيزيقيا، فهذه هى النقطة التي تميز «المقصد الذاتى، كفكرة أو تصور . إنه استحواذ من نوع مختلف . . إنه استحواذ تصورى؛ ومن ثم فلكى ندرك تماما مقولة «المقصد الذاتى، أو «الغاية الذاتية» فمن الضرورى أن نفحص «الاستحواذ التصورى» بصورة عامة ، وأن نعرف علاقته بالاستحواذ الفيزيقى كما يجب أن نعرف إذا كان الاستحواذ التصورى مرتبطا ترابطا نسقيا بمقولات وايتهد الأخرى، وأنه لم يقدم هنا كفكرة تعسفية وحسب.

لقد أشرنا توا إلى أن الاستحواذ التصورى يختلف عن الاستحواذ الفيزيقى في أن استحواذه يكون لمعطى هو موضوع أبدى أو اصورة تحديدا. ولم يكن واضحاً لنا أثناء مناقشتنا لطبيعة ووجود الموضوعات الأبدية أن ثمة استحواذا تصوريا يوجد إلى جوار الاستحواذ الفيزيقى؛ وذلك لأنه على الرغم من أننا ميزنا الموضوعات الأبدية، أو اصور التحديد، بواسطة المبدأ الأنطولوجي إلا

أننا ذكرنا أن هذه توجد فقط كصور تحديد، أى تقوم بتحديد نوعية الكيانات الفعلية؛ فالموضوع الأبدى إذن هو الذى يحدد الكيان الفعلى، وحين يحدده على نحو ما، فإنه يمنع فى نفس الوقت تحدده على نحو آخر. يقول وايتهد: اإن وظيفة الموضوعات الأبدية التحددية هى أنها حين تحدد الكيان الفعلى، فإنها تمنع فى نفس الوقت أن يكون هذا الكيان الفعلى غير ماهو؛ فإذا كان الكيان الفعلى هو هذا that أو ذاك، (١).

وأبعد من ذلك؛ فحينما يستحوذ كيان على كيان آخر، فإن الأخير يكون معد للاستحواذ (أى للاحتواء) ويكون الاستحواذ من ثم فيزيقيا. ولكننا نجد أن الموضوعات الأبدنة تتوسط هذا الاستحواذ الفيزيقى، لأن الفلسفة العضوية لاتسلم كما يقول وايتهد وبامكانية استحواذ (موجود جزئى) وهو منعزل عن الكليات، إن كل كيان فعلى يتم استحواذه خلال توسط الكليات Universals أى بواسطة بعض عناصر تحديده الخاص. وهذا هو مذهب انتقال الكيانات الفعلية من ذوات إلى موضوعات، ومن ثم فينتج أن الوجه الأولى لمعية نمو كيان فعلى يتمثل فى الطريقة التى يلج بها العالم السابق فى تكوين الكيان محل النظر، لكى يؤسس فردية نامية، (٢).

وينتج عن ذلك أن الموضوعات الأبدية حين يستحوذ عليها، فإنها لا تعتبر معطيات، ولكنها تعتبر محددات لتلك المعطيات، والسؤال الآن هو كيف يمكن لهذه الموضوعات الأبدية أن تكون معطيات لاستحواذ تصورى متمايز عن الاستحواذ الفيزيقي أ؟

لكى نفهم هذا يجب أن نستعيد التحليل السابق عن الطبيعة المزدوجة للموضوع الأبدى؛ فلقد انتهينا إلى أن الكيانات السابقة تحولت إلى موضوعات بواسطة وظيفة مزدوجة الطريقة للموضوعات الأبدية؛ أى من حيث هى محددة للمعطيات، ومن حيث هى محددة للذات المستحوذة. وبهذه الوظيفة

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣٣٩.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٢١١.

المترابطة والعلائقية بين المعطيات والذات تكون الموضوعات الأبدية محددات محققة.

وحينما نعتبر الكيان الفعلى فى تجرده من عامل والفعل، الذى يكون فعليته، فإننا نجد أنفسنا بازاء والتحديدات المحققة، أى الموضوع الأبدى كمحدد للفعل، ومن ثم يكون هذا والتحديد المحقق بالمعنى العام هو الكيان الفعلى مثار النظر. إن المعنى الواضح له ويكون is هنا ليس هو الوجود بالمعنى الكامل والفعلى للوجود، أنه وجود بالمعنى المشتق الذى يرتبط أصلا بكلمة ماهية Essence التى يكون بها الشئ ما يكون عليه. وطبقاً لهذا يمكننا أن نقول بأن الموضوعات الأبدية وكمحددات محققة، هى الفعليات من جهة أنها ماهيات تلك الفعليات . ويجب أن نلاحظ هنا أن الماهية ليست هى الفعل على العكس من ذلك فماهية الكيان الفعلى تتكون من موضوعات أبدية محققة على العكس من ذلك فماهية اليست فى ذاتها فعلا : ففى مذهب وايتهد تكون والصور، أبدية على عكس ماهو فعلى أى على عكس الفعل.

لكن الموضوعات الأبدية، كما رأينا، ليست فقط التحديدات محققة، تكون ماهيات فعليات جزئية، بل إنها قدرة عامة للتحديد وهذا يعنى بكلمات أخرى أنه على الرغم من كون الموضوعات الأبدية قوة واقعية أى التحديدات محققة، فإن لها خاصية القوة البحتة Pure أو القدرة العامة.

وبسبب أن الموضوع الأبدى يعتبر فى جهة من جهتيه قوة بحتة Pure فلقد جعله وايتهد يمثل نوعا من الكيان يضاد نوع الكيان الفعلى؛ فالقوة البحتة هى على نحو الدقة ما يضاد ماهو فعلى، وبالتالى تمثل القوة البحتة وماهو فعلى نوعان متضادان من الكيان.

ويرى وايتهد أن الموضوعات الأبدية لا يمكن أن تعتبر لاشئ، إنها فعليات ينظر إليها باعتبارها مجردة من فاعليتها. وعلى الرغم من وجودها كمحددة للفعليات، فإنها تعبر عن كيانات تتجاوز طبيعتها الأمثلة الجزئية التي تحددها

وتحققها فطبيعة الموضوعات الأبدية إذن مزدوجة فهى وتحديدات محققة، من جهة، وقدرة تحديدية عامة، من جهة ثانية. ولعل تلك الطبيعة المزدوجة تتفق مع المصطلح الذى اختاره وايتهد للتعبير عنها، ذلك أن مصطلح الخيان object يتكون من كلمتين، تشير الكلمة الأولى Object إلى كون هذا الكيان موضوعا محدداً ومحققاً، بينما تشير الكلمة الثانية Eternal إلى كون هذا الكيان أبديا ومن ثم يتجاوز الأمثلة الجزئية التى يحددها ويحققها. يقول وايتهد: والحلول immanence والتجاوز sammanence خاصيتان للموضوع الأبدى؛ فهو كمحدد محقق يكون حالا immanench ، وهو كقدرة التحديد يكون متجاوزا فهو كمدد محقق يكون ما الحالتين يشير إلى شئ ليس هو ذاته، (۱).

يمكننا الآن أن نميز بوضوح بين الاستحواذ الفيزيقى وبين الاستحواذ التصورى؛ ففى الاستحواذ الفيزيقى يكون الكيان الفعلى الذى هو معطى مشعورا به خلال الموضوعات الأبدية الأساسية التى تقوم بمهمة رابطة علائقية؛ أى تقيم علاقة ورباطا بين المعطى وبين الكيان الفعلى الشاعر، وهذا يعنى أن الموضوعات الأبدية تدخل فى الاستحواذ الفيزيقى ،كمحددات محققة، ، لكن الأمر يختلف عن ذلك فيما يتعلق بالاستحواذ التصورى، إذ أن المعطى يكون موضوعا أبديا لا باعتبار أنه ،تحديد محقق، بل باعتباره قدرة تحديدية عامة أو قدرة عامة التحديد، وبكلمات أخرى فإن المعطى فى الإستحواذ التصورى يكون هو الموضوع الأبدى المجرد من الحالة الجزئية التى يتحقق فيها؛ أى يكون قوة بحتة عامة. يقول وايتهد ،إن الشعور التصورى هو شعور بموضوع أبدى فى خاصيته الميتافيزيقية الأولى من حيث كونه موضوعاً، أى شعورا بقدرته على التحديد المحقق للعملية، (٢). أو بكلمات أخرى «الشعور التصورى هو شعور بموضوع أبدى من جهة كونه قدرة عامة تحدد الخواص التى تتضمن أيضا القدرة على المنع، (٢).

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٢٣٩.

<sup>(</sup>٢) نقس المرجع، ص ٣٣٩، قارن أيضا: وابتهد؛ وظيفة العقل، ص ٢٦.

<sup>(</sup>٣) وايتهد : العملية والواقع، ص ٣٣٩.

### - 70 -التقسم التصوري أو التوليد

علينا أن ننظر الآن في العلاقة القائمة بين الإستحواذ الفيزيقي وبين الإستحواذ النصوري في عملية صيرورة الكيان الفعلى، وطبقاً لمقولة النسبية فإن عملية صيرورة الكيان الفعلى تبدأ بعمليات استحواذ تحتوى بواسطتها الكيانات الفعلية السابقة في هذا الكيان الصائر.

وعمليات الإستحواذ الأولية هذه هي عمليات استحواذ فيزيقية.. إنها المشاعر الفيزيقية البسيطة أو المشاعر العلّية البسيطة، وكما رأينا فإنها تتميز بأن لها خاصة كونها متطابقة. ويجب أن نلاحظ أن مقولة النسبية والمبدأ الانطولوچي يتطلبان أن تكون هذه المشاعر الأولية فيزيقية. ومعنى هذا أن عملية الصيرورة لا يمكن أن تبدأ بعمليات استحواذ تصورية.. إن الكيان الفعلي يجب أن ينبثق عن شئ محدد ومعطى، له، وهذا يعنى أنه يجب أن ينبثق عن وقوة مجردة عامة بحتة، وطبقاً لذلك فإن الإستحواذ التصوري يجب أن ينظم في صورة تالية للاستحواذ الفيزيقي الأولية البسيطة يجب أن الأولى. بل وأكثر من ذلك فإن الاستحواذات الفيزيقية الأولية البسيطة يجب أن

توجد أولا لكى تهئ معطيات لعمليات الإستحواذ التصورية؛ وتتمثل تلك المعطيات التى تهيئها الإستحواذات الفيزيقية للاستحواذات التصورية فى الموضوعات الأبدية المحددة لمعطيات المشاعر الفيزيقية البسيطة، وهذا يعنى وأنه يمكن اشتقاق معطيات للشعور التصورى تتمثل فى الموضوعات الأبدية المحددة للكيانات الفعلية السابقة التى تكون معطاة للشعور الفيزيقى البسيط، (١).

وتفسير ذلك أن الإستحواذ الفيزيقى البسيط، يحتوى فيه كيان فعلى صائر على كيانات فعلى صائر على كيانات فعلية سابقة، وهذا الكيان الفعلى الصائر، يشعر بالكيانات التى يحتويها وبصورها التحديدية التى كانت لها أى بموضوعاتها الأبدية. وحين تتم عملية الإحتواء الفيزيقى هذه، يكون الإستحواذ الفيزيقى البسيط قد قدم للاستحواذ التصورى مادته أو معطياته وهى الموضوعات الأبدية التى سبق له الشعور بها فيزيقياً.

إن الشعور التصورى هو توليد للموضوع الأبدى الرئيسى، ويجب أن يكون واضحاً أن مايولده الشعور التصورى وما يتكون عن ذلك من تصورهو الموضوع الأبدى لا اكتحديد محقق، وإنما اكقدرة عامة للتحديد، المعنى أن الشعور التصورى لا يولد الكيان الفعلى كموضوع محدد بموضوع أبدى، ولكنه يولد الموضوع الأبدى المجرد من أمثلته الجزئية التى يلجها.

إن الإشتقاق التصورى الذى يتمثل فى توليد الموضوع الأبدى كقدرة تحديدية عامة هو مقولة ميتافيزيقية، أعنى أنه خاصية ميتافيزيقية عامة لكل الكيانات الفعلية؛ ذلك أن أى كيان فعلى حاصل على استحواذات تصورية كما هو حاصل على استحواذات فيزيقية، والسبب فى ذلك هو أن الاستحواذ التصورى لازم لفاعلية الخلق الذاتى بالنسبة لأى كيان فعلى، وأن هذا قائم على الإعتراف بالمقصد الذاتى أو الغاية الذاتية Subjective Aim كمقولة

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣٦ ..

ميتافيزيقية؛ ذلك الاعتراف الذى يتضمن أن العملية الكلية التى تتكامل بها المشاعر فى وحدة A Superject تعتمد على المقصد الذاتى أى على الفكرة فى ذاتها وبالإضافة إلى ذلك ـ وكما سنرى ـ فإن عملية التكامل تتطلب وظائف تصورية أخرى تكون ضرورية وجوهرية.

ومن ثم فالكيان الفعلى لا يتكون فقط من استحواذات فيزيقية Physical ومن ثم فالكيان الفعلى لا يتكون فقط من استحواذات تصورية Prehensions أيضاً، ولكى نكون على بينة أكثر نورد هنا نصاً مطولا لوايتهد يقول فيه:

وفي كل معية نمو، نجد ظاهرة مزدوجة للدافع الخلاق؛ تتمثل الأولى في إيجاد مشاعر تصورية. إيجاد مشاعر عليه بسيطة (فيزيقية) وتتمثل الثانية في إيجاد مشاعر تصورية. هاتان الظاهرتان المتضادتان تسميان بالقطبين الفيزيقي والعقلي and mental poles ولا يوجد كيان فعلى وهو خلو من واحد منهما على الرغم من إختلاف أهميتهما النسبية بإختلاف الكيانات الفعلية. (وينبغي أن نلاحظ) أن المشاعر التصورية لا تتضمن الوعى بالضرورة، على الرغم من أن المشاعر الواعية تتضمن مشاعر تصورية تكون بمثابة عناصر في تكوينها.

ومن ثم فالكيان الفعلى مزدوج القطب dipolar .. أى يحتوى على قطبين الواحد فيزيقى والثانى عقلى . (بل) إن العالم الفيزيقى لا يمكن أن يفهم بدقة دون الإشارة إلى قطبه الآخر الذى هو مركب من عمليات عقلية . والعمليات العقلية الأولية هي مشاعر تصورية، (١).

هذاك إذن في كل كيان فعلى قطب عقلى إلى جوار القطب الفيزيقى، وإذا نظرنا الآن في القطب العقلى لوجدنا أن المشاعر التصورية الأولية هي التي تكونه وأن كل العمليات العقلية الأكثر تركيبا أو تعقيدا من تلك التصورات الأولية، إنما تعتمد عليها. ومعنى أولية المشاعر التصورية المؤسسة للقطب العقلى في صورته الأولى، يقوم من توليد الموضوعات الأبدية في قدرتها

<sup>(</sup>١) نفس المرجع: ص ٣٣٦.

العامة التحديد، بالاشتقاق من المشاعر الفيزيقية الأولية. وهذا يعنى بصورة أخرى أن هناك توافقا ما بين المشاعر التصورية الأولية وما بين المشاعر الفيزيقية البسيطة؛ أى ما بين القطب العقلى وما بين القطب الفيزيقى، بحيث يمكن أن نقول بأن وظيفة القطب العقلى تتمثل فى تسجيل القطب الفيزيقى، أو على نحو أدق - إن القطب العقلى يبدأ مع «التسجيل التصورى» للقطب الفيزيقى. إن القطبين الفيزيقى، والعقلى للكيان الفعلى يرتبطان من ثم تمام الارتباط، وفى هذا الصدد يقول وايتهد:

، إن القطب العقلى ينبع كمثيل تصورى لعمليات القطب الفيزيقى، والقطبان لا ينفصلان فى أصلهما، فالقطب العقلى يبدأ مع (التسجيل التصورى) للقطب الفيزيقى، (١).

إن أقوال وايتهد الأخيرة تتفق مع مبدأه الأنطولوچى؛ ذلك أن هذا المبدأ يقتضى أن تكون المشاعر التصورية الأولية مشتقة من المشاعر الفيزيقية الأولية، كما يقتضى أن تكون كل التصورات Concepts أو الأفكار ideas الأولية، كما يقتضى أن تكون كل التصورات المباشرة بالفعليات الأخرى، وكما مشتقة في المحل الأول من الخبرة الفيزيقية المباشرة بالفعليات الأخرى، وكما لاحظ وايتهد وعلى حد تعبيره ، فإن مقولة التوليد التصورى، تؤيد المبدأ القديم القائل بأن ماهو عقلى هو نتاج الخبرة الحسية، وترفض المبدأ القائل بأن الخبرة الحسية نتاج العمليات العقلية، (٢).

ولقد أشار وايتهد إلى أن هذا لا يعنى - مع ذلك - أنه ليس ثمة منبع آخر العمليات العقلية يشتق من تلك العمليات العقلية الأولية، (٢) . بل على العكس من ذلك فهناك اشتقاق تصورى ثانوى Secondary Conceptual يتولد من العمليات العقلية الأولية، وهذا المنبع الثانوى للشعور

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٢٥١.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع؛ نفس الموضع.

<sup>, (</sup>٣) نفس المرجع، نفس الموضع.

التصورى لا يتناقض مع المبدأ العام الذى يحتم إشتقاق ماهو تصورى من الاستحواذ الفيزيقي كما سنبين ذلك فيما بعد.

إن كل العمليات العقلية المركبة تعتمد على المشاعر التصورية الأولية وهذه الأخيرة تعتمد على المشاعر الفيزيقية الأولية، وينتج عن ذلك أن الفكر - عند وايتهد ـ يعتمد ويرتكز على الخبرة الحسية، إلا أننا ينبغي أن نشير هنا إلى أن وابتهد يختلف في رأيه الأخبر هذا عن معظم ارآء الفكر الفلسفي المعاصر في نقطة محورية تتعلق يتفسير الخبرة الحسية Sensitive experience التي يرتكن عليها الفكر أو العمليات العقلية؛ ففي حين أن معظم فلسفات مابعد ديكارت سلمت ضمنا أو صراحة بأن الخبرة الحسية لا تتصور إلا في ضوء المحسوسات أو المعطيات الحسية، أو الإنطباعات الحسية، أي لا تتصور إلا في ضوء كبانات عقلية mental Entities ، وهي الكيانات التي تمثل طبقا للتحليل الوايتهدى التوليد التصوري، فإن وايتهد يرى أن علينا أن نتصور الخبرة الحسية في ضوء المشاعر الفيزيقية الأولية البسيطة المنتظمة في القطب الفيزيقي، التي يبدأ منها ما أسماه بالتسجيل التصوري. يقول وايتهد: وإن التسجيل التصوري يؤلف المادة الوحيدة للخبرة في رأى مدرسة الحسيين وهذا يعنى أن هذه المدرسة أغفات تماما المشاعر الفيزيقية المنتظمة في القطب الفيزيقي، إن انطباعات هيوم الحسية، ومعطيات كانط الحسية لا تنطبق إلا على التسجيل التصوري، (١).

لقد تصور وايتهد على عكس مدرسة الحسيين - أن الخبرة الحسية يجب أن تبدأ مع الاستحواذ الفيزيقى، أى مع الاحتواء الفيزيقى لكيانات فعلية أخرى بواسطة كيان فعلى صائر؛ فالاستحواذات الفيزيقية البحتة البحتة العناصر التى تمدنا بالمعلومات المحددة عن العالم الفيزيقى، أما العمليات العقلية - حتى فى صورتها الأولية البحتة - فهى العناصر التى تمدنا بالكيفيات

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣٥١.

الثانوية فى نظرية الإدراك. إن وصفنا الذى نقدمه هنا يسبر أغوار الكيفيات الثانوية لكى يصل إلى جذورها المتمثلة فى الاستحواذات الفيزيقية عن طريق معية الجسد Withness of the body (١). ويرى وايتهد أنه طبقا لتصوره هذا فإنه يمكن تحاشى الوقوع فى صعوبة المذهب الأنوى Solipsism التى وقع فيها الحسيون.

ولقد سمى وايتهد مقولة التوليد التصورى Conceptual Valuation ، والسبب فى هذا يرجع إلى بمقولة التقييم التصورى Conceptual Valuation ، والسبب فى هذا يرجع إلى وأن الإستحواذ التصورى مثله فى ذلك مثل الاستحواذ الفيزيقى له صورة ذاتية Subjective Form ، وأن الصورة الذاتية للشعور التصورى لها خاصية التقييم Valuation ، (٢) . ولكى نفسر ذلك يجب أن نقوم بتحليلات تفسيرية أكثر.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣٤٠.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٢٥١.

### الاستحواذات البحتة والاستحواذات المهجنة

إن العملية الصيرورية للكيان الفعلى تتكون بعملية فاعلية تتكامل بواسطتها المعطيات المستقبلة في وحدة عينية جديدة هي الكيان الفعلى مثار النظر. وهذا يعنى أننا يمكن أن نحلل الاستحواذات إلى استحواذات فيزيقية أولية التي تحتوى بواسطتها المعطيات في كيان فعلى ما، وإلى استحواذات مشتقة تالية تؤدى إلى التكامل بين تلك المعطيات، ولقد أشرنا سابقا إلى أن الاستحواذات المشتقة التالية يجب أن تكون مركبة. وسوف يكشف لنا التحليل الكامل لهذه العمليات عن مقولات أخرى تشبع هذه العمليات، وتميز بين الأنواع المختلفة للفاعلية المستحوذة على عملية التكامل.

لقد رأينا سابقا أن المشاعر التصورية المولدة تنبع من المشاعر الفيزيقية الأولية، وكما رأينا فإن «القطبين (الفيزيقى والتصوري) لا ينفصلان في أصلهما، (١). وطبقا لهذا فإن المشاعر التصورية المولّدة والمشاعر العلية البسيطة يكونان النوعين الرئيسيين من المشاعر، وأن كل المشاعر الأخرى

<sup>(</sup>۱) مرجع سابق، ص ۳۵۱.

مهما كان من تعقدها إنما تنبع من عملية التكامل التي تبدأ من تلك المشاعر الأولية، (١).

وقبل أن نمضى فى تحلينا للمشاعر الأولية والمشتقة، من الضرورى أن نقيم تمييزا هاما بين الاستحواذات الفيزيقية البسيطة. إن الشعور الفيزيقى البسيط هو شعور واحد بكيان فعلى واحد يمثل معطى له، وهذا هو ما يجعل هذا الشعور بسيطاً، ولكن مثل هذا الشعور الفيزيقى البسيط إما أن يكون ببحتا، Pure وإما أن يكون مهجنا Hybrid . يقول وايتهد:

«في الشعور الفيزيقي البسيط يتحول المعطى من ذات إلى موضوع بواحد من مشاعره الفيزيقية الخاصة به ككيان فعلى، (٢).

إن كل المشاعر الفيزيقية البحتة الأكثر تركيبا يمكن أن تحل إلى مثل هذه المشاعر الفيزيقية البسيطة باعتبار أنها مكونات لها أو عناصر تدخل فى تركيبها. والتركيز على مقولة المشاعر الفيزيقية البسيطة البحتة قد يقودنا إلى تفسيرها فى ضوء الكوزمولوچيا، ويذكر وايتهد فى هذا الصدد أننا وحيتما ننظر إلى إعادة الأحداث enacting المميز للصورة الذاتية للشعور الفيزيقى البسيط، فإننا نحصل فى حالة الكيانات الفعلية الأبسط على مثال اتحول الطاقة Energy فى العالم الفيزيقى، لكن حينما يكون الكيان الفعلى منتميا إلى درجة عالية من التعقيد، فإن الشعور الفيزيقى الذى يتحول به إلى موضوع أو معطى يكون ذا طابع عالى التعقيد. ومن ثم تسقط الفكرة البسيطة عن انتقال طاقة ما إلى ذات Subject جديدة - تسقط - كلية فى استنفاد مظاهر جدهامة طاقة ما إلى ذات مثار النظر، (٢).

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣٣٨.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٣٤٧.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، ص ٣٤٧.

ننتقل الآن إلى الشعور الفيزيقى البسيط المهجن، وهنا نجد وايتهد يذكر عن هذا الشعور:

دفى الشعور الفيزيقى المهجن، يتحول المعطى من ذات إلى موضوع بواحد من مشاعره التصورية الخاصة به ككيان فعلى، (١).

إن التمييز بين الاستحواذات الفيزيقية البسيطة البحتة والمهجنة هو تمييز هام لأن إحتواء كيان فعلى لقطب عقلى لكيان فعلى آخر لا يمكن أن يكون احتواء تصوريا Conceptual إنه احتواء فيزيقى physical وليس احتواء لهذا الكيان الفعلى باعتبار أنه حاصل على تصور Concept وليس احتواء اموضوع أبدى من حيث هو كذلك؛ فالاستحواذ التصوري لا يمكن أن ينبع كما رأينا إلا من الاستحواذ الفيزيقى الأولى initial، ومن هنا نستطيع أن نقول بأن الاستحواذ النيزيقى البحث يمكن أن ينبع أيضاً من الاستحواذ الفيزيقى المهجن أي كتوليد تصوري من هذا الاستحواذ الفيزيقي المهجن. وسوف نرى المهجن أي كتوليد تصوري من هذا الاستحواذ الفيزيقية المهجن. وسوف نرى يجب أن نلاحظ الآن أن «هذه المقولة تمدنا في النظرية الكوزمولوچية بالأساس الميتافيزيقي لتفسير منبع واتجاه الطاقة في العالم الفيزيقي، (۱). ولائي يتمثل المثال البارز فيها في «الشعور التصوري» الذي يتخذ صورة الرغبة الذي يتمثل المثال البارز فيها في «الشعور التصوري» الذي يتخذ صورة الرغبة desire

إن المشاعر المركبة تقوم بالنسبة للمشاعر الفيزيقية البسيطة و «البحتة عدور التكامل integration بين شعورين بسيطين بحتين أو أكثر. ويمكن أن نقوم مشاعر مركبة أكثر لكى تقوم بتكامل أكبر يلى هذا التكامل الأول.. وهكذا، وينتج عن هذا أن التكامل يؤدى إلى قيام مشاعر مختلفة فى درجة التركيب؛ أى مشاعر تتصاعد تركيبا باستمرار، ونفس هذا الأمر ينطبق على

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٣٤٨.

المشاعر التصورية البحتة، حيث تتصاعد درجات التركيب صعودا كلما كانت هناك عمليات تكامل بين شعورين تصوريين بحتين أو أكثر وتزداد عملية التكامل تركيبا كلما ازدادت درجة التركيب بين المشاعر التصورية وازدادت تعقيدا.

إن هذين النوعين من الاستحواذات وما يحتويانه من مشتقات، يكونان نوعين من الاستحواذات البحنة Pure.

الكن وايتهد يقرر أنه توجد إلى جانب هذين النوعين من الاستحواذات البحتة مشاعر أخرى تؤدى إلى التكامل ما بين الاستحواذات الفيزيقية وبين الاستحواذات التصورية، ويدعو وايتهد هذه المشاعر التكاملية المشتقة باللابحتة. وهو يقضد بالشعور اللابحت ما يحصل عليه كيان فعلى مامن معطيات تمثل مشاعر فيزيقية وتصورية في نفس الوقت؛ ويقوم بإجراء تكامل بينها ويوحدها في شعور واحد جديد، ولقد أوضح وايتهد هذا الرأى بقوله:

وإن العمليات العقلية الأساسية استحواذات تصورية، وهي العمليات العقلية البحتة الوحيدة، أما العمليات العقلية الأخرى فهي ولا بحتة، بمعنى أنها تتضمن عمليات تؤدي إلى التكامل بين الاستحواذات التصورية وبين الاستحواذات الفيزيقية القطب الفيزيقي، ولما كانت ولابحتية، الاستحواذ تشير إلى استحواذ منبثق عن تكامل الاستحواذات الفيزيقية البحتة والاستحواذات العقلية البحتة، فيتبع ذلك أن الإستحواذ العقلي اللابحت هو أيضا إستحواذ فيزيقي لا بحت والعكس صحيح. ومن هنا كان المصطلح ولا بحت، المطبق على الاستحواذ معنى محددا كاملا، لا يتطلب معه وجود المصطلح عقلى على الاستحواذ معنى محددا كاملا، لا يتطلب معه وجود المصطلح عقلى إهتمامنا في مناقشة ما، (١).

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٤٤.

nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إن الاستحواذ اللابحت impure Prehension هو دائما إستحواذ منبثق فى المرحلة الأخيرة من مراحل عملية معية نمو كيان فعلى، لأنه إما أن ينبثق عن إستحواذات بسيطة بحتة أو من إستحواذات مركبة بحتة، أو من إستحواذات تصورية بحته مهجنه باستحواذات فيزيقية. ويتضح من هذا أن الإستحواذات اللابحتة يمكن أن تكون فى أى درجة من درجات التركيب.

#### - 44 -

### وحدة الاستحواذات

يمكننا الآن أن ينظر نظرة كلية شاملة لعملية معية نمو الكيان الفعلى، إن هذه العملية هي صيرورة ذات بالمعنى المزدوج الذي قررياه - Subject و صيرورة ذات كوحدة حقبية واحدة ؛ ذلك أن المبدأ الأنطولوچي يقرر وأن أساس أو أصل عملية معية النمو هي كثرة المعطيات في العالم : الكيانات الفعلية ، والموضوعات الأبدية (١) . كما أن العملية التولدية وتتبع ذاتها يمكن أن تحلل إلى استحواذات أو مشاعر تبدأ بالمشاعر الأولية وتتبع بمراحل متتالية من المشاعر المركبة تقوم بدور التكامل بين المشاعر وتنتهي بوحدة شعورية مكتملة تتمثل في ايجاد كيان فعلى جديد.

ويجب أن نؤكد هنا على أنه على الرغم من أننا نميز تحليلنا بين الصور والمراحل المختلفة والمتعددة للمشاعر، إلا أن هذه الصور وتلك المراحل لا تنفصل على الحقيقة فالإشباع على سبيل المثال ليس شعورا منفصلا ومتميزا:

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٣١٧.

إنه ختام المشاعر السابقة وتجميع لها، كما أن المشاعر السابقة ليست متميزة عن الإشباع؛ لأن الإشباع هو الكيان الفعلى كذات منبثقة عن العالم ك Superject والـ Superject ليس متميزا عن الذات Subject ، كما أن الذات ليست متميزة عن المشاعر السابقة، بل على العكس من ذلك افالذات تشغل بالشعور لكى تكون ذاتاً Subject بهذا الشعور، والشعور هام في إنتاج الذات ويرجع إليه في تحديد مقصدها أو غايتها. والمقصد أو الغاية وحدة محددة معينة بما يصاحبها من مشاعر، (۱).

ويؤكد وايتهد على أن تلك الوحدة ، ليست مجرد هذه الوحدة أو تلك ، ولكنها وحدة محددة معينة المحددة معينة .. A Certain definite unity الوحدة المحددة هو قصد أو إستهداف لخبرة معينة .. لشدة intensity معينة من الوحدة المحددة هو قصد أو إستهداف لخبرة معينة .. لشدة intensity ععينة من الخبرة .. إنه إستهداف لتحقيق شئ من أجل ذاته Sown sake أنه لما كانت فاعلية الكيان الفعلى الخابرة هى فاعلية خلق ذاتى ، فإن الوصول إلى وحدة محددة معينة فى حالة خبرة يكون لها خاصية ما يمكن أن نعبر عنه بقولنا ،من أجل ذاته ، إن هذا الوصول أو التحقق بشدة من الخبرة من أجل ذاتها هو العامل الرئيسي لفكرة القيمة واذلك فلقد أصر وايتهد فى كتابه العلم والعالم الحديث science and the modern world على أن حقيقة الحادثة ، أى الكيان الفعلى ، ترتبط بفكرة القيمة . وكون الشئ غاية قى ذاته ، أو القيمة ، والوجود القيمي ، والحصول على القيمة ، وكون الشئ غاية قى ذاته ، أو من أجل ذاته ، لا يجب أن تغفل في أى وصف للحادثة (أى الكيان الفعلى) بإعتبارها أعظم الأشياء عينية وفعلية . إن (القيمة) هى الكلمة التى استخدمها بإعتبارها أعظم الأشياء عينية وفعلية . إن (القيمة) هى الكلمة التى استخدمها بإعتبارها أعظم الأشياء عينية وفعلية . إن (القيمة)

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٣١٦.

<sup>(1)</sup> وايتهد: العلم والعالم الحديث، ص ١١٦.

إن التحقق هناً وبهذا المعنى ليس معادلا «القيمة» إنه تحقق القيمة achievemnt of Value أو الوصول أو الحصول عليها إن «التحقق هو في ذاته وصول القيمة» (١) .

أن فكرة والقيمة ، Value فكرة مركبة ، وليس من الضرورى أن ندخل الآن فى تحليل هذه الفكرة إذ يكفينا فقط أن ندرك أن فكرة القيمة تتضمن عامل والتحقق من أجل ذاته .

إن معطيات عملية معية النمويتم تقييمها على أساس قابليتها أو ملائمتها للاحتواء في الوحدة النهائية بصورة تتوافق مع المعيار المؤسس بواسطة المقصد أو الغاية الذاتية النهائية بودنك يعنى أن المعطيات تقيم على أساس موافقتها للغاية الذاتية المسيطرة على فاعلية الخلق الذاتي أو عدم موافقتها، ومن ثم يتم قبولها أو رفضها، وسوف نتحدث عن دور المقصد أو الغاية الذاتية في الفصل المقبل، ولكن يجب أن نلاحظ الآن أن فاعلية «التقييم، هي نشاط أساسي للقطب العقلي mental pole وهذا يعنى أن الاستحواذ التصوري ، تقييم، أو ، فاعلية تقييمية، في طبيعته، وهذا التقييم يبدأ بالإستحواذات التصورية الأولية، وبالتوليد التصوري كتقييمات لماهية المعطيات وهذا هو السبب في إشارة وايتهد للاستحواذ التصوري على أنه المعطيات وهذا هو السبب في إشارة وايتهد للاستحواذ التصوري على أنه المعطيات وهذا التالينيم المالية التصوري، المالية بالتوليد التصوري كتخمر التقييم الكيفي.

يقول وايتهد: وإن الصورة الوسيطة للتكوين الذاتى هى تخمر التقييم الكيفى، وهذه المشاعر الكيفية تشتق إما مباشرة من الكيفيات النابعة عن الصورة الأولية وإما غير مباشرة بواسطة الإشارة إليها. وهذه المشاعر التصورية تمر فى علاقات جديدة تقوم بينها وبين البعض الآخر، وتشعر بتأكيد جديد بالصورة الذاتية Subjctive Form. إن تخمر التقييم بتكامل

<sup>(</sup>١) وايتهد : العلم والعالم الحديث، ص ١١٦.

مع الإستحواذات الفيزيقية للقطب الفيزيقي، (١).

إن جصيلة هذا النشاط هو الإشباع النهائى الذى يعنى تحقق خبرة قيمية محددة ومعينة، وسوف نكتفى هنا بذكر مثال تطبيقى لهذا التصور: وإن كل شئ له بعض القيمة لذاته وللآخرين وللكل، فهذا يميز ماهو فعلى. وبسبب تلك الخاصية المكونة للحقيقة، تنشأ التصورات الأخلاقية، وليس لنا الحق فى أن نشوه أو أن نمحو الخبرة القيمية؛ لأنها ماهية العالم الأصلية. إن الوجود فى طبيعته الخاصة شدة قيمة Value - intensity، وليس ثمة وحدة يمكن أن تفصل ذاتها عن غيرها من الوحدات وعن الكل the whole ، ومع ذلك فكل وحدة يكون لها الحق فى أن توجد، إنها تدعم الشدة القيمية من أجل ذاتها، وهذا يتضمن مساهمتها فى الشدة القيمية للعالم. إن أى شئ يوجد بأى معنى وهذا يتضمن مساهمتها فى الشدة القيمية الغلم، إن أى شئ يوجد بأى معنى من معانى الوجود يكون له جانبان: ذاتيته الفردية، ومغزاه فى العلم، كما أن كل جانب من هذين الجانبين يتأثر بالآخر، (٢).

<sup>(</sup>١) وايتهد : مغامرات الأفكار، ص ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .

<sup>(</sup>٢) وايتهد: أنماط الفكر، ص ١٥١

## الفصل السادس عشر الله

٣٨ - منبع الغاية الذاتية.

٣٩ - الله ككيان فعلى.

٤٠ – الطبيعة الأولية لله.

١٤ – الله كأولى وكتالى.



# - ۳۸ -منبع الغاية الذاتية

يتكون وجود الكيان الفعلى، طبقا لنسق المقولات الوايتهدى، من عمليته الصيرورية، وتلك العملية ماهى إلا معية نمو المعطيات فى وحدة جديدة هى كل حقبى epochal whole وعملية معية النمو تحكم بغاية تقصد إلى تحقيق تلك الوحدة الجزئية الجديدة كحصيلة Outcome أو كذات منبثقة عن العالم Superject فالـ Superject من ثم هو العلة النهائية للعملية الصيرورية. وهذا يعنى أن عملية ومعية النمو تتحرك تجاه علتها النهائية. التى هى غايتها الذاتية، (۱). ويجب أن نلاحظ أن ليس ثمة أدنى إنفصال بين هذه العناصر، وأن الذات Subject ليست شيئا متميزا عنها. يقول وايتهد وإن معية النمو وأن الذات تهائية الذاتية هائية الذاتية عن العالم السابق Subjective Aim ، إن تلك بالضرورة كذات نهائية منبثقة عن العالم السابق Subjective انهائية منبثقة عن العالم السابق Final Superject ، إن تلك

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٢٩٨.

<sup>(</sup>٢) وايتهد : مغامرات الأفكار، ص ٩٦.

إن تحليل هذه النقطة يكون على النحو التالى: إن الغاية هى شعور ولا يمكن أن يكون ثمة شعور بدون ذات Subject ، والناتج هو أن الكيان الفعلى يجب أن يدرك ككل حقبى صيرورى. ولقد أشار وايتهد إلى أن الرأى الخاص بحلول الذات فى عملية إنتاجها يتطلب وجود شعور تصورى لغاية ذاتية فى صميم الصورة الأولى للعملية الذاتية، أما المشاعر الفيزيقية وغيرها فهى تمثل خطوات تجاه تحقيق تلك الغاية التصورية خلال معالجتها للمعطيات الأولية، (١).

إن الغاية الذاتية يجب أن تكون - كما بينا - شعورا تصوريا، إنها الفكرة في ذاتها كـ Superject - وفي الفقرة الأخيرة أكد وايتهد على أن الغاية الذاتية مطلوبة من بداية العملية كي توجه فاعلية معية النمو، فليس ثمة فاعلية دون ما غاية، والغاية يجب أن تكون في البداية؛ أي أنها لا يمكن أن تكون شيئا مولدا من فاعلية الكيانات الفعلية العادية.

إن المشكلة المطروحة أمامنا تتمثل في أن الغاية الذاتية لكل كيان فعلى يجب عليه المبدأ الأنطولوچي - أن تشتق من شئ ما. من كيان فعلى ما ولا يمكن أن تكون نتاج لاشئ، فإذا كانت هذه الغاية توجد في البداية .. وفي الصورة الأولى، فماهو الكيان الفعلى الذي يكون معطى هذه الغاية ؟ بمعنى آخر إذا كانت الغاية الذاتية شعورا تصوريا أوليا فإنها يجب أن تتولد طبقاً للمبدأ الأنطولوچي من شعور فيزيقي، فما هو هذا الشعور الفيزيقي الذي قام عليه هذا الشعور التصوري الأولى أعنى الغاية الذاتية ؟

نعم نحن نعلم أن مقولة النسبية تقرر أن من طبيعة كل موجود أن يصير موضوعا لفعليات تالية (٢). وأن الفعليات إذا كملت فسدت من ناحية الذات وتحولت إلى معطيات تدخل في معية نمو فعليات صائرة، لكننا نعلم أيضا أن كيفية احتواء هذه المعطيات في ذات صائرة تعتمد على قرار الذات الصائرة

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣١٦.

<sup>(</sup>Y) وايتهد: العملية والواقع، ص ٣٦١.

ولا تعتمد على تلك المعطيات. هذا من جهة من وجهة أخرى فإن كل كيان فعلى سابق لا يمثل إلا معطى واحدا من معطيات كثيرة تدخل فى تركيب أى كيان صائر، وكل هذه المعطيات هى معطيات التركيب.. لكنها لا تؤثر فى كيفية هذا التركيب، ضف إلى ذلك أن كل كيان فعلى سابق لا يمثل معطى لكيان فعلى سابق لا يمثل معطى لكيان فعلى واحد بل يمثل معطى لعدد كبير من التركيبات المختلفة منها ما تم ومنها ما يتم ومنها ما سوف يتم، وهو لا يستطيع أن يؤثر فى كيفية أى تركيب من هذه وينتج عن ذلك كله أن هذه المعطيات الا تحمل فى طبيعتها المنفصلة الخاصة أى مبدأ تنظيمى لتركيبها Regulative Principle for their المنفوقي فإن هذا المبدأ الانطولوچى فإن هذا المبدأ الانطولوچى فإن هذا المبدأ التنظيمى.. أى الغاية الذاتية.. يجب أن تشتق من كيان فعلى ما.

إن هذا الموقف الميتافيزيقى، وتلك المشكلة الفلسفية، يتطلبان قبول كيان فعلى فريد، يكون هو المنبع الأولى الذى تشتق منه الغاية الذاتية لكل كيان فعلى. إننا هنا أمام مشكلة ميتافيزيقية لا يمكن أن تحل إلا عن هذا الطريق أى بقبول كيان فعلى فريد، ولقد أشار وايتهد إلى وأن هذه المشكلة هى نفسها التى واجهها أرسطو فى نفس النقطة وحلها بنفس الطريقة، (٢). إن مغزى الإشارة إلى أرسطو هنا لا ترجع إلى أن النسق الأرسطى كان دقيقا وحسب وأنه كان يتمتع ببصيرة نافذة بل ترجع أيضا إلى أن أرسطو وحيدما اعتبر هذه المسألة الميتافيزيقيين الأوربيين من ذوى الرتبة الأولى إنصافا وبعدا عن التعصب، الميتافيزيقيين الأوربيين من ذوى الرتبة الأولى إنصافا وبعدا عن التعصب، أما بعد أرسطو فإن الاهتمامات الأخلاقية والدينية بدأت فى التأثير على النتائج الميتافيزيقية، (٣).

إن الضرورة الميتافيزيقية وحدها، والأسباب الميتافيزيقية التي أبداها وايتهد تجعلنا نقبل وجود كيان فعلى فريد Unique هو الله God ، وأن قبول الله هنا لا

<sup>(</sup>١) واينهد: مغامرات الأفكار، ص ٣٢٨.

<sup>(</sup>٢) وايتهد : العملية والواقع، ص ٢١٥.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، نفس الموضع.

يرجع إلى بواعث دينية أو متطلبات أخلاقية كتلك التي تأثرت بها مينافيزيقيات الفلاسفة اللذين أنوا بعد أرسطو.

إن تحليلاننا الميتافيزيقية السابقة تتضمن مشكلة ميتافيزيقية أخرى تتعلق بتفسير التحديد، ليس فقط تفسير لماذا يجب أن يكون هذا التحديد أو ذاك ولكن تفسير التحديد، بوجه عام. وهذه المشكلة ترتبط بمظهر من مظاهر مشكلة الوجود، لأنه ليس ثمة وجود، أو كيان فعلى، بدون تحديد، وموقف وايتهد في هذا الصدد يتفق مع ما ذهب إليه أفلاطون وأرسطو من قبل من أن المشكلة الميتافيزيقية الرئيسية .. مشكلة الطبيعة القصوى للأشياء .. هي مشكلة الوجود، وليست - كما ذهب إلى ذلك السابقين عليهما - هي مشكلة ،مما تتكون وليست - كما ذهب إلى ذلك السابقين عليهما - هي مشكلة ،مما تتكون الأشياء، وهذه المشكلة التي عني بها وايتهد ومن قبله أفلاطون وأرسطو أعنى مشكلة الوجود، تفرض عليه التعرف على العلاقة الأساسية بين التحديد أو الصورة وبين الوجود، ذلك التعرف الذي قاد أفلاطون وأرسطو - كل من وجهة نظره الخاصة - إلى التوحيد بين الوجود وبين الصورة المحددة للشئ، وقاد من أتي بعدهما إلى التوصل لفكرة الوجود البحت كوجود روحي أو وقاد من أتي بعدهما إلى التوصل لفكرة الوجود البحت كوجود روحي أو كصورة بحتة Pure Form والتي أدى التحليل النهائي لها إلى التوصل إلى فكرة ، الموجود الكامل، أي الموجود الإلهي، أو الله .

ولقد رأينا من قبل أن وايتهد رفض التوحيد بين الوجود وبين الصورة، كما رفض تصور وجود إلهى يحل في كل شئ؛ لأن هذا يعنى عنده ترابطأ تعسفياً، إن وايتهد يسلم بأننا يجب أن نقبل كثرة من الكيانات الفعلية. أي التسليم بكيانات هي موجودات بالمعنى الكامل للوجود أو هي موجودات فعلية، والمشكلة الميتافيزيقية العامة تتعلق بتفسير ما تكون عليه. ولقد رأينا أن ماهياتها أو تحديداتها أو صورها لا يمكن تفسيرها بالإشارة إلى تلك الكيانات الفعلية فقط وأن الحل الأوحد هنا يجعلنا نقبل وجود كيان فعلى فردى تشتق منه كل التحديدات ويجب أن نفسر ذلك تفصيلا.

#### · 49 -

#### اللهككيان فعلى

تبينا من مناقشتنا السابقة أن ليس ثمة فعلى يمكن أن يمد ذاته بالمبدأ التنظيمي regulative Principle اللازم لعملية معية نموه، كما أن هذا المبدأ التنظيمي لا يشتق من كيانات فعلية سابقة وإن الفعليات السابقة تمثل بالنسبة للكيان الفعلي الصائر مادة مصطربة.. وهذا يتطلب وجود معيار ما يتم في ضوئه إتخاذ قرار وسط متغيرات لاحصر لها، على إثره يحدث تحديد معية نمو هذه المعطيات. ويجب إذن أن يكون هناك كيان فعلى فريد قادر على إمداد الكيانات الفعلي الفريد وهذا يعنى أن هذا الكيان الفعلى الفريد وهو مبدأ التحديد، أو هو المبدأ الذي تبدأ بفضله معية نمو محددة من موقف منقب بالغموض Riddled with ambiguity، (۱).

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٤٨٨.

وبمعنى آخر فإن وايتهد يرى أنه يجب أن يكون هناك كيان فعلى فريد وحد بينه وبين الله فى الأديان العليا (\*) له وظيفة ميتافيزيقية تتمثل فى إمداد الكيانات الفعلية بالغايات الذاتية Subjective Aims. يقول وايتهد وبهذا المعنى فإن الله هو مبدأ التحديد.. إنه الكيان الفعلى الذى يستقبل منه كل كيان زمانى Temporal فى عملية معية نمو، غايته الذاتية الأولية، التى تبدأ منها عملية خلقه الذاتى، (\*\*). ولتمسك وإيتهد بالترابط Coherence ولخوفه من خرقه فإنه يؤكد على أن والله لا يمكن معالجته على أنه استثناء من كل المبادئ الميتافيزيقية، (۱). بل على العكس من ذلك نجد وايتهد يقرر أن الله يجب أن يتصور فلسفيا فى ضوء المبادئ الميتافيزيقية العامة المطبقة على كل الكيانات الفعلية. يقول وايتهد، وإن وصف الخواص العامة للكيان الفعلى، يجب أن يشمل الله كما يشمل أدنى الحادثات الفعلية أوى بين طبيعة الله وبين المبيعة الله وبين المبيعة أى كيان آخر، (۲).

وإذا عالجنا الله كإستثناء من المبادئ الميتافيزيقية، فإن هذا يعنى أن هذه المبادئ قيد النظر ليست ميتافيزيقية. والواقع أن التطبيق الناجح لنسق

<sup>(\*)</sup> إن سبب توحيد وايتهد بين الكيان الفعلى الفريد وبين الله God في الأديان العليا يمكن أن نجده في تفسير الظواهر الدينية في صوء تصورات وايتهد الفلسفية. يقول وايتهد وإننا نسمى الكيان الفعلى الفريد بالله، لأن التأمل في طبيعتنا التي تتمتع بمشاعر حقيقية يجعلنا نقر بأن هذه المشاعر مشتقة من منبع لا زماني لكل نظام، وأننا نحتاج إلى صورة ذاتية (أنظر Whitehcad: Process and Reality, P. 43).

<sup>(\*\*)</sup> النص الذى ذكره وإيتهد هنا مقتبس من كتابه Process and Reality صفحة والنص الذى ذكره وإيتهد هنا مقتبس من كتابه Ordinary بدلا من كلمة زمانى ٣٤٥ ولكننا نرى أنه من الأفضل استخدام كلمة عادى Non - Temporal بي يقابل الكيانات Temporal والنب وصفا لله بانه لا زمانى الفعلية الزمانية يقودنا إلى الغموض واللبس، بل قد يستنتج منه تناقض هذا النص مع نص آخر لوايتهد يقول فيه وإن الله ليس أقل زمانية من الكيانات الفعلية الأخرى، (المترجم).

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٤٨٦.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ١٥٤.

المقولات الوايتهدية على الله هو واحد من الإمتحانات العويصة التى تثبت ترابط أو لا ترابط النسق الوايتهدى، ومن الصرورى أن نكون على بينة عما إذًا كان وايتهد متناسقا فى فلسفته حين تصور الكيان الفعلى الذى هو فريد من جهة ويخضع رغم ذلك للمقولات الميتافيزيقية من جهة أخرى. بمعنى آخر يجب أن نتبين ما إذا كانت فلسفة وايتهد تحقق معيار الترابط وهى تتحدث عن كيان فعلى فريد لا يمثل فى نفس الوقت إستثناء من المبادئ الميتافيزيقية.

لقد رأى وايتهد أن الكيان الفعلى الفريد أى الله صرورى لوجود Existence الكيانات الفعلية العادية Existence المكرنة للعالم، وأن هذه الكيانات الفعلية لا يمكن أن توجد بدون تحدى، ومن ثم فهى تعتمد على الله كمبدأ يمدها بالتحديد. وهذا يعنى أن الكيانات الفعلية العاذية يمكن أن تأتى إلى الوجود، أو أن توجد، بفضل استلامها لغاياتها الذاتية من الله.

ومن ثم الله المعنى، يمكن أن يطلق على الله أنه خالق كل كيان فعلي زمانى (١). ولكن وايتهد يتدارك ويقول العبارة السابقة تميل بنا إلى الغموض، بتقريرها أن الخالقية القصوى Ultimate Creativity للعالم تنتسب إلى الإرادة أو المشيئة الإلهية، (٢). إن هذا غير ممكن، طبقاً لمقولات وايتهد. إن تصور إله أعظم سامى خالق للعالم لا يتناسق أو يتوافق مع نسق وايتهد الفلسفى، فلقد ذكرنا من قبل أن الفاعلية الخلافة أو الخالقية هى التى يكون كل كيان فعلى بما فيها الله م مثالا لها. ومن هنا فالله لا يخلق الفعليات بفاعليته الخاصة، لأن كل كيان فعلى يخلق ذاته، كما أن الله يخلق ذاته، وبناءا على هذا ذهب وايتهد إلى أن الموقف الميتافيزيقى السليم يتمثل في أن الله مثال أصلى للخالقية به aboriginal instance of the creativity أصلى الذي يصف فعلها. إن من وظيفة ماهو فعلى أن يعبر عن الخالقية

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٣١٧.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، نفس الموضع.

#### (وأن يكون مثالا لها) والله هو الخاصية الأولية والأبدية، (١).

ويجب أن نفحص نص وايتهد الأخير بشئ من التفصيل، فكون الله مثالا أصلياً للخالقية هو أمر واضح باعتبار أن الله مطلوب بواسطة كل الكيانات الفعلية الأخرى كمبدأ للتحديد، بمدها بغاياتها الذاتية، وصورها الذاتية. لكن يجب أن ندرك تماما أن قولنا بأن الله مثال أصلى للخالقية، لا يعنى أو يتضمن أن الله يكون في ماضى كل الفعليات، بمعنى أنه كان منفردا في وجوده ككيان فعلى منذ الماضى السحيق، وأنه كان لا يوجد غيره في البدء؛ في لأن المذهب الميتافيزيقي التعددي، إذا أريد له أن يكون متناسقاً تناسقاً ذاتياً، لا يمكن أن يسلم بأن الخالقية بدأت بمثال مغرد واحد من جهة الأصل. خنف إلى ذلك أن مثل هذا التصور يمثل خرقا لكل مقولات نسق وايتهد؛ فالمبدأ الأنطولوجي ومبدأ النسبية يقرران أن كل الكيانات الفعلية تتطلب معطيات الأخرى. ومن هنا فالله ككيان فعلى لا يختلف في هذه الخاصية عن الفعليات الأخرى.. إن الله لا يمكن أن يكون بدون الكيانات الفعلية الأخرى، كما أن الكيانات الفعلية لا يمكن أن تكون بدون الله. وسوف نتناول فيما بعد بالمناقشة كيف أن الله يتطلب الكيانات الفعلية الأخرى. اكتنا يجب أن تقوم أولا ببيان كيف أن الله مطلوب بالنسبة إلى الكيانات الفعلية المكونة للعالم.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ص ٣١٧ - ٣١٨.

## - 20 -الطبيعة الأولية لله

ذكرنا في الفقرة التي اقتبسناها في الجزء السابق أن الله هو المثال الأصلى للخالقية، وهو من ثم الشرط الأصلى الذي يصف أفعالها، لكن إذا كان الله هو المثال الأصلى للخالقية، فلماذا يتبع ذلك أنه من ثم الشرط الأصلى الذي يصف أفعالها، ؟ إن وايتهد يعنى بالعبارة الأخيرة شيئاً أكثر من أن الله يشترط الخالقية بكونه مثالا لها، لقد ذكر وايتهد في عبارة أخرى الن فعلى طبيعة ماهو فعلى أهو التعبير عن الخالقية، وينتج عن ذلك أن كل كيان فعلى يعبر عن الخالقية بكونه مثالا جزئياً لها، وبعبارة أخرى فإن كل كيان فعلى يشترط الخالقية كما يشترطها الله. ومن هنا ندرك أن ما يعنيه وايتهد بعبارته أن الله هو الشرط الأصلى الذي يصف فعل الخالقية، هو أن الله علاوة على أنه لهذه الخالقية، فإنه يشترط هذه الخالقية في كل مثال تفردي لها، وذلك حين يقوم بدوره الميتافيزيقي

المتمثل في مد كل كيان فعلى بغايته الذاتية، ولكن ما مغزى قولنا بأن الاشتراط الإلهي للخالقية أصلى ؟ لكي ندرك هذا علينا أن نفحص طبيعة الله ككيان فعلى فريد يقوم بدور إمداد الكيانات الفعلية بالغايات الذاتية. بمكننا بلاشك أن نقترب من هذا الإدراك إذا بدأنا من الغاية الذاتية Subjective Aim . ولقد رأينا في هذا الصدد أن التصور Concept أو الإستحواذ التصوري Conceptual Prehension أو الإستحواذ التصوري الأولى البحث على نحو أدق هو الذي يمثل الغاية الذانية للكيان الفعلى الصائر. وهذا الإستحواذ التصوري الأولى البحت يجب أن يكون مشتقاً من الاسحنواذ الفيزيقي الأولى Primary Physical prehension . ونستطيع أن ندرك الآن بطبيعة الحال أن معطى ذلك الإستحواذ الفيزيقي هو الله، لأن الله هومنيع الغاية الذاتية، لكننا يجب أن نلاحظ أن الكيان الفعلى حين يستلم غايته الذاتية من الله، فإن ما يستحوذه هذا الكيان الفعلى ليس هو الله بعينينته الكاملة، وإنما الله كما يتحول إلى موضوع بواحد من تصوراته، أي بغاية ذاتية متوافقة مع هذا التصور. ومن هذا فإن هذا الإستحواذ الفيزيقي يجب أن يكون استحواذاً مهجناً hybrid لأن الإستحواذ الفيزيقي المهجن يعني - كما رأينا - وتحول المعطى من ذات الى موضوع بواحد من مشاعره التصورية الخاصة به ككيان فعلى، (١).

ومن الواضح أن الله اكمبدأ للتحديد، يجب أن يكون حاصلا على استحواذات تصورية بالغايات الذاتية التى تتوافق مع الكيانات الفعلية الجزئية ولما كانت معطيات الاستحواذات التصورية هى الموضوعات الأبدية، فإن الغايات الذاتية من ثم سواء فى الإستحواذات الفردية للكيانات الفعلية أو فى الإستحواذ الإلهى يمكن أن تحلل إلى إختيارات نوعية للموضوعات الأبدية، ومن هنا فإن الغايات الذاتية المختلفة كما تتبدى فى الاستحواذ التصورى الله ومن هنا فإن الغايات الأبدية المختلفة كما تتبدى فى الاستحواذ التصورى الله على الموضوعات الأبدية العالية العادية وبعبارة أخرى فإن الله يتصور

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ص ٣٤٧ - ٣٤٨.

الموضوعات الأبدية من حيث إشارتها وتوافقها مع فعلتة الكيانات الفعلية المكونة للعالم.

إن نسليمنا بأن الله يتصور الموضوعات الأبدية في توافقها مع فعانة الجزئيات، أي الكيانات الفعلية الجزئية يتضمن وجود فاعلية اختيار عند الله كما يتضمن أيضاً الدافع أبياه تحقيق المعطيات التي تم استحواذها تصورياً (١). ولقد سمى وايتهد هذا الدافع بإسم الشغف appetition، هذا واختيار موضوعات أبدية أبدية معينة تتوافق مع فعلته الجزئيات يتضمن وجوب وجود موضوعات أبدية يمكن الإختيار منها. إن المشكلة تتمثل هنا في معرفة الطريقة التي تكون بها الكيانات الأبدية في متناول الله ؟ إن كون الله يتناولها يتضمن أنها موجودة، ويتضمن أيضاً أنها يجب أن تشير إلى كل الموضوعات الأبدية لا إلى بعضها لقد سلم وايتهد بأن الإجابة الوحيدة التي تتسق مع المبدأ الأنطولوجي والمقولات الأخرى هي أن وجود كل الموضوعات الأبدية يجب أن يتكون بواسطة التحقق التصوري الأولى لله ولقد لخص وايتهد هذا بقوله: إن التطابق المتفاوت لكل موضوع أبدى على كل مثال من أمثلة العملية الخلاقة Creative لله (٢).

إن عامل إشارة أو علاقة الموضوعات الأبدية بالفعليات له مغزى هام. ولقد قلنا أن الموضوعات الأبدية لها علاقة بالفعليات بفضل طبيعتها كإمكانيات أو قوى؛ أنها يمكن أن تكون إمكانيات لكيانات فعلية إذا كانت لها علاقة فقط بتلك الفعليات، ولكن كيف يكون ممكنا للموضوعات الأبدية المجردة، الغير محققة في أي كيان فعلى، أن تكون في نفس الوقت قوى بحتة مجردة، ولها علاقة بالفعليات ؟ وبكلمات وايتهد نفسها دبأي معنى يمكن للصورة المجردة الغير محققة أن تكون لها علاقة بالفعليات ؟ وما أساس تلك

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٤٣.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٣٦٣.

العلاقة ؟ إن هذه العلاقة يجب أن تعبر عن معية الصور (وطبقاً لهذا) فيمكن أن تعبر عن المبدأ الانطولوجي على النحو التالى: إن كل معية واقعية هى معية ذات تكوين صورى لماهو فعلى، ومن ثم فإذا كانت هناك علاقة غير محققة في العالم الزماني، فإن هذه العلاقة يجب أن تعبر عن معية نمو في التكوين الصورى لكيان فعلى لا زماني، (١).

ولكى نحدد المسألة بدقة أكبر نقول إن الصورة المجردة الغير محققة يمكن أن تكون ذات علاقة إذا كانت حاصلة فقط على علاقة ضرورية بمعية ما من صور أو موضوعات أبدية محققة، ويتبع ذلك أنه يجب أن تكون هذاك معية أساسية ضرورية بين الموضوعات الأبدية، وهذا يعنى؛ وأن الموضوع الأبدى، ككيان مجرد، لا يمكن أن ينعزل عن علاقته بالموضوعات الأبدية الأخرى، وعن علاقته بالكيانات الفعلية بوجه عام، وذلك على الرغم من انفصاله عن أحواله الفعلية التي يلجها ويحددها في حادثات فعلية. وهذا المبدأ يمكن أن نعبر عنه بقوانا بأن كل موضوع أبدى حاصل على ماهية علائقية نعدد كيف يمكن للموضوع الأبدى أن يلج في حادثات فعلية، وهذه الماهية العلائقية تحدد كيف يمكن للموضوع الأبدى أن يلج في حادثات فعلية،

والآن فإن علينا أن ننظر فيما يتطلبه المبدأ الأنطولوچي بخصوص إشارة المعية الأساسية للموضوعات الأبدية إلى كيان فعلى ما. ولقد رأينا أن هذه الإشارة لابد وأن تتجه إلى التحقق التصوري للموضوعات الأبدية في عقل الله. وبفضل هذا الوجد حقيقة عامة عن علائقية متبادلة ونسقية تكون حالة في طابع ماهو ممكن؛ إن مملكة الموضوعات الأبدية توصف بأنها مملكة في طابع ماهو ممكن؛ إن مملكة الموضوعات الأبدية توصف بأنها مملكة للترابط أو العلائقية المتبادلة mutual relatedness، (۲).

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٤٤.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ١٩٨.

ونحن لا نستطيع أن ندخل هنا في تحليلات تفصيلية لنسق الترابط أو العلائقية المتبادلة بين الموضوعات الأبدية، رغم أهميته، لكننا سنوجه إهتمامنا الآن لفكرة وايتهد عن معية الموضوعات الأبدية التي توجد كتحقق تصوري أولى في الله. لقد رأى وايتهد في هذا الصدد: «أن الواقعة المخلوقة الأولية هي التقييم التصوري اللا مشروط للكثرة الكلية من الموضوعات الأبدية، وأن هذا يمثل الطبيعة الأولية لله، وبسبب هذا التقييم الكامل الأبدية، وأن هذا يمثل الطبيعة الأولية لله، وبسبب هذا التقييم الكامل عنه تدرج في علاقة الموضوعات الأبدية بأوجه معية نمو الحادثات المشتقة وسوف يبقى أمامنا أساس إضافي يتم بسببه إختيار الموضوعات الأبدية الملائمة للولوج في الكيانات الفعلية المشتقة والمنتمية إلى العالم الفعلى ولكن إذا كان الحال على هذا النحو أولا، فهناك دائما علاقة محددة تشتق من الله، (١).

إن هذا التقييم التصورى للكثرة الكلية من الموضوعات الأبدية يجب أن يكون أوليا أو أن يكون «المثال الأولى للخالقية»؛ لأن كل تفرد آخر للخالقية سيعتمد على هذا التقييم التصورى في وجوده، وبالإضافة إلى ذلك فإن هذا التقييم التصورى لكل الموضوعات الأبدية يجب أن يكون بسبب أوليته وأصليته لا مشروطا، إنه لا يمكن أن يوجد - طبقاً لمبدأ النسبية - إلا كيان فعلى واحد غير مشتق، وغير مقيد باستحواذاته من العالم الفعلى (١). وهذا الكيان الفعلى هو الله.

ويجب أن نلاحظ أن ما عناه وايتهد بقوله أن الله في طبيعته الأولية هو التقييم التصوري الأولى للكثرة الكلية من الموضوعات الأبدية، ليس هو أن الله أصل الموضوعات الأبدية، أو أنه يأتي بها إلى الوجود من العدم، فلقد أصر وايتهد على أن الله ولا يخلق الموضوعات الأبدية؛ لأن طبيعته تتطلب تلك

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٤٢.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٤٤.

الموضوعات الأبدية، بنفس الدرجة التى تتطلب بها تلك الموضوعات الأبدية الله، وهذا يشير إلى الترابط القائم بين الأنماط المقولية الموجودة، إن العلاقات العامة للموضوعات الأبدية بينها وبين بعضها البعض، وعلاقات التباين والنمطية، ليست إلا علاقات تلك الموضوعات الأبدية في التحقق التصوري لله وبمعزل عن هذا التحقق، لا توجد إلا عزلة غير متميزة من اللاشيئية، (۱). وهذا يعنى أن «الوجود الأولى لله» هو فعل تقييم تصوري كامل للموضوعات الأبدية. إن الله لا يمكن أن يوجد ثم يشرع في خلق الموضوعات الأبدية، إن الموضوعات الأبدية لا تنفصل عن الوجود الأولى لله.. إنها التحديدات الأولية التي بدونها يكون من المستحيل أن يكون وجود أو خالقية حتى وجود المثال الأولى للخالقية «الله». إن وايتهد يصر هنا على أنه من العبث الكامل أن الأولى للخالقية من الوجود. لكن نتصور الموضوعات الأبدية أو «الصور» على أنها منفصلة عن الوجود يتطلب نتصور الموضوعات الأبدية أو «الصور» على أنها منفصلة عن الوجود يتطلب التحديد أو الصورة، كما أن الصورة تتطلب الوجود على قدر المساواة. ومن هنا فالعلاقة التبادلية بينهما لا يمكن أن تقام إذا تم التوحيد بينهما.

رأى وايتهد إذن أن الموقف الميتافيزيقى يتطلب كياناً فعلياً فريداً unique يكون المنبع الأولى لكل التحديدات أو الصور، وأنه بدون هذا الكيان الفعلى الفريد والله، لا يمكن لأى كيان قعلى أن يكون أو أن يوجد، وأن الله يجب أن يكون - في وجه واحد على الأقل - التقييم التصوري لكل لإمكانية.

ويذكر وايتهد أن التقييم التصورى الأولى لكل الموضوعات الأبدية يتضمن:

التكيف الأساسى لمعية نمو الموضوعات الأبدية التي يعتمد علهيا النظام
 الخلاق Creative order.

٢ - التكيف التصوري لكل أنواع الشغف في صورة عناد أو خلاف.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣٦٣.

إن عنصر النظام ضروري بالنسبة إلى :

- ١ كل كيان فعلى يكون فى عماية معية نمو، حيث تكون معية نموه امتجهة إلى تحقيق وخدة A Unity . فمثل هذا الأمر يتضمن أن كل كيان فعلى حاصل على نظام داخلى internal order .
- ٢ العلاقات قائمة بين الكيانات الفعلية، فبدون عنصر النظام لا يمكن لهذه الكيانات الفعلية أن تترابط داخلياً أو تدخل في علاقات داخلية كما تحتم ذلك مقولة النسبية.

ويؤكد وايتهد على أن النظام الخلاق يجب أن يعتمد على النظام التصورى الأولى الذى يتكون بواسطة الموضوعات الأبدية التى هى فى الطبيعة الأولية لله. ويمعنى آخر فإن النظام الخلاق يتطلب فى النهاية وتكيفاً للموضوعات الأبدية فى تركيب نسقى عام من الإرتباطات أو العلاقات التبادلية، والذى ينطبق على الكيانات الفعلية أيا ما كانت. ويجب أن نلاحظ أن هذا والتركيب النسقى العام من الإرتباطات أو العلاقات التبادلية، يكون فى حد ذاته مثالا واضحا ودقيقاً للأنباط الكاملة أو الصور أو الموضوعات الأبدية.

ومن المهم أن نبين كيف يتأسس النظام في العالم المخلوق؛ فلقد بينا أن وجود كل كيان فعلى يعتمد على التحديد، أو الصورة، المشتقة من الله كغاية ذاتية للكيان الفعلى، وأن هذه الغاية الذاتية Subjecitve aim تتكون بإختيار موضوعات أبدية. ونضيف الآن أن هذه الموضوعات الأبدية حاصلة على

إرتباطات تبادلية نقية بكل الموضوعات الأبدية الأخرى المحتوية على الصور العامة الكاملة.

ومن ثم فبالإستحواذ المهجن اكل كيان فعلى الله، يقصد كل واحد منها لا إلى خاصيته النوعية المكونة له والمميزة لفعليته الفردية وحسب، ولكنه يقصد أيضا للخاصية العامة التي يتشارك فيها مع كل الكيانات الفعلية الأخرى. ولقد عبر وايتهد عن ذلك بقوله ،إن التحقيق المثالي ideal للإمكانيات في الكيان الفعلي الأولى، يكون دعامة ميتافيزيقية تمثل العملية الفعلية عن طريقها مبادئ ميتافيزيقية عامة، وتحقق غايات مناسبة للأنماط النوعية الخاصة بالنظام الطافر emergent order) (١).

لقد لاحظنا سابقا أن التقييم التصورى الأولى لكل الإمكانيات لا يتضمن فقط التكيف الأساسى لمعية نمو الموضوعات الأبدية التى يعتمد عليها النظام الخلاق، ولكنه يتضمن أيضا التكيف التصورى لكل أنواع الشغف فى صورة عناد أو خلاف. وأنه لمن الهام - بغية فهم كامل للتقييم التصورى الأولى لله أن ننظر فى هذا التكيف الأخير. وإذا تم لنا ذلك فسوف نعلم أن التقييم التصورى الأولى لله يتكون بواسطة الاستحواذ التصورى البحت لكل الموضوعات الأبدية، بمعنى أن معطيات هذا الاستحواذ هى إمكانيات بحتة الموضوعات الأبدية، المعردة البحتة يكون لها علاقة بالفعليات؛ فالموضوعات الأبدية المجردة البحتة يكون لها علاقة أو إشارة إلى بالفعليات؛ فالموضوعات الأبدية المجردة البحت يتضمن الشغف.. أى بالفعليات لأن الإستحواذ التصورى الإلهى البحت يتضمن الشغف.. أى يتضمن ودافعا تجاه تحقيقها، وبدون هذا الشغف فإن الموضوعات الأبدية ستكون مجرد عبث أو ومجرد عزلة غير متميزة من اللاشيئية، ولقد أشار وايتهد إلى أن هذا الشغف يجب أن يعتبر كأصل أساسى لكل استحواذ تصورى، وبسبب ذلك فإن الاستحواذ التصورى يكون له طابع التقييم تصورى، وبسبب ذلك فإن الاستحواذ التصورى يكون له طابع التقييم تصورى، وبسبب ذلك فإن الاستحواذ التصورى يكون له طابع التقييم تصورى، وبسبب ذلك فإن الاستحواذ التصورى يكون له طابع التقييم تصورى، وبسبب ذلك فإن الاستحواذ التصورى يكون له طابع التقييم تصورى، وبسبب ذلك فإن الاستحواذ التصورى يكون له طابع التقييم تصورى، وبسبب ذلك فإن الاستحواذ التصورى يكون له طابع التقييم تصورى، وبسبب ذلك فإن الاستحواذ التصورى يكون له طابع التقييم تصورى، وبسبب ذلك فإن الاستحواذ التصورى يكون له طابع التقييم تصورى يكون له طابع التقييم تصورى يكون له طابع التقييم تصورى يكون له على المربد عن مذهبه في هذا الصدد كما يلى :

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٥٤.

وإذا نظرنا إلى تلك العمليات البحتة في أعظم حالاتها شدة فإننا يمكن أن نعبر عنها بالمصطلح رؤية Vision ، حيث يكون الاستحواذ التصوري هو الرؤية المياشرة لإمكانية الخبر God أو الشر Evil . أو الرؤية المياشرة لإمكانية كيف يمكن للفعليات أن تكون محددة. نحن هنا لسنا أمام أية إشارة إلى فعليات جزئية، أو إلى عالم فعلى جزئي. إن عبارة إمكانية الذير أو الشر أضيفت هنا كي تشير إلى الصورة الذاتية Subjective form . إن كلمة رؤية Vision كاستحواذ تصوري عارية من الصورة الذاتية. وإذا قلنا أن الطبيعة الأولة لله هي إكتمال الشغف فإننا نعطى وزنا أكبر للصورة الذاتية، وإذا قلنا أن الطبيعة الأولية لله هي حدس intuition فإننا نفترض عقلية لابحتة impure ترتبط بإشتحواذ فيزيقي، وإذا قلنا أن الطبيعة الأولية لله هي رؤية Vision فإننا نفترض رأبا معطلا أو مبطلا للصورة الذاتية؛ يعربها أو يحددها مما تصبو إليه من إنتقال من واقعة عينية إلى أخرى، ومن ثم يكون ثمة نقص في الطبيعة الأولية لله. إن ميزة مصطلح رؤية Vision الوحيدة هو ربطه هذا المذهب عن الله بالتراث الفلسفي السابق. ولكن مصطلح تخيل Envisagement هُو أكثر أمنا من مصطلح رؤية Vision . ولكي نلخص ماسيق نقول: إن الطبيعة الأولية لله هي طبيعة مجردة من تعامل الله مع الجزئيات، وهي من ثم تتحاشى الفكر العقلي اللابحت الذي يتضمن القضايا. إنها الله في تجرده، وحيدا بذاته، وباعتباره كذلك فإن تلك الطبيعة الأولية تكون محرد عنصر في الله، تفتقر إلى الفعلية، (١).

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ص ٥٤ - ٥٦.

## - ٤١ -الله كأولى وكتالي

إن النقطة الأخيرة التى ذكرها وايتهد فى نهاية الفقرة الأخيرة من الأهمية بمكان كبير. فليس ثمة تعادل بين الله وبين طبيعته الأولية. وهذا يعنى أننا لا يتبغى أن نتصور الله على أنه يتكون كلية من تقييمه التصورى الأولى ينبغى أن نتصور الله على أنه يتكون كلية من تقييمه التصورى الأولى الموضوعات الأبدية المجردة البحتة Pure abstract eternal objects يقول وايتهد وإن النظر إلى الله كأولى معناه أن ننظر إليه كتحقق تصورى لا محدود الثروة المطلقة من الإمكانيات. ومن هذه الجهة لا يكون الله قبل Before كل الخلق ولكنه يكون مع with كل الخلق. ولكنه كأولى فبقدر كونه (حقيقة باطنة) - وإذا نظرنا إليه هذه النظرة المجردة - فإنه يكون ناقص الفعلية أو فعلياً ناقصاً. وهذا يكون من جهتين : الأولى أن مشاعره تكون تصورية فقط ومن ثم تفتقد الإمتلاء الفعلى الذي تتميز به الفعليات، والثانية أن المشاعر التصورية المنعزلة عن التكامل المركب مع المشاعر الفيزيقية، تكون عارية عن الوعى بصورها الذاتية.

إن الطبيعة الأولية جانب واحد فقط من جوانب الله، أو مظهر واحدله، ويجب أن يكون واضحاً لدينا أننا حينما ننظر إلى الطبيعة الأولية فإننا نقوم بتجريدها من الله كفعلى كامل. وسوف نخطئ تماما في تصورنا لله التصور الصحيح إذا لم نضع في ذهننا أن هناك علاقة بين هذا الجانب وبين الجوانب الأخرى لله.

ومن جهة أخرى فإننا نقع فى الخطأ أيضا إذا لم نقم بتمييز محدد بين الطبيعة الأولية لله باعتباره مطلقا Relative وبين جانب آخر لله يكون فيه نسبيا، والفشل فى إقامة هذا التمييز هو أساس عدم الرضا عن كل التصورات التقليدية لله. إن ما يريد أن يقوله وايتهد هنا هو أن الله مطلق باعتبار ونسبى باعتبار آخر.

وعلى الرغم من أن الطبيعة الأولية هي جانب واحد من الله، فإنه الجانب المطلق الأساسي الملاحة فعلى أيا ما المطلق الأساسي لكل ماهو فعلى أيا ما كان، وفي هذا الجانب يكون الله وهو الفعلى اللامشروط الشعور التصوري.. ويسببه.. أي بسبب فعليته الأولية، يقوم نظام An order متوافق أو علائقي بين الموضوعات الأبدية وبين عملية الخلق. إن وحدة الله ذات العمليات التصورية هي فعل خلاق حر، غير مقيد بالإشارة إلى أي جزئي من تجمع الأشياء، ولا يتحرف بالحب أو الكراهية.. إن جزئيات العالم الفعلى تفترض وجود الله، بينما الله يفترض وجود خاصية ميتافيزيقية التقدم الخلاق، يكون هو المثال الأولى أله، إن الطبيعة الأولية لله هي ما تتطلبه الخالقية الشروط المقولية.

لقد رأينا أن الغاية الذاتية هي طلب مقولي لكل الكيانات الفعلية وأن الله ككيان فعلى لا يمثل إستثناء من هذه القاعدة. إن الطبيعة الأولية لله تتوافق مع مافي الكيانات القعلية العادية من غاية ذاتية، والخلاف الوحيد بين الله والكيانات الفعلية الأخرى هو أن وظيفة الله الميتافيزيقية الفريدة unique تحتم

غاية ذاتية فريدة وبسبب دور الله هذا فإن غايته الذاتية أى طبيعته الأولية تتكون من تخيله التصورى الكامل urge تجاه تحققها فى فعليات العالم. إن لكل الموضوعات الأبدية مع دافع urge تجاه تحققها فى فعليات العالم. إن appetitive وظيفة الله الميتافيزيقية تتمثل فى غايته المباطنة لتقييمه الشغوف valuation للموضوعات الأبدية. يقول وايتهد: «إن عمليات الشغف الأولية التى تكون بإستمرار الغرض الإلهى preservation تتطلب الشدة والية فليس ثمة ما يحتفظ به. إن الله فى طبيعته الأولية لا يتحرك بحب هذا أولية فليس ثمة ما يحتفظ به. إن الله فى طبيعته الأولية لا يتحرك بحب هذا الجزئي أو ذاك، لأنه ليس ثمة جزئيات سبق تكوينها فى مثل تلك العملية الأساسية للخالقية. إن الله لا يكترث بالحفظ أو بالجدة novelty على حد سواء، ويما إذا كانت الحادثة المباشرة قديمة أو جديدة. أن قصده إليها هو عمق الإشباع Depth of Satisfaction لها كخطوة وسيطة تجاه تحد ومن ثم عمق الإشباع الله موجه تجاه كل حادثة كما تكون عليه. ومن ثم فالغرض الإلهى هو إستدعاء أو استحضار evocation الشدة فى التقدم الخلق، (١).

إن وايتهد يستخرج من هذه الفقرة كل العلاقات الداخلية الميتافيزيقية والأساسية القائمة بين الفعليات بما فيها الله؛ إن الكيانات الفعلية العادية تعتمد على الله في إمدادها وبتحديدانها وي شكل وغاياتها الذاتية والغاية تتضمن غرضا والغرض المباشر هو ـ كما رأينا ـ خلقها الذاتي في كيانات فعلية الكن وجود الفعليات لا يعنى نهايتها كلية ، فطبقا لمقولة النسبية يصبح كل موجود تم أو كمل قوة أو إمكانية لإتيان وجودي لاحق أو لصيرورة تالية . وهذا يعنى أن كل كيان فعلى يكون لوجودة قيمة مزدوجة dual Value : قيمته لنفسه 10 انتخال وقيمته بالنسبة للآخرين to others . وهذه القيمة المزدوجة تنعكس

<sup>(</sup>١) نفس المرجع: ص ص ١٤٦ - ١٤٧.

على الغاية الذاتية لكل كيان فعلى؛ في كونها خالقة لشدة قيمية لنفسها، ومن ثم للآخرين خلال نفسها.

ولما كانت الغاية الذاتية لكل كيان فعلى تشتق من الله، فإنها تمثل أيضا الغرض الإلهى. إن الغرض الإلهى إذا نظرنا إليه من منظور كل كيان فعلى جزئى، فإنه يعبر عن أعظم شدة ممكنة من الخبرة بالنسبة إليها، ويعبر أيضا عن الفعلنة القصوى maximum actualization للقيمة في ذلك الكيان الفعلى أو ذاك، لكن فعلنة شدة ـ القيمة value - intensity لا نكون من أجل هذا الكيان الفعلى فقط، ولكنها تكون من أجل الفعليات الأخرى بما فيها الله، ومن ثم فكجانب آخر لله، فإن الغرض أو الغاية الإلهية تجاه كل الفعليات هي معمقها في الإشباع كخطوة وسيطة تجاه تحقق وجوده الخاص،

ويجب أن نلاحظ هنا أن هذا التصور يتضمن أن مقولة العملية ومقولة النسبية تنطبقان بالتساوى على الله؛ فالوجود الإلهى يتكون من صيرورة الله، وهذا يحتم الاستحواذ الفيزيقى الإلهى للعالم؛ فالله يتطلب الكيانات الفعلية الأخرى من أجل تحقيق وجوده الخاص. يقول وايتهد وإن طبيعة الله مثل الفعليات الأخرى - مزدوجة؛ فهو حاصل على طبيعة أولية، وعلى طبيعة تالية، والطبيعة التالية لله طبيعة واعية، وهي تحقق العالم الفعلى في وحدة طبيعته وخلال إنتقال حكمته. إن الطبيعة الأولية طبيعة تصورية الالهية على أما الطبيعة التالية فهي نسج Weaving المشاعر الفيزيقية الإلهية على تصوراته الأولية، (١).

لقد عبر وايتهد عن تصوره الميتافيزيقى لله على النحو التالى: وإن فكرة الموجود الأعظم يجب أن تنطبق على فعلى فى عملية تركيب.. فعلى لا يتحدد بمعطيات حقبة خاصة من أحقاب التاريخ.. فعلى تقوم فعليته على مالا حد له من شغفه التصورى المستمر، وتشتق صورة عمليته من إنصهار هذا الشغف مع المعطيات المستقاة من العملية العالمية، فعلى تتمثل وظيفته فى

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٤٨٨.

العالم في تعضيد القصد إلى الخبرة الواضحة، وحفظ الإمكانية، وتناسق التحصيل أو ربطه، (١).

إن فعلية الله تقوم إذن على مالا نهاية له من شغفه التصورى بالمعنى الذى يقوم فيه وجود كل كيان فعلى عادى على غايته الذاتية Subjective الذى يقوم فيه وجود كل كيان فعلى عادى على غايته الذاتية الشغف aim ولكن الله لكى يكون فعليا، فيجب أن يكون هناك وانصهار لهذا الشغف مع المعطيات المستقاة من العملية العالمية، وهنا يتشابه الله مع عملية صيرورة الفعليات العادية. وهذا يعنى أن الوجود الفعلى الممتلئ لله يتضمن إستحواذا أو إحتواء فيزيقياً لفعليات العالم، كما يتضمن توحيدها في كيان فعلى جديد. ومن ثم فالله كتالى هو الربط أو التنسيق بين ما يحصله.

وهذا الربط أو التنسيق بين التحصيلات العالمية يكون في غايته الأولية قاصداً إلى شدة خبرة القيمة intensity of Value - Experience . وبسبب ذلك التكامل بين الاستحواذات الفيزيقية لله بالعالم وبين استحواذاته التصورية البحتة، تبزغ أو تطفر عنه الغايات الذاتية للفعليات الجزئية العادية. ولقد لخص وايتهد فكرته هذه في الفقرة التالية :

وإن الله تالى Consequent كما أنه أولى Primordial.. إنه البداية والنهاية. وكونه في البداية لا يعنى أنه يكون في ماضى كل الفعليات، إنه الكيان المقترح ذو العملية التصورية التي تتحد في صيرورتها مع كل فعل خلاق آخر. وطبقاً لنسبية كل الأشياء فهناك رد فعل للعالم على الله (تأثير للعالم على الله) إن إكتمال طبيعة الله بشعور فيزيقي ممتلئ، إنما يشتق من كون العالم موضوعاً لله. إنه يشارك كل خلق جديد عالمه الفعلى.. والمخلوق الذي هو في عملية معية نمو يصير موضوعاً لله كعنصر جديد في تحول الله إلى موضوع للعالم الفعلى.. إن طبيعة الله التصورية لا تتغير بسبب إكتمالها النهائي، لكن طبيعته المشتقة تكون تالية للتقدم العالمي الخلاق، (٢).

<sup>(</sup>١) وايتهد : مغامرات الأفكار، ص ١٢٨.

<sup>(</sup>٢) وايتهد : العملية والواقع، ص ٤٨٨.

نستطيع الآن أن ندرك معنى أن يكون الله زمنياً وغير زمانى فى نفس الوقت؛ فالوجود الإلهى مثل أى وجود فعلى آخر يتكون من عملية صيرورية، ومن هذه الناحية فالله ليس أقل زمانية من أى فعليات أخرى ، فطبيعته المشتقة تكون تالية للتقدم العالمى الخلاق، وعلاوة على ذلك ففى الله، كما فى أى كيان فعلى آخر، توجد العملية الميكروسكوبية Microscopic Process كيان فعلى آخر، توجد العملية الميكروسكوبية الماكروسكوبية معنودية هى وحدة صيرورية حقبية، كما توجد العملية الماكروسكوبية كيان فعلى فى عملية تحقق. إن كل وحدة صيرورية فى الوجود الإلهى تخلد موضوعياً للوحدات تحقق. إن كل وحدة صيرورية فى الوجود الإلهى تخلد موضوعياً للوحدات الصيرورية التالية، وكل وحدة حقبية صيرورية فى الله تبدأ باستحواذ مهجن الصيرورية التالية، وكل وحدة حقبية ذاتية، ومن ثم ، فالله حاصل على خلود موضوعى hybrid الطبيعة الأولية وطبيعته موضوعى المكون للطبيعة الإلهية فإن موضوعى التالية، (۱) . ولكن بسبب أولية الإحتواء التصورى المكون للطبيعة الإلهية فإن مده الطبيعة تكون لأزمانية الإحتواء التصورى المكون للطبيعة الإلهية فإن مده الطبيعة تكون لأزمانية المهتورة المحتورة الموسوعى المكون الطبيعة الإلهية فإن الموسوعى المكون الطبيعة الإلهية فإن المده الطبيعة تكون لأزمانية المهتورة المحتورة المهتورة المهتورة المنتورة المهتورة المنتورة الم

إن الترابط التام للمقولات الميتافيزيقية عند وايتهد يمكن التمثيل له بالاعتمادات التداخلية المتبادلة بين الله وبين العالم، قلا الله ولا العالم يمكن أن يستقل عن بعضهما البعض، فالله لا يمكن أن يعتمد على ذاته فقط كى يوجد، كما أن فعليات العالم لا يمكن أن تعتمد على ذاتها فقط كى توجد، إن الله يتطلب العالم والعالم يتطلب الله كضرورة ميتافيزيقية للوجود الإلهى ووجود العالم، ومن ثم وفالعالم لا يمكن أن يدرك إدراكا تاما دون أن نعد الله في حسباننا والعكس صحيح، إن هذا الإعتماد الداخلي المتبادل للفعليات لا يمكن أن يفهم إلا إذا تصورنا العالم كعملية فاعلية؛ ففي مثل هذا التصور ولا يكون ثمة معنى للخالقية أو الإبداعية Creatity وهي منعزلة عن المخلوقات، يكون ثمة معنى للخالقية أو الإبداعية وتعالى المخلوقات الزمانية Temporal

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣٤.

Creatures ، ولا يكون ثمة معنى للمخلوقات الزمانية وهي منعزلة عن الخالقية وعن الله (١).

إن مذهب وايتهد يرى أن الفعليات تنفرد أو تصبح فردية بواسطة الفاعلية الخالقية، وأن أى مخلوق زمانى ليس إلا الخالقية التى خصصت نفسها فى فرديات متوافقة مع الغاية الذاتية لكل كيان فعلى فردى.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٣١٨.

# الفصل السابع عشر العالم الخلاَق

- ٤٢ العملية الخلاَّقة.
- ٤٣ القيمة والنظام.
- ٤٤ النظام والمجتمع.
- ٤٥ نظرية المجتمع.
  - ٤٦ الكوزمولوچيا.



## العملية الخلاقة

سنعرض هنا لوصن وايتهد المينافيزيقى للعالم فى ضوء نسق المقولات الذى قدمه. لقد ركزنا سابقاً وبصورة أساسية على الطبيعة المينافيزيقية للفعليات الفردية، لكننا سننتقل الآن إلى النظر إلى العالم ككل حيث تترابط فعلياته بعلاقات داخلية.

لقد بينا آنفاً أن العالم كما تصوره وايتهد هو عالم فاعلية خلاَّقة، وأن الكيان الفعلى يتكون من التخصص الفردى للفاعلية الخلاقة القصوى أو للخالقية وبمعنى آخر بينا أن العملية الخلاقة Creative Process تتكون من وحدات حقبية فردية للفاعلية، بحيث تتعاقب الكيانات الفعلية الواحد تلو الآخر باستمرار ومن هنا كان العالم هو التقدم الخلاق نحو الجدة Novelty الالمال.

ولما كنا قدأكدنا بأوضوح على الفردية المنفصلة للكيانات الفعلية، فيجب أن نؤكد الآن على الانصالات الترابطية الأساسية القائمة بين هذه الكيانات. وسوف يصبح واضخاً إذا ما قمنا بذلك - أن التقدم الخلاق يحدث بواسطة انغماس أو إندماج الفعليات السابقة في تكوين الفعليات التالية.. وهكذا، وإن

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ٣١٤.

العملية الخلاَّقة من ثم هي إنتقال تدخل فيه حادثة واحدة هي فعلية في نشأة أو ميلاد حادثة أخرى ذات قيمة خابرة، (١).

لكن يبدو أن الأمر ليس هكذا بالضبط، ذلك أن تصور وايتهد عن التقدم الخلاق للعالم يختلف في نقطة محورية عما سبق أن بيناه في الأفكار السالفة؛ فبسبب بقاء فكرة جواهر دائمة في فكرنا فإننا عادة ما نتصور التقدم الخلاق على إنه وراثة ذات خط مفرد، ومن هنا فليس من المدهش أن تكون الأفكار السالفة هي تعميم صريح أو مضمر من ذلك الخط الوراثي المفرد، ذلك التعميم الذي اعتبرناه خاصية ميتافيزيقية للتقدم الخلاق.

والواقع أن نسق وايتهد الميتافيزيقي يتضمن رفض ذلك التصور الأخير عن التقدم الخلاق للعالم؛ فمقولة النسبية تؤكد على أن الإنتقال من كيان فعلى إلى كيان فعلى آخر لا يمكن أن يؤلف وراثة بسيطة ذات خط مفرد لأن امعطيات أي نبض فردي (كيان فعلى مفرد) تتكون من المحتوى الكامل للعالم السابق كما يوجد بالنسبة إلى هذا النبض، الإلى وهذا يعنى أن التقدم الخلاق على درجة عالية من التركيب. يقول وايتهد في عبارة قوية اإن العالم كله يتآمر درجة عالية من التركيب. يقول وايتهد في عبارة قوية اإن العالم كله يتآمر مشبك Conspires على إنتاج خلق جديد، الاخلية، يكون فيه كل كيان فعلى مفرد مشبك hamper من العلاقات الداخلية، يكون فيه كل كيان فعلى مفرد متوارثاً عن كل ما سبقه ومضيفاً لكل ما يتلوه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، ومن ثم ففي هذا المذهب ايكون الفعل الخلاق هو العالم الصائر دوماً إلى واحد، إلى وحدة جزئية من خبرة ذاتية، ومن ثم يضيف إلى الكثرة التي هي العالم واحداً جديداً. إن معية النمو هذه المتجهة إلى وحدة هي نتاج الذاتية القصوى نكل كيان، الأ).

<sup>(</sup>١) وايتهد : الدين في طور التكوين، ص ٩٩.

<sup>(</sup>٢) وايتهد: أنماط الفكر، ص ١٢١.

<sup>(</sup>٣) وايتهد : الدين في طور التكوين، ص ٩٩.

<sup>(</sup>٤) وايتهد: العملية والواقع، ص ٦٨.

ومن الأهمية بمكان كبير أن يكون واضحاً لدينا ما يتضمنه هذا التصورالذي يشير إلى أن كل كيان فعلى يكون واحداً أو توحيداً لكثرة من الكيانات الفعلية السابقة، ثم يصبح كل كيان منها بعد ذلك أو يصير موضوعاً أو معطى لمعطيات نمو لاحقة. إن هذا التصور يتضمن ضمن ما يتضمنه حل وايتهد لمشكلة الواحد والكثير the one and the many، كما أنه يتضمن أن الطبيعة الميتافيزيقية لكل كيان فعلى تتمثل في كونه عملية معية نمو أو عملية توحيدية، توحد الكثرة (الفعليات السابقة الكثيرة) في كيان فعلى مفرد واحد. إن الكثرة في مذهب وايتهد تصير واحداً دوماً، فإذا ماتم ذلك فإن هذا الواحد الموحد للكثرة يضاف كواحد إلى الكثرة.. وهكذا؛ فالتقدم الخلاق إذن هو عملية إيقاعية تتأرجح بين الكثير والواحد ثم بين الواحد والكثير.

ويجب أن نلاحظ أن ليس ثمة واحد مفرد single one، فهناك واحدات كثيرة many ones أن ليس ثمة واحد منها يكون كلا كاملا من الكثرة، لأن أي توحيد للكثرة في واحد إنما يضيف واحداً آخر للكثرة . يقول وايتهد :

وليس ثمة مجموعة واحدة كاملة من الأشياء هي حادثات فعلية؛ لأن الحقيقة الرئيسية التي لا مهرب منها هي أن الخالقية تحتم إنبثاق وحدة عينية من كثرة من الأشياء.. فليس ثمة إستقلال لبعض الأشياء عن بعضها الآخر. ومن ثم فإن كل الحادثات الفعلية تعتبر - بحسب طبيعة الأشياء - نقطة إنطلاق لمعية نمو أخرى، تنبثق من تلك الحادثات الفعلية وتتخذ لنفسها وحدة عينية .. فالعالم الفعلي لا يكتمل أبداً، إذ تظهر فيه دوماً كيانات فعلية جديدة منبثقة عن الكيانات الفعلية السابقة.. (أو هو) نسبى Relative دائماً يحدث فيه بزوغ وإنتقال؛ (1).

وطبقا لطبيعة عملية معية النمو، فإن العالم يكون تقدما خلاقا تجاه الجدة، وليس ثمة اكتمال استاتيكي، إذ العالم يضيف إلى نفسه الجديد باستمرار.

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ص ٢٩٩ - ٣٠٠.

## - ٤٣ -القيمة والنظام

من الخطأ أن نفترض أن هذا التصور الذى قدمه وايتهد يرد العالم إلى مستوى ميت جامد عديم التأثير بحجة أن حلول الفعليات المتبادل يقضى على كل اختلاف وعلى كل تمايز بينها؛ فالواقع أن الأمر على العكس تماما من هذا عند وايتهد؛ وهذا يظهر على وجه خاص فى مقولتى وتحول الذات إلى موضوع، و والغاية الذاتية،

إن نظرية التحول الذات إلى موضوع هي انقاش كيفية تحول الحادثات الجزئية الفعلية إلى عناصر أساسية لخلق جديد الله والواقع أن مقولة التحول الذات إلى موضوع هي لب نسق وايتهد وكذلك الأمر فيما يتعلق بمقولة الذات إلى موضوع هي لب نسق وايتهد وكذلك الأمر فيما يتعلق بمقولة اللغاية الذاتية الذاتية وهما كافيتان معا لتفسير العالم بشكل يختلف عن كونه شيئا جامدا متيا عديم التأثير الكن علينا الآن أن نقدم تطبيقا للمقولة الأولى في إتصالها بالمقولة الثانية .

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٢٩٨.

إن متحول الذات إلى موضوع، يتحقق في العملية التي يتوافق فيها كيان فعلى في حالة معية نمو مع معطياته. ولقد بينا في الفصلين السابقين أن هذا التوافق يجب أن يكون إختياريا Selective بالضرورة وأن الغاية الذاتية Subjective Aim Subjective هي التي نقدم مبدأ الإختيار المختيار Principle of Selection. ولما كان الإختيار يتضمن انتقاء بعض العناصر وحذف بعضها الآخر، فإن وتحول الذات إلى موضوع، يتضمن الحذف elimination: حذف العناصر الغير متوافقة، ويمكن أن نعبر عن تلك الصيغة بصيغة أخرى فنقول إن وتحول الذات إلى موضوع، يتضمن التجريد الصيغة بصيغة الأخيرة تعنى أن الفعليات السابقة تصبح موضوعات لمعية نمو كيان فعلى من جهة التجريد، ذلك التجريد الذي تحتمه الغاية الذاتية للكيان الفعلى الأخير الذي هو في عملية معية نمو. إن الحذف التجريدي يكون المنظور الذي يقفه الكيان الفعلى الأذي هو في حالة معية نمو من الفعليات السابقة. نستطيع الآن بعد هذا التحليل السريع أن نقدر تحليل وايتهد لعملية وتحول الذات إلى الموضوع، والذي يقول فيه:

وإدد لمعية النمو الخلاقة التالية، لكن ارتباطها هذا (في معطى وإحد) يتضمن وإحد لمعية النمو الخلاقة التالية، لكن ارتباطها هذا (في معطى وإحد) يتضمن حذف بعض العناصر واستبقاء البعض الآخر. ومن ثم فتحول الذات إلى الموضوع عملية تجريد تكيفي متبادل، أو عملية حذف، تصير وفقها حادثات العالم الكثيرة معطى مركبا وإحدا. وحقيقة الحذف هذا وما ينتج عنه من تركيب للعناصر المتوافقة، تحدد المنظور الذي يقفه الكيان الفعلى الذي هو في حالة معية نمو من إلعالم الفعلى، إن كل حادثة فعلية تحدد عالمها الفعلى الذي تتبع منه، وليس لأي حادثتين عالمان فعليان متحدان ذاتياً، (١).

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ص ٢٩٨ – ٢٩٩.

إن وتحول الذات إلى موضوع مع والغاية الذاتية ويمداننا بالأساس المقولى Categoreal Basis اللازم لبيان الاختلافات والتمايزات بين الكيانات الفعلية ولكن علينا ـ لكى تكتمل الصورة الميتافيزيقية ـ أن نأخذ في اعتبارنا دور الله لكن علينا ـ لكى تكتمل الصورة الميتافيزيقية ـ أن نأخذ في اعتبارنا دور الله المعالم والمعالم والمعالم والمعالم والمعالم والمعالم والمعالم والمعالم والمعالم المعالم والمعالم المعلى الفعلى الفريد الذي تشتق منه فعليات العالم والغايات الذاتية والمعالم والمعالم المعلى الفريد الذي تشتق منه فعليات العالم والغايات الذاتية والمعالم والمعالم والمعالم كفاعلية والمعالم المعالم والمعالم كفاعلية والمعالم والمعالم المعالم والمعالم كفاعلية الكرائم وكما قال وايتهد وفإن ماهو جوهري في الله، يتمثل في التقييم كغاية تقصد إلى النظام Order والمعالم "كالمعالم").

إن غاية الله في العالم هي تحقيق شدة خبرة القيمة، وتحقيق ذلك يتطلب النظام Order أو يحتم ضرورته ، إن علينا إذن أن نفحص فكرة النظام، وأن نبين ما تتضمنه من معنى في عبارة وايتهد التي يقول فيها «إن النظام order يعنى المجتمع Society المسموح له بفعليات ذات أنماط شعورية تتصف بالشدة، ويقوم على التضادات المتوافقة، (٤).

<sup>(</sup>١) وايتهد: أنماط الفكر، ص ١٢٨.

<sup>(</sup>٢) وايتهد: العماية والواقع، ص ١٤٧.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، ص ٣٤٥.

<sup>(</sup>٤) نفس المرجع، نفس الموضع.

### النظام والجتمع

لقد لاحظنا أن وتحول الذات إلى موضوع ويتضمن حذف اللامتوافقات وهذا يعنى أنه إذا كانت معطيات الكيان الفعلى تتضمن عناصر غير متوافقة بالتبادل بحيث لا تتوافق بعض عناصر المعطيات مع الكيان الفعلى، كما لا يتوافق الكيان الفعلى مع بعض عناصر المعطيات، فإن هذه العناصر للامتوافقة ستؤدى إلى إحباط بعضها بعضاً وستفشل في القيام بدور الموضوعات، وستقلل من شدة خبرة الكيان الفعلى الصائر. وعلى العكس من ذلك فإذا لم تكن المعطيات لا متوافقة فقط ولكنها متضادة أيضاً، فإن هذا يؤدى إلى إزدياد شدة الخبرة. إن المثال الواضح والمباشر على هذا يمكن أن نجده في الخبرة الجمالية، حيث تكون الشدة الواضحة القوية نتاج أو حصيلة نجده في الخبرة الجمالية، حيث يكون إنسجام النمط harmony of pattern المبتعد عن المتفادة، وحيث يكون إنسجام النمط harmony of pattern المبتعد عن المتقابلات والأضداد أمراً شاحباً وكئيبا.

إن شدة خبرة أى كيان فعلى تعتمد على المتضادات الموجودة بين معطياته وهذا يشير إلى أن المعطيات يجب أن نكشف عن انظام، order خاص بها،

وهذا النظام يتكون فى نمط معين من وجود خواص مميزة تكشف عنها المعطيات مثار النظر. وهذا يعنى أن الفعليات المكونة للمعطيات تسيطر عليها خواص أو ملامح معينة، وبكلمات أخرى إن مجموعات مركبة معينة من الموضوعات الأبدية Eternal objects تساهم مع تلك الفعليات فى تكوين عناصر عامة فى تحديدات تلك الفعليات.

ويجب أن تكون فكرة «النظام»، واضحة تماما لذا. إن النظام في تحليله الميتافيزيقي يتكون من سيطرة فئة أو عدة فئات من الخواص في مجموعة group من الكيانات الفعلية أو في رابطة أو علاقة nexus تقوم بينها. ويمعني آخر فإن «النظام» يوجد إلى المدى الذي تسيطر فيه بعض الخواص المعينة. وهذا يتضمن أن الرابطة أو العلاقة تكشف أيضاً عن خواص أخرى ربما لا تكون متوافقة مع الخواص المسيطرة. وهذه الخواص اللامتوافقة مع الخواص المسيطرة هي ما تؤلف عنصر الاضطراب disorder في العلاقة. لكننا يجب أن نلاحظ أن سيطرة خواص معينة على بقية الخواص اللامتوافقة معها هو ما يؤلف «النظام» order في العلاقة، ويؤدي إلى تقهقر الاضطراب disorder ومن ثم تستنتج أن النظام order والاضطراب disorder هما خاصيتان أوليتان العلاقة القائمة بين الفعليات.

ويرى وايتهد متفقاً فى ذلك مع سلسلة مقولاته أن عالم الفعليات يمكن تعييزه بواسطة العلاقات التى تكشف عن عدة أنواع Kinds من النظام،، وأن أن تحكم بواسطة مثل ideals جزئية أو خاصة تتوافق مع الغايات الذاتية للفعليات مثار النظر. إن درجة النظام the degree of تمثل درجة السيطرة الموجودة فى العلاقة المثالية الجزئية أو الخاصة.

إن أى علاقة تقوم بين الفعليات وتنظم خلال تلك الفعليات ذاتها بفضل خاصية مثالية جزئية أو خاصة Particular تسيطر على كل مكون فردى من الكيانات الفعلية يسميها وايتهد بالمجتمع Society ،إن مصطلح مجتمع يمكن تحديد معناه لكى يعنى علاقة أو رابطة nexus داخلية تقوم بين كيانات فعلية

منظمة فيما بينها وبين ذاتها، (١). وهذا يعنى أن ،مجتمع، الفعليات يتكون من أعضاء يكشف كل منهم عن خاصية عامة محددة، وأن هذه الخاصية العامة تكون النظام، فالمجتمع يوجد بفضل هذا النظام Order.

وهذا يشير إلى أن النظام Social Order ، أو أن النظام، لا يأتى إلى الوجود إلا المجتمع فعليات، يتبدى فيه هذا النظام. إن عبارات وايتهد الدقيقة في هذا الصدد هي:

وإن المجتمع علاقة أو رابطة تبين أو تساهم فى نمط ما من النظام الإجتماعى كما يلى: تتمتع الإجتماعى كما يلى: تتمتع الرابطة أو العلاقة بنظام إجتماعى حين:

- ١ يكون هناك عنصر عام في الصورة الواضحة المحددة الكيانات الفعلية المحتواه.
- ٢ وحين يكون هذا العنصر العام Common للصورة متواجدا في كل عضو
   من أعضاء العلاقة أو الرابطة بسبب ماهو مفروض على أعضاء تلك
   العلاقة من إستحواذ بعضهم البعض.
- ٣ وحين تكون هناك إستحواذات تفرض شرط التوليد التصورى بسبب إحتوائها للمشاعر الايجابية المتضمنة لتلك الصورة العامة.

إن مثل تلك الرابطة والعلاقة تسمى حينئذ بالمجتمع، أما الصورة العامة Common Form فتسمى بالخاصية المحددة لذلك المجتمع، ٢٠٠٠ .

ويجب أن نلاحظ أن فكرة المجتمع هذه أكثر من مجرد تصور الفئة أو الفصل، بمعنى أن ليس لكل مجموعة أو رابطة من الفعليات المشاركة فى خاصية عامة مسيطرة أن تكون مجتمعا بالضرورة، إن المجتمع لا يكون إلا حينما يتشارك الأفراد في خاصية عامة بفضل توارث هذه الخاصية من فرد

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ١٢٤.

<sup>(</sup>٢) وايتهد: مغامرات الأفكار، ص ص ٢٦٠، ٢٦٠ .

إلى آخر. وبسبب هذا الإشتقاق التوليدى Genetic للخاصية المحددة للمجتمع، يكون المجتمع بمثابة تحقيق لشدة القيمة. إن المنظور الذى طلب فيه المجتمع الشدة القيمية مزدوج: يتمثل الأول: في أن النظام الذى هو الشدة القيمية، هو نتاج الاستحواذات التبادلية لأعضاء الرابطة أو العلاقة، ولقد عبر وايتهد عن ذلك بقوله:

وإن المجتمع بالمعنى الذى نستخدمه هنا، يعضد ذاته أو هو سبب ذاته وهو من ثم أكثر من مجموعة من الكيانات الفعلية التى تنطبق على الفئة أو الفصل من ثم أكثر من مجموعة من الكيانات الفعلية التى تنطبق على الفئة أو النصور الرياضى Class وهذا يعنى أن المجتمع يتضمن أكثر مما يشير إليه التصور الرياضى للنظام mathematical conception of order ؛ فلكى يتكون مجتمع فإن إسم الفئة أو الفصل Class - name لابد أن ينطبق على كل عضو بفضل الاشتقاق التوليدى Genetic من كل أعصاء ذلك المجتمع. إن أعضاء المجتمع يتشابهون لأنه بفضل خاصيتهم العامة، يفرض كل واحد منهم على الآخر من نفس المجتمع الشروط التى تؤدى إلى هذا التشابه، و(١).

ويتمثل المنظور الثانى فى أن الخاصية الأساسية للمجتمع تقوم بفضل العلاقة الإشتقاقية التوليدية Genetic القائمة بين أعضائه؛ فإذا كان المجتمع مجرد تصور فصل أو فئة Class - Concept فإنه سيطبق على مجموعة من الفعليات المعاصرة Contemporary Actualities بفضل الخاصية العامة القائمة بينها. لكن وايتهد يرى أنه بسبب الإشتقاق التوليدى فإن المجتمع يجب أن يتضمن لا الفعليات الحاضرة وحسب، بل الفعليات السابقة واللاحقة أيضاً. وبمعنى آخر إن المجتمع يجب أن يكشف عن صفة خاصة للدوام أو البقاء Endurance وهذا الدوام الذي هو طابع خاص للمجتمع ضرورى لاتحقيق شدة القيمة Value - intensity.

<sup>(</sup>١) وايتهد : العملية والواقع، ص ١٧٤.

ومن الواضح أن دور المجتمعات The role of Societies هام جدا في العالم. وطبقا لهذا فليس من المدهش أن نجد الفلسفات السابقة قد وقعت في الخطأ حين شابهت بين المجتمعات وبين الكيانات الفعلية (الجواهر). وهذا يعنى أن معظم هذه الفلسفات أدركت الكيانات الفعلية أو الجواهر Substances على أنها باقية أو دائمة بالضرورة، لكننا رأينا فيما سبق أن الكيانات التي تدوم أو تبقى ليست فعلية المدنية المدنية المواهر all Societies ، وليست الحادثات الفعلية عليه المحتمعات all Societies ، وليست الحادثات الفعلية المجتمعات actual occaisions ، وليست الحادثات الفعلية

نحن هنا أمام نقطة ذات مغزى كبير بالنسبة إلى الفكر الفلسفى.. وقد أوضح وايتهد هذه النقطة بقوله وإن الخطأ الذى وسم الميتافيزيقا الأوربية منذ عهد الاغريق، تمثل فى ذلك الخلط بين المجتمعات وبين الاشياء الواقعية الكاملة (الجواهر) التى هى حادثات فعلية، و(١). إن هذا يمثل أساس الصعوبة التى تغلغلت فى التراث الفلسفى منذ عهده السحيق، وهو أيضا سبب فشل هذه الفلسفات فى تقديم تفسير ميتافيزيقى مقبول للعلاقات بين الفعليات. إن الفعليات يجب أن تكون فردية وذاتية، وبالتالى يجب أن تتصور على أنها لا تفتقر إلى غيرها كى توجد. ومن ثم فالعلاقات التى تقوم بين مثل تلك الفعليات هى علاقات عرضية بحتة لا تجعلنا نرى أية علاقات حقيقية بينها على الإطلاق، هذا هو ما يؤدى إليه التصور الفلسفى الذى يعارضه وايتهد وعلى العكس من هذا فإن وايتهد يرى أن الأشياء الدائمة أو الباقية ليست ذات علاقات تداخلية وحسب، لكنها عرضة أيضاً التغير بسبب تلك العلاقات التداخلية ذاتها.

إن مذهب وايتهد يحل هذه الصعوبات التقليدية، حين يجعل تلك العلاقات التداخلية أساسية وميتأفيزيقية، وليست مجرد علاقات عرضية، إن الأمر يصبح وإضحا لدينا، إذا ما استحضرنا الآن نقاشنا السابق عن نظرية المجتمع:

<sup>(</sup>١) وايتهد : مغامرات الأفكار، ص ٢٦٢.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، نفس الموضع.

فنظرية الكيانات الفعلية كوحدات حقبية من معية النمو تمدنا بالتوفيق الكامل بين التغير Change وبين اللاتغير Changelessness ، وتجعل العلائقية والترابط والتداخلية ملامح ميتافيزيقية رئيسية تماماً كالذاتية والوحدة . إن الأفكار الكلاسيكية عن الصفات الأساسية والعرضية هي أفكار تناسب الأشياء الدائمة أو الباقية التي هي المجتمعات، ولكنها لا تناسب الكيانات الفعلية . ولقد عبر وايتهد عن هذا بقوله :

وإن المجتمع خاصية أساسية يكون بها على نحو ما يكون عليه، وله أيضا خواص عرضية تختلف باختلاف الظروف. ومن ثم فالمجتمع، كموجود كامل، وكمحتفظ بنفس المركز الميتافيزيقى، يتمتع تاريخيا باستجاباته المتغيرة طبقا لتغير الظروف، لكن الحادثة الفعلية ليس لها مثل هذا التاريخ، إنها لا تتغير أبدا، إنها تصير وتفسد فقط، وفسادها يعنى قيامها بوظيفة ميتافيزيقية جديدة في التقدم الخلاق للعالم (1).

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، نفس الموضع.

#### - 20 -

## نظرية الجتمع

رأينا أن الكيانات الدائمة Enduring Entities التى نقابلها فى خبرتنا اليومية العادية هى حسب مذهب واينهد مجتمعات Societies . لكننا ينبغى أن نلاحظ أن التحديد الذى قدمناه للمجتمع فى الفقرة السابقة لا يصبح أن نستنتج منه أن كل المجتمعات من هذا النوع، فعلى العكس من ذلك فهذه الكيانات الدائمة ليست إلا حالة خاصة للمجتمعات، ولكى نعى ذلك علينا أن نفحس تفصيلا نظرية المجتمع.

وسوف نبدأ هنا بإقامة بعض التغييرات المتعلقة بتصور والكيان الدائم : إن الموضوعات الفيزيقية الدائمة The Enduring physical objects التى نلمسها في خبرتنا اليومية العادية مركبة Complex ، وكونها مركبة لا يرجع إلى أنها تتكون من فعليات حقبية متتابعة Successive epochal actualities وحسب بل يرجع أيضا إلى كونها بمثابة عناقيد من خيوط الفعليات التى يحل بعضها محل الآخر. ولكى نوضح ذلك في ضوء تصورات فيزيقية معاصرة نقول : إن

الموضوع الغيزيقى العادى Ordinary Physical object يتكون من كثرة من الموضوع الغيزيقى العادى Ordinary Physical object يتكون من كثرة من الذرات الجرزئيات، وكل جرزئى من هذه الجرزئيات يتكون من الكتسرونات Atoms وكل ذرة من هذه الذرات تتكون من الكتسرونات Protons وكيانات أخرى other Entities والآن فإن كل الكترون هو كيان دائم enduring entity يتكون عن طريق فعليات الكترونية.. إذا كانت الالكترونات حقيقة لا تتركب من كيانات.. وكذلك الأمر بالنسبة إلى البروتون.

سنحاول الآن استخدام هذا المثال السابق وإن كنا سنتناوله في ضوء وبمصطلحات نظرية المجتمع. إن المجتمع يتكون من علاقات توليدية Genetic relationships لرابطه تقوم بين الفعليات وتكشف عن نظام جزئي خاص. وهذا النظام Order يكون في الفعليات مثار النظر اخاصية محددة، يشترك فيها كل واحد منها، فالمجتمع يوجد بفضل نظام جزئي خاص.

وإذا نظرنا الآن في المثال الذي ذكرناه عن طريق الفعليات الألكترونية، وأبعد لادركنا أن الطريق المكون للمجتمع يكون بفضل خاصيته الالكترونية. وأبعد من ذلك فإن تلك الخاصية الألكترونية تورث بواسطة كل عضو من أعضاء الطريق من فعليات سابقة فيه. وهذا فقط لا يقيم الرابطة بين العمليات المؤسسة للمجتمع، لكن الخاصية المحددة لهذا المجتمع أي انظامه، المتخذ لنفسه صورة تسلسلية Serial Form يكون لها دورها كذلك. يقول وايتهد المجتمع حاصلا على انظام شخصى، Personal order ويتضح من ذلك أن المجتمع حاصلا على المنظام الشخصى، Personal order ويتضح من ذلك أن الكيان الدائم، الشخصى، (٢).

<sup>(</sup>١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٤٧.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٦٤.

ولقد أشار وايتهد إلى أن المجتمع يمكن أن يكون قابلا للتحليل إلى عدة تجمعات من الموضوعات الدائمة، فهذا هو الحال بالنسبة إلى معظم الموضوعات الفيزيقية العادية. وهذه الموضوعات الدائمة والمجتمعات القابلة للتحليل إلى عدد من تجمعات الموضوعات الدائمة هي الكيانات الدائمة التي تتمتع بمغامرات التغير خلال الزمان والمكان، وهي نؤلف على سبيل المثال موضوع علم الديناميكا Science of Dynamics إن العلاقة أو الرابطة nexus، التي :

١ - تتمتع بنظام إجتماعي.

٢ - وتكون قابلة للتحليل إلى عدة تجمعات من الموضوعات الدائمة، يمكن أن تسمى بالمجتمع الذرى أو الجسيمى corpuscular society (١).

ويجب أن نلاحظ أن الحديث عن المجتمع كذرى أو جسيمى يعنى أن الوراثة inheritance تتضمن خاصية مسيطرة تكون العلاقة بين الفعليات عن طريقها جسما واحدا one body لكن فى حالة الغازات gases فإن الخواص المحددة لمكونات الموضوعات الدائمة يمكن أن تسيطر على النمط العام Common Pattern الذي يتم بفضله تكوين جسم مفرد. فالمجتمع هنا يكون بفضل وجود حجم معين الغاز، لكنه لا يكون مجتمعا ذريا أو جسيميا، على الرغم من أن الجزئيات الفردية ذرية أو جسيمية، وهناك شكل آخر مختلف من أشكال الخواص المسيطرة يمكن أن نجده فى موجة ضوئية شوئية دان مجرى أثناء المراحل المختلفة لسيرها، ويوضح وايتهد هذا الشكل بقوله: دان مجرى هذه الموجات الضوئية يتضمن نظاما إجتماعياً فى كل مراحل سيرها، لكن هذه الموجات الضوئية يتضمن نظاما إجتماعياً فى كل مراحل سيرها، لكن هذا النظام يتخذ نبقسه فى أول مراحله صورة تجمعات ذات نظام شخصى مع تقدم الوقت. وبالتالى تصبح خواصه المسيطرة أقل فأقل أهمية.. ثم تصبح الموجات بعد ذلك رابطه أو علاقه saxus ذات نظام إجتماعى

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ٤٨.

Social order لكن بدون تجمعات النظام الشخصى Social order. ومن ثم فإن مجرى الموجات يبدأ كمجتمع ذرى أو جسيمى وينتهى كمجتمع ليس ذريا أو جسيمياه (١).

إن النقطة الرئيسية والتى نقدرها تماما هى أن المجتمع يكون بفضل أى عنصر جزئى من النظام order المورث توليديا، وعلى هذا النحو يمكن تحليل المجتمع إلى مكوناته التى هى بدورها مجتمعات، كما يمكن تحليل تلك المجتمعات الأخيرة إلى مجتمعات. وهكذا. إن الموضوع الفيزيقى، العادى أو المألوف هو مثال للمجتمع المؤلف من مجتمعات خلال مجتمعات. وعلاوة على ذلك فإن الكيانات الدائمة سواء كانت من تجمع واحد له نظام شخصى، أو من نوع أكثر تركيباً أى من نوع المجتمع الذرى أو الجسيمى، فإن هذا لا يعنى أنهما النوعان الوحيدان من المجتمعات.

ذلك أنه حتى فى حالة النظام الشخصى أو التجمع المفرد أو الواحد فإن كل كيان فعلى فى ذلك التجمع يرث لا من الكيان الفعلى السابق فى سلسلته وحسب، ولكن من العالم الفعلى الكلى للفعليات السابقة أيضاً، ويرث على وجه خاص من معاصرى أسلافه المباشرين من نفس التجمع، وبفضل غايته الذاتية Subjective Aim الخاصة، فإنه يرث خاصيته المسيطرة أو المحددة من سابقيه، ومن ثم يصبح عضوا فى المجتمع المحدد بتلك الخاصية، لكن هذا لا يمنع ذلك الكيان الفعلى من أن يرث ملامح أخرى من فعليات أخرى، تتيح له أن يصبح عضوا فى مجتمع أوسع، أو عضوا فى مالا حصر له من المجتمعات الواسعة.

وأيضاً فإن وجود أى مجتمع أكثر تخصصاً، مثل ذلك الذى يكشف عن انظام شخصى، يتضمن تحققاً لابأس به من شدة القيمة Value - intensity بفضل فعلياته التى تعتمد على نظام يتعلق بمعطياتها. وبمعنى آخر فإن أى مجتمع أكثر تخصصاً يعتمد على بيئة واسعة مناسبة ذات نظام إجتماعى، أى

<sup>(</sup>١) نفس الهرجع، ص ٤٩.

يعتمد على مجتمعات أكبر. وهذه النقطة لها أهمية محورية وتستحق أن نقتبس لها فقرة وايتهد الطويلة التالية :

اإن المجتمع يكون، بالنسبة لكل عضو من أعضائه، بيئة ذات عنصر نظامى ما، وهو يبقى بفضل العلاقات التوليدية Genetic Relations القائمة بين أعضائه، وعنصر النظام هذا يمثل النظام السائد في المجتمع.

لكن ليس ثمة مجتمع يوجد في عزلة isolation .. إن كل مجتمع تكون له خلفية هي بيئة عريضة من الكيانات الفعلية التي يساهم تحولها إلى موضوعات فيما يتطابق مع أعضاء ذلك المجتمع. ومن ثم فإسهامات البيئة تسمح بالتعضيد الذاتي للمجتمع على الأقل. وأيضا فإن أهمية تلك الخلفية ترجع إلى مساهمتها في الخواص العامة التي تفترضها الخاصية الخاصة بالمجتمع في أعضائها. لكن هذا يعني أن البيئة يجب أن تكون مع المجتمع مثار النظر، مجتمعاً أكبر يعزى كبره إلى عمومية خواصه بصورة أكبر من تلك الخواص المحددة للمجتمع الذي بدأنا منه. ومن هنا نصل إلى المبدأ القائل بأن كل مجتمع يتطلب خلفية إجتماعية يكون هو بالنسبة إليها جزءاً. وعند الإشارة إلى مجتمع ما فإننا يجب أن نتصور عالم الكيانات الفعلية على أنه يؤلف خلفية له، وأن ندرك أن الخواص المحددة تصبح أكبر وأكثر عمومية كلما وسعنا من تلك الخلفية. ويطبيعة الحال فإن الفعليات السحيقة البعد لتلك الخلفية يكون لها خواصها النوعية من الأنماط المختلفة للنظام الإجتماعي، لكن مثل تلك الخواص النوعية تصبح غير ملائمة أو لا بؤخذ بها في المجتمع مثار النظر بسبب المنع أو التميع الناتج عن الخلاف أو اللانظام أو الفوضى (1) disorder

إن ما يجب أن نلاحظه بوجه خاص هو أن هناك علاقة بين المجتمعات وبين بيئاتها الإجتماعية بمعنى أن المجتمعات المتخصصة تكون بمثابة أجزاء

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ١٢٥.

من مجتمعات أوسع وأكبر. وهذا يعنى أن الفعليات التى لها خواص مسيطرة، تصبح بفضلها أعضاء فى مجتمعات خاصة معينة، تفصح أيضاً عن خواص ذات أنماط أكثر عمومية من النظام الإجتماعى. ومن هنا فإن الأنماط الأكثر عمومية من النظام الإجتماعى يمكن أن يفترض أنها ممكنة التطبيق على الأنماط الأكثر خصوصية. وعلى سبيل المثال فإن الدرجة العليا من المجتمع الشخصى Personal Society المتمثلة فى إنسان ما مفرد، تعتمد على مجتمع مركب يكون والنفس والجسم، وهذا المجتمع المركب يعتمد بدوره على مجتمعات عضوية Organic من الخلايا، وتلك المجتمعات الأخيرة تعتمد بدورها على مجتمعات لا عضوية inorganic مثل الجزيئيات والذرات والالكترونات والبروتونات. الخ، إن البيئة الإجتماعية الواسعة تتكون من مجتمعات أكثر وسعاً وكبراً لها خواص الالكترونات والبروتونات. الخ، ومن مجتمعات أكثر عمومية من تلك الأخيرة لها خواص تتعلق بالأبعاد مجتمعات أكثر عمومية من تلك الأخيرة لها خواص تتعلق بالأبعاد والمقابيس. وهكذا.

إن أهمية خواص البيئة الإجتماعية الواسعة واضحة، وهي تتمثل في أن هذه الخواص تكون قوانين الطبيعة Laws of Nature ، وهذه القوانين تختلف في درجة عموميتها إختلافا يتلاءم مع درجة عمومية المجتمعات. وعلى سبيل المثال فقوانين الفيزياء ذات عمومية أكبر من قوانين البيولوچيا. إن ما نريد أن نؤكده هنا هو أن ما أسماه العرف التقايدي بقوانين الطبيعة لا يعني هنا سوى صيغ الخواص المحددة لمجتمعات واسعة جداً من المنظور الميتافيزيقي، كما أن القوانين العلية Causal Laws التي تسود البيئة الإجتماعية هي من المنظور الميتافيزيقي ونتاج الخاصية المحددة لذلك المجتمع، وبما أن المجتمع يكون ذا فاعلية خلال أعضائه الفرديين، فإن الأفراد يمكن أن يوجدوا في المجتمع بفضل القوانين التي تسوده، وهذه القوانين لا تأتي إلى الوجود إلا بفضل الخواص المشتركة التي توجد بين أفراد المجتمع.

genetic بسبب عامل الإشتقاق التوليدي Causal إن القواين تكون عليه derivation للخواص المحددة.

ويجب أن نلاحظ أن ليس ثمة ضرورة ميتافيزيقية تجعل القوانين الجزئية دائماً ثابتة وغير متغيرة؛ ذلك أن بعض الخواص البديلة، وبالتالى بعض القوانين الجزئية البديلة يمكن أن توجد. إن سيطرة بعض القوانين الجزئية يعنى سيطرة بعض الفواص أو سيادتها، ولكنه لا يعنى أو يتضمن أن خواصاً بديلة يمكن أن تتمثل في بعض فعليات العلاقة أو الرابطة محل النظر، كما أنه ليس من سبب ميتافيزيقى يمنع من تغير بعض الخواص المسيطرة، وما يصاحب هذا من تغير متوافق في قوانين الطبيعة.

ويذهب وايتهد إلى أن الخاصية العامة للعالم التى تستخرج من كل المجتمعات بأعرض وأوسع ما يكون إنما تؤسس على احقبة كونية، Cosmic ولقد قسر وايتهد ذلك بقوله:

وإن عبارة (حقبة كونية Cosimc epoch المجتمع الواسع من الكيانات الفعلية الذي يمكن أن نتعقب وضوحه القورى المباشر. هذه الحقبة تتميز بكيانات فعلية الكترونية وبروتونية وبكيانات فعلية أكثر الساسية يمكن أن تدرك بغموض في كوانتا الطاقة Quanta of Energy إساسية يمكن أن تدرك بغموض في كوانتا الطاقة Quanta of Energy معادلات ماكسويل Maxwell في حقل الكهرومغناطيسية من الحادثات عيز تبسبب حشد الالكترونات، وكل بروتون مجتمع من الحادثات البروتونية، وهذه الحادثات هي علل القوانين الكهرومغناطيسية، ولكن قدرتها في إعادة الإنتاج الذي يكون كل الاكترون وكل بروتون بفضلها طويل العمر، والذي يأتي كل الكترون وبروتون جديد إلى الوجود بسببها، ترجع في ذاتها إلى نفس هذه القوانين، ولكن يوجد أيضا نمط من اللانظام تالوليد أو إعادة إلى عدم إطاعة هذه القوانين بصورة كاملة، ومن ثم يختلط التوليد أو إعادة الإنتاج بأمثلة فاشلة. وطبقا لهذا فيوجد إنتقال تدريجي نحو أنماط جديدة من النظام يتلو القيام التدريجي للسيطرة على جزء من القوانين الطبيعية الخاضرة، (١).

<sup>(</sup>١) نفس المرجع، ص ص ١٢٦ -١٢٧.

#### الكوزمولوجيا

ينصب إهتمامنا هنا على التركيز على العالم من جهة التعميم الميتافيزيقى، ومن هنا فإن أى ذكر لملامح أو خواص جزئية لا يعنى هنا سوى التوضيح.

ذهب وايتهد إلى أن العلم يحقق فهما في ضوء ملامح النظام الذي يكشف عنه المجتمع، لكن الكشف العلمي Scientific discovery وفهم الأنماط السائدة من النظام الإجتماعي لا يمكن أن ينفصلا عن بعض التصورات المتعلقة بالطبيعة الميتافيزيقية للأشياء. وحتى إذا إقتصرنا على مجال العلم وحده دون الميتافيزيقا، فإن فهم الأنماط الخاصة بالمجتمع يفترض بعض التصورات المتعلقة بالبيئة الإجتماعية الواسعة التي توجد كخلفية لذلك المجتمع. ولقد أشار وايتهد فيما يتعلق بالعلم بوجه عام إلى وأنه في غياب فهمنا بالطبيعة النهائية للأشياء، ومن ثم غياب أنواع الخلفيات التي تقوم وراء العبارات المجردة للعلم: فإن كل العلوم تعاني من خطأ ربط قضايا متفاوتة ومختلفة قد تكون خلفياتها غير متسقة.. إن كل إستدلال منعزل عن الإشارة الميتافيزيقية هو إستدلال فاسد Vicious (۱).

<sup>(</sup>١) وايتهد: مغامرات الأفكار، ص ص ١٩٧ - ١٩٨.

إن ماله إشارة فورية مباشرة بالنسبة إلى العلم ليس هو التعميم الميتافيزيقى الكامل من حيث هو كذلك، وإنما هو تصور المرحلة الراهنة للعالم من جهة خواصه الأعظم عمومية. وهذا يعنى أن العالم يتطلب:

١ - تطبيقا للمعاني المقولية.

Application of the Categoreal notions

٢ - تفسيراً للعالم على نحو ماهو عليه فى الحاضر فى ضوء نسق
 ميتافيزيقى من الأفكار.

وتلك المحاولة الفلسفية التفسيرية، والهادفة إلى تطبيق الأفكار الميتافيزيقية على الحقبة الحاضرة من العالم تكون ما يسمى بالكوزمولوچيا. ومن ثم فإن الكوزمولوچيا كما تصورها وايتهد هى والمجهود المبذول فى تشكيل نسق من الخواص العامة للمرحلة الحاضرة من العالم، (١). وبكلمات أخرى وتهدف الكوزمولوچيا إلى تكوين نسق عام من الأفكار العامة المطبقة على الحقبة الحاضرة من العالم، (١). ولعل هذا يفسر لنا لماذا كان وايتهد فى أعماله المبكرة يرادف بين الكوزمولوچيا وبين فلسفة العلوم philosophy of Science ويتضح هذا الترادف من نص آخر لوايتهد يقول فيه وإن النسق الكوزمولوچي يمثل الجنس genus، التى تكون الأنساق الخاصة للعلوم بالنسبة إليه أنواعاً يمثل الجنس Species، (٢).

إن الكوزمولوچيا عند وايتهد فلسفة وليست علما وهي فلسفة لأنها تحاول الفهم والاستيعاب في ضوء الطبيعة الميتافيزيقية للأشياء في عموميتها الكاملة، أو لأنها تجتهد في البحث والسعى تجاه الفهم الميتافيزيقي لطبيعة الكيانات الفعلية. وهذا يعني أن الميتافيزيقا أساسية لكل فروع والفلسفة، وأن وكل

<sup>(</sup>١) وايتهد : وظيفة العقل، ص ٦١.

<sup>(</sup>٢) نفس المرجع، ص ٧٠.

<sup>(</sup>٣) نفس المرجع، ص ٦١.

صعوبات المبادئ الأولى ليست إلا تسترا على الصعوبات الميتافيزيقية، (١). ولعل فى هذا ما يفسر سبب معالجة وايتهد للمشاكل الفلسفية الكبرى كالابستمولوچيا والمنطق والأخلاق والجمال فى ضوء نسقه الميتافيزيقى.

(١) وايتهد: العملية والواقع، ص ٢٦٧.

ted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قائمة بالصطلحات



Abstract

| Abstract entity             |       | کیان مجرد                      |
|-----------------------------|-------|--------------------------------|
| Aboriginal                  |       | أصلى                           |
| Absolute                    |       | مطلق                           |
| Activity                    |       | فاعلية                         |
| Activity of Prehension      |       | فاعلية الإستحواذ               |
| Activity of Actual Entities |       | فاعلية الكيانات الفعلية        |
| Activity of Becoming        |       | فاعلية الصيرورة                |
| Actual                      |       | فعلى                           |
| Actual entity               |       | <br>کیان فعلی                  |
| Actual World                |       | العالم الفعلى                  |
| Aesthetic                   |       | جمالي                          |
| Aesthetic Experience        |       | خبرة جمالية                    |
| Aesthetic feeling           |       | شعور جمالى                     |
| Affective tone              |       | صوت تأثيري ـ نغمة عاطفية       |
| Agency                      |       | قدرة                           |
| Anarchic                    |       | فوص <i>نوی</i>                 |
| Apperception                |       | إدراك الإدراك - الوعى بالإدراك |
| Arbitrary                   |       | تعسفى                          |
| Atom                        |       | ذرة                            |
| Atomism                     |       | المذهب الذرى                   |
|                             | - B - |                                |
| Becoming                    |       | صيرورة                         |
| Becoming of Experience      |       | صيرورة الخبرة                  |
| Being                       |       | وجود                           |

| Category                | مقولة                |
|-------------------------|----------------------|
| Causal efficacy         | قدرة علمية           |
| Causal feeling          | شعور علمي            |
| Cause                   | علة                  |
| Coherencs               | ترابط                |
| Conception              | تصور                 |
| Conceptual Prehension   | استحواذ تصوري        |
| Conceptual registration | تسجيل تصوري          |
| Conceptual reproduction | تولید تصوری          |
| Conceptual Valuation    | تقييم تصوري          |
| Concrescnece            | معية نمو             |
| Concrete                | عيني                 |
| Concreteness            | عينية                |
| Conformal Feeling       | شعور مطابق           |
| Consciousness           | وعى                  |
| Consequent nature       | طبيعة لاحقة أو تالية |
| Continuity              | تصال                 |
| Continum                | متصل                 |
| Corpuscular Society     | مجتمع جسيمي أو ذرى   |
| Cosmic                  | کونی                 |
| Cosmic epoch            | حقبة كونية           |
| Creation                | خلق                  |
| Creative activity       | فاعلية خلاقة         |
| Creative advance        | قدم خلأق             |
| Creative order          | ظام خلاق             |
| Creative Process        | عمارة خلاقة          |

| Creative urge        |       | دافع خلاق                |
|----------------------|-------|--------------------------|
| Creativity           |       | خالقية                   |
|                      | - D - |                          |
| Data                 |       | معطيات                   |
| Decision             |       | قرار                     |
| Dipolar              |       | مزدوج لقطب<br>مزدوج لقطب |
| Dualism              |       | مذهب الثنائية            |
| Duration             |       | ديمومة                   |
|                      | - E - |                          |
| Efficient cause      |       | علة فاعلية               |
| Elimintation         |       | حذف                      |
| Emergent             |       | طافر                     |
| Emotional experience |       | خبرة عاطفية              |
| Emotional Feeling    |       | شعور عاطفی               |
| Empiricism           |       | المذهب التجريبي          |
| Endurance            |       | دوام                     |
| Enduring entity      |       | کیان دائم<br>کیان دائم   |
| Energy               |       | طاقه                     |
| Entity               |       | کیان                     |
| Envisagement         |       | تخيل                     |
| Epoch                |       | -<br>جقب <b>ة</b>        |
| Epochal              |       | حقبی                     |
| Epochal Becoming     |       | .بي<br>صيرورة حقبية      |
| Epochal Whole        |       | کل حقبی                  |
| Essence              |       | ماهية                    |
| Eternal              |       | أبدي                     |
| Eternal Object       |       | أبدى<br>موصنوع أبدى      |
|                      |       | ٠. ت                     |

| Evaluation                        |                                |
|-----------------------------------|--------------------------------|
|                                   | تقييم                          |
| Event                             | حادثة                          |
| Events                            | حادثات                         |
| Evocation                         | استحضار                        |
| Existence                         | وجود (لم يفرق وايتهد بينه وبين |
|                                   | (Being                         |
| Experience                        | خبرة                           |
| Experiencing entity               | کیان خابر                      |
| Experiental Activity              | فاعلية خابرة                   |
| Experiental Togetherness          | معية خابرة                     |
| Extension                         | امتداد                         |
| Extensive abstraction             | تجريد ممتد                     |
| Extensive continuity              | إتصال ممتد                     |
| - F -                             | 1                              |
| Fact                              | واقعة                          |
| Fallacy                           | أغلوطة ـ مغالطة                |
| Fallacy of misplaced Concreteness | مغالطة التموضع الزائف للعيني   |
| Feeling                           | شعور                           |
| Flux                              | سيلان                          |
| Form                              | صورة                           |
| Formal existence                  | وجودصوري                       |
| Forms of difiniteeness            | صور التحديد                    |
| Frustration                       | إحباط                          |
| - G -                             |                                |
| Generalization                    | تعميم                          |
| Genetic                           | تعمیم<br>تولید <i>ی</i>        |
| Genetic derivation                | اشتقاق توليدى                  |

| Givenness                   |       | عطاء            |
|-----------------------------|-------|-----------------|
|                             | - H - |                 |
| Hybrid                      |       | مهجن            |
|                             | -1-   |                 |
| Idea                        |       | فكرة            |
| Ideal                       |       | مثالي           |
| ldealism                    |       | المذهب المثالي  |
| Imagination                 |       | خيال            |
| Imaginative generalization  |       | تعميم خيالي     |
| Imaginative Rationalization |       | عقلنة خيالية    |
| Immenence                   |       | حلول ـ مباطنة   |
| Impact                      |       | صدمة            |
| Impression                  |       | انطباع          |
| Inclusion                   |       | احتواء          |
| Ingression                  |       | ولوج            |
| Insight                     |       | بصيرة           |
| Instantaneous               |       | لحظى            |
| Integration                 |       | تكامل           |
| Intensity                   |       | شدة             |
| Intensity of experience     |       | شدة الخبرة      |
| Interconnectedness          |       | ارتباط داخلي    |
| Interdependence             |       | اعتماد داخلی    |
| Interpretation              |       | تفسير           |
| Interrelationship           |       | علاقة داخلية    |
| Intuition                   |       | حدس             |
| Irrationalism               |       | المذهب اللاعقلى |

| Law                         |                | قانون  |
|-----------------------------|----------------|--------|
| Law of contradiction        | التناقص        | قانون  |
| Law of excluded middle term | الثالث المرفوع | قانون  |
| Law of identity             | الذاتية        | قانون  |
| Laws of nature              | الطبيعة        | قوانين |
|                             | - M -          |        |
| Mediation                   |                | توسط   |
| Mental                      |                | عقلي   |
| Mental pole                 | ، العقلي .     | _      |
| Mode                        |                | حال    |
| Modes                       |                | أحوال  |
| Monad                       | ۔ ذرة روحية    | _      |
| Monsim                      | ب الأحادي      | _      |
| Moral responsibility        | لية الأخلاقية  |        |
| Moral Value                 | خلاقية         | قيمة أ |
| Motion                      |                | حركة   |
|                             | - N -          |        |
| Nascent                     |                | نامي   |
| Necessity                   | رة             | الضرو  |
| Neutral                     |                | حيادي  |
| Neutral Stuff               | حيادية         | مادة   |
| Nexus                       | . علاقة        | رابطة  |
| Novelty                     |                | الجدة  |
|                             | -0-            |        |
| Occasion                    | - مناسبة       | حادثة  |
| Occasions                   | ت ۔ مناسبات    | حادثاه |
|                             |                |        |

Object موضوع Objectification نحول الذات إلى موضوع Objective existence وجودموضوعي Objective immortality خلود موضوعي Objective inclusion احتواء موضوعي Objectivist موضوعاني المبدأ الموضوعاني - المبدأ القائل Objectivist principle بالموضوعية المبدأ الأنطولوجي Ontological Principle Order Organic عضوي Organism المذهب العضوي - P -

Pattern نمط Perception إدراك Perishing فساد Personal order نظام شخصىي Personal Society مجتمع شخصىي Physical Feeling شعور فيزيقي Physical Pole القطب الفيزيقي Phyaical Prehension استحواذ فيزيقي Pluralism المذهب التعددي Positivism المذهب الوضعي Potentiality قوة - إمكان Prehension

مباشرة حضورية

مشاعر أولية

Presentational immediacy

**Primary Feelings** 

طبيعة أولية عملية قضية Primordial nature **Process** Proposition Pulsation - R -Rationalism المذهب العقلي عقلنة Rationalization الواقع Reality العقل Reason إعادة الاحداث - إعادة الفعل Re-enaction مبدأ تنظيمي Regulative Principle علائقية Relatedness النسبية Relativity Rhythm إيقاع Rhythm of Process إيقاع العملية - S -إشباع Satisfaction كيفيات ثانوية Secondary qualities علية ذاتية Self-Causation الخلق الذاتي Self - creation فاعلية الخلق الذاتي Self - Creative activity تحقق ذاتى Self - realization إكتفاء ذاتي Self - Sufficiency المذهب الأنوي Solipsism تأمل Speculation

ذات

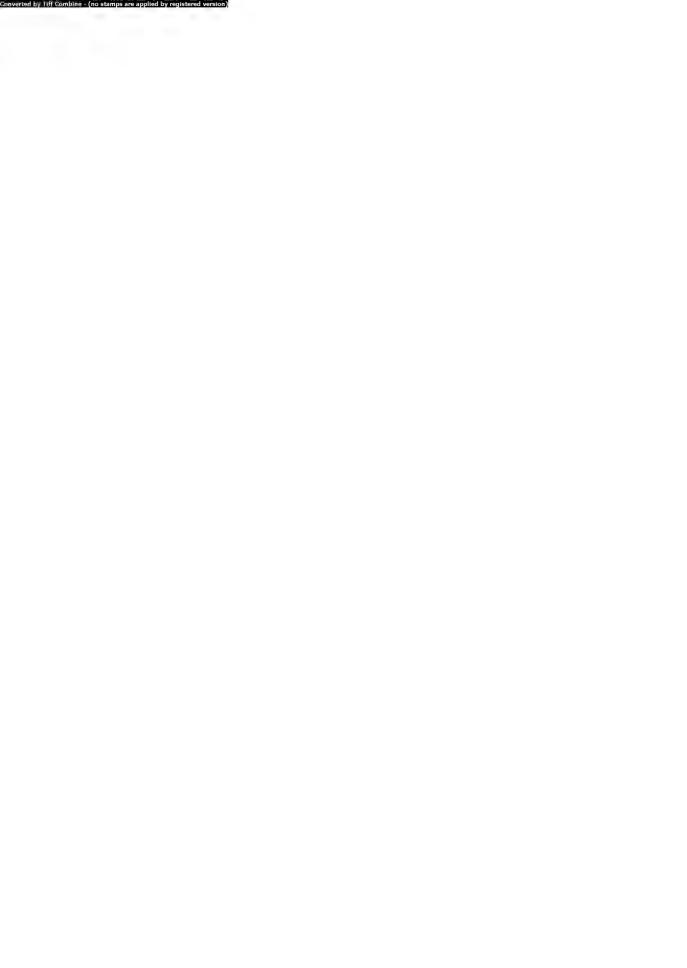
Subject

| Subjective aim         | المقصد الذاتى                   |
|------------------------|---------------------------------|
| Subjective experience  | الخبرة الذاتية                  |
| Subjective form        | الصورة الذاتية                  |
| Subjective immediacy   | المباشرة الذاتية                |
| Subjectivism           | المذهب الذاتاني ـ المذهب القائل |
|                        | بالذاتية                        |
| Subjectivist principle | المبدأ الذاتاني ـ المبدأ القائل |
|                        | بالذاتية                        |
| Substance              | <b>جو</b> هر                    |
| Succession             | تعاقب                           |
| Superject              | ذات (منبثقة عن العالم)          |
| Supersession           | إحلال                           |
| Sympathy               | تعاطف وجداني                    |
| Symoptic               | شمولي                           |
| System                 | نسق                             |
|                        | - T-                            |
| Togetherness           | معية                            |
| Toutology              | أغو                             |
| Transcendence          | تجاوز                           |
| Transition             | إنتقال                          |
|                        | - U -                           |
| Ultimate               | نهائى                           |
| Unique                 | فريد                            |
| Universals             | كليات                           |
| Urge                   | دافع                            |
|                        |                                 |

- V -

| Vacuous   | خاوي ـ فارغ |
|-----------|-------------|
| Valuation | تقييم       |
| Value     | قيمة        |
| Vision    | رؤية        |





# الفهرس

| الصفحة | الموضوع  |
|--------|--|
| ٥      | مقدمة بقلم المترجم                             |
| YA     | استهلال بقلم المؤلف                            |
|        | البيابالانول                                   |
|        | تقهيد توضيحي                                   |
|        | الفصل الأول                                    |
|        | محاولات وايتهد الفلسفية                        |
| ٣٧     | ١ – الاهتمامات الفلسفية المبكرة لوايتهد.       |
| ٤٦     | <ul> <li>٢ – المسألة الميتافيزيقية.</li> </ul> |
|        | الفصل الثاني                                   |
|        | المبدأ الأنطولوجي                              |
| 80     | ٣ – المشكلة الميتافيزيقية الأساسية .           |
| ٦.     | ٤ - المبدأ الأنطولوجي.                         |
|        | القصلالثالث                                    |
|        | طبيعة الميتافيزيقا ومنهجها                     |
| ٧١     | ٥ طبيعة الميتافيزيقا .                         |
| ٨٥     | <br>٦ – منهج الميتافيزيقا .                    |
|        |  |

# الباب الثانى نسق المقولات الوايتهدية (مذهب العملية)

# الفصل الرابع مقولة الكيان الفعلي

| 1.0 | ٧ - تعددية الكيانات الفعلية.                     |
|-----|--|
| 114 | ٨ - الوجود والصيرورة.                            |
| 177 | ٩ – نقد وايتهد لتصور الكيان الفعلى كذاتية دائمة. |
|     | الفصل الخامس                                     |
|     | مقولة العملية                                    |
| 150 | ١٠ مقولة العملية .                               |
| 189 | ١١ – ذرية الصيرورة.                              |
| 124 | ١٢ – النظرية الحقبية لماهو فعلى.                 |
| 101 | ١٣ – صيرورة وفساد الكيانات الفعلية.              |
|     | الفصل السادس                                     |
|     | مقولة الثهاثي                                    |
| 104 | ١٤ - مقولة النهائي (الخالقية).                   |
| 179 | ١٥ – معية نمو الكيانات الفعلية.                  |

# الفصل السابع مقولة الموضوع الأبدي

| 140         | ١٦ – الموضوعات الأبدية أو صور التحديد.      |
|-------------|---|
| ۱۸۱         | ١٧ – القوة والفعل.                          |
|             | الفصل الثامن                                |
|             | مقولة النسبية                               |
| ١٨٩         | ١٨ – مقولة النسبية.                         |
| ۱۹۳         | ١٩ – القوة المجردة والقوة الواقعية.         |
| 199         | ٢٠ – انتقال الكيان الفعلى من ذات الى موصوع. |
| ۲۰۱         | ٢١ – خلود الكيانات الفعلية كمومنوعات .      |
|             | الباب الثالث                                |
|             | نسق المقولات الوايتهدية                     |
|             | (مذهب الخبرة)                               |
|             | القصل التاسع                                |
|             | اصبلاح المبدأ القائل بالذاتية               |
| <b>Y11</b>  | ٢٢ – العلائقية الداخلية والخارجية .         |
| <b>Y1</b> A | ٢٣ – مبدأ الذاتية المعدّل.                  |
|             |   |

#### الفصل العاشر الخبرة كمقولة ميتافيزيقية

٢٤ - رفض وايتهد لتصور الكيان الفعلى الفارغ YYY ٢٥ - مقولة الخبرة. 777 الفصل الحادي عشر تحليل الخبرة ٢٦ - نظريات الخبرة. 720 ٢٧ - حالتان للإدراك. 707 القصل الثاني عشر مقولة الاستحواذ ٢٨ – مقولة الاستحواذ. 409 ٢٩ - الاستحواذ كشعور. 470 القصل الثالث عشر الاستحواد عملية انتقال الذات إلى موضوع ٣٠ - فعل الاستحواذ، 440 ٣١ - عملية الانتقال من ذات إلى موضوع. **YA**\*

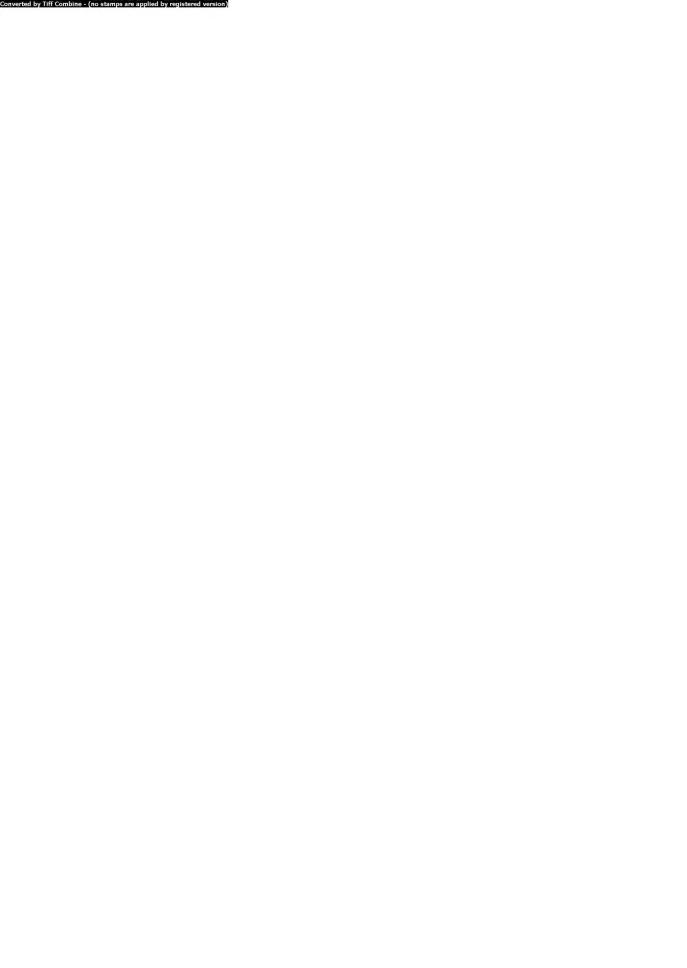
## الباب الرابع طبيعة الكيان الفعلي (وصف ميتافيزيقي)

### الفصل الرابع عشر التحليل التوليدي للكيان الفعلى

| 791         | ٣٢ – الكيان الفعلى كذات منبثقة عن العالم.      |
|-------------|--|
| <b>Y9</b> Y | ٣٣ – العلية الذاتية والمقصد الذاتي.            |
|             | الفصل الخامس عشر                               |
|             | تحليل الاستحواد                                |
| ۳۰0         | ٣٤ – الاستحواذ الفيزيقي والاستحواذ التصوري.    |
| ۳۱۰         | ٣٥ – التقييم التصورى أو التوليد.               |
| ۳۱۶         | ٣٦ – الاستحواذات البحتة والاستحواذات المهجنة . |
| 771         | ٣٧ – وحدة الاستحواذات.                         |
|             | القصل السادس عشر                               |
|             | ALDI   |
| ۳۲۷         | ٣٨ – منبع الغاية الذاتية .                     |
| ۳۳۱         | ٣٩ – الله ككيان فعلى .                         |
| 770         | • ٤ - الطبيعة الأولية لله.                     |
| 711         | ٤١ – الله كأولى وكتالى.                        |

# الفصل السابع عشر العالم الخلاق

| 202 | ٤٢ – العملية الخلاقة. |
|-----|-----------------------|
| 707 | ٤٣ - القيمة والنظام.  |
| 209 | ٤٤ - النظام والمجتمع. |
| 410 | ٥٥ – نظرية المجتمع.   |
| ۳۷۲ | ٤٦ - الكوزمولوجيا.    |
| 400 | قائمة بالمصطلحات      |
| TAY | محتويات الكتاب        |



nverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ميتافيزيقا

رقمالایداع ۹۹/۱۵۷۹ه

I.S.B.N.

977- 5946- 034



onverted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version

